ديوان الشيخ

راشد بن سيف بن سعيد اللمكي

(١٢٦٢ - ١٣٣٣ هـ)

(من شيوخ الإمام نور الدين السالمي)

دراسة وتحقيق /
أحمد بن محمد بن عبدالله الرمحي

ملحق به :

(دراسة الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف اللمكي للدكتور وليد خالص)

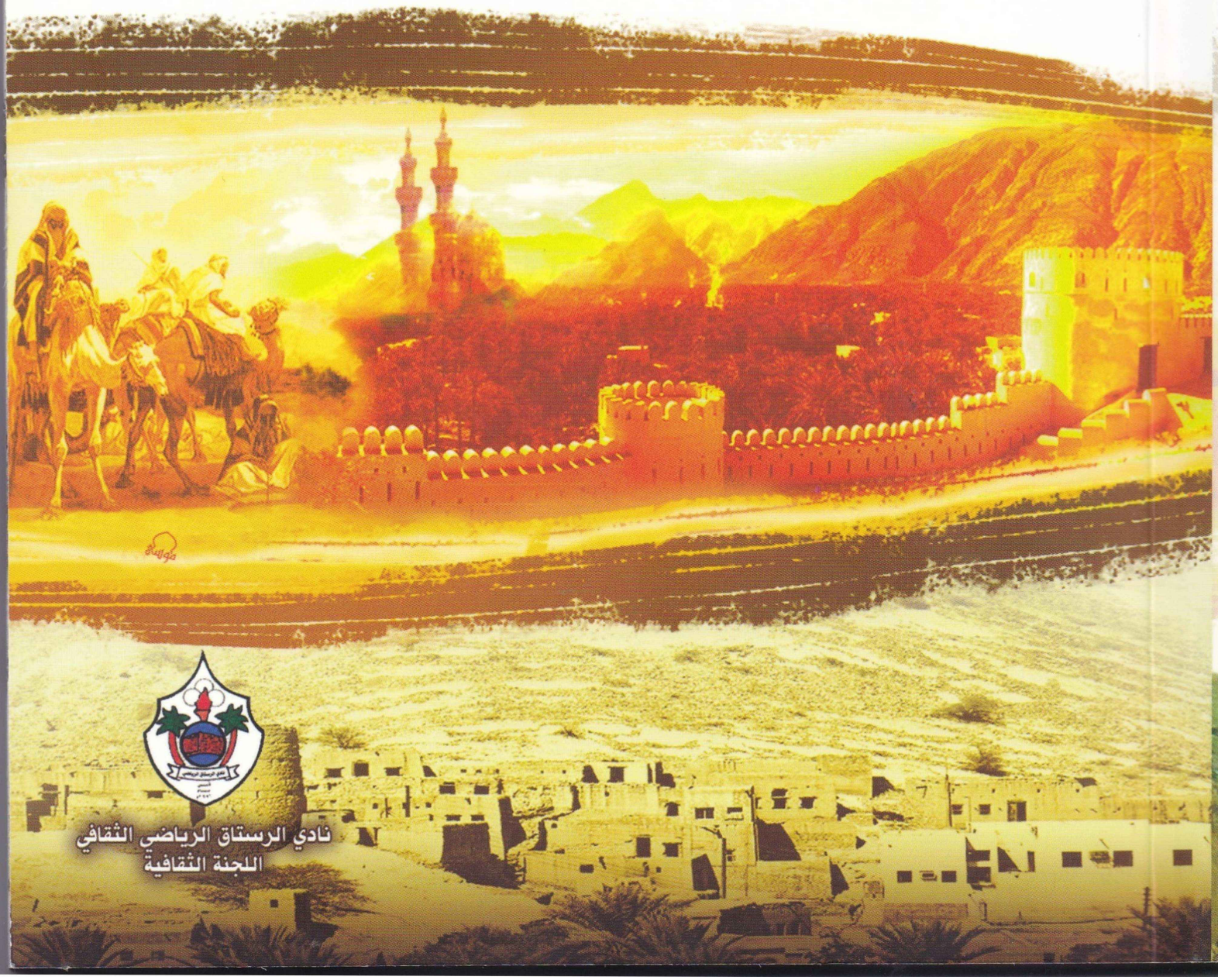

نادي الرستاق الرياضي الثقافي
اللجنة الثقافية

ديوان الشيخ
راشد بن سيف بن سعيد اللمكي

(١٢٦٢ - ١٣٣٣ هـ)

(من شيوخ الإمام نور الدين السالمي)

دراسة وتحقيق/
أحمد بن محمد بن عبدالله الرمحي

ملحق به :
دراسة الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف اللمكي
للدكتور وليد خالص

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ديوان الشيخ

راشد بن سيف بن سعيد اللمكي

إصدار اللجنة الثقافية بنادي الرستاق

دراسة وتحقيق

الأستاذ/ أحمد بن محمد بن عبد الله
الرمحي

تصميم وإخراج

موسى بن سعيد الكايدي

نادي الرستاق الرياضي الثقافي
اللجنة الثقافية
١٤٣٢هـ = ٢٠١١م

طبع في مطابع الزوال الإعلامية
بالرستاق - سلطنة عمان

هاتف ٢٦٧٣٥٣٧٧ - ص.ب ٦٤ - الرمز البريدي ٦١٢
البريد الإلكتروني alhilal222@yahoo.com

المحتويات

م	العنوان	رقم الصفحة
١	* فهرس القصائد	٤
٢	* المقدمة	٦
٣	أولا : الدراسة :	١٧
٤	أ- حياة الشيخ راشد بن سيف اللمكي	١٨
٥	ب- الحياة السياسية والأدبية في عصره:	٤١
٦	١- الحياة السياسية	٤١
٧	٢- الحياة الأدبية	٤٨
٨	ج : إطلالة على الخصائص الفنية في شعره :	٥٣
٩	١- تأثره وتأثيره	٥٥
١٠	٢- البناء الخارجي لقصيدته	٧١
١١	٣- الصدق الفني	٧٤
١٢	٤- النزعة الذاتية	٧٧
١٣	٥- طول النفَس الشعري	٨٣
١٤	٦- الأسلوب واللفظ	٨٩
١٥	٧- الصورة الشعرية	٩٤
١٦	٨- الإيقاع	٩٨
١٧	٩- التنوّع في شعره	١٠٥
١٨	ثانيا : ديوان الشيخ راشد	١١٣
١٩	* المصادر	١٨١
٢٠	* ملحق : (الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف اللمكي) للدكتور/ وليد خالص	١٨٨

فهرس القصائد

م	المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الموضوع	الصفحة
١	طِلابِي لِنَيْلِ المَجْدِ أَسْمَى المَطَالِبِ	المَذَاهِبِ	الطويل	٥٤	حكمة	١١٤
٢	مِنَ اللهِ أَرْجُو دَفْعَ مَا بِي مِنَ الكَرْبِ	الصَّعْبِ	الطويل	١٦	دعاء وتضرّع	١٢١
٣	أَسِيْرُ الحُبِّ يَنْحُوْ	رُوْحُ	مجزوء الوافر	٣٤	سلوك	١٢٣
٤	يَا نَاظِرِي سِرِّ القَدَرْ	مُعْتَبَرْ	مجزوء الكامل	١٠٠	فكر عقدي	١٢٩
٥	عَلا شَرَفاً هَذَا المَقَامُ وَذَكَّرَا	قُرَّرَا	الطويل	١١	وصف	١٤٢
٦	أَيَا فَلَجَ المَحْيُوْلِ ضَيَّقْتَ لِي صَدْرِيْ	الهَجْرِ	الطويل	١٤	وصف	١٤٥
٧	أَيَا فَلَجَ المَعْمُوْرِ هُنِّيْتَ بِالبِشْرِ	ضُرِّ	الطويل	٢٢	وصف	١٤٨
٨	إِلَهِيْ إِلَيكَ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَا	سَامِعُ	الطويل	١٧	ابتهال (سلوك)	١٥١
٩	لَكَ الفَوْزُ لَكِنْ بِخُلْقٍ كَمُلْ	العَمَلْ	المتقارب	١١	نصح وإرشاد	١٥٣
١٠	قُلْتُ وَقَوْلِيْ قَدْ عَرَى مِنَ الزَّلَلْ	الهَزَلْ	الرجز	٢٧	نصح وإرشاد	١٥٤
١١	أَنَدِيْمَ الحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَسْلُو	تَغْلُو	الرمل	٢٤	سلوك	١٥٩

١٢	أَلا بِيَدِ التَّوْفِيْقِ نَيْلُ الفَضَائِلِ	القَوَابِلِ	الطويل	٢٤	حكمة	١٦٤
١٣	فَمَنْ يَوْمَهُ أَمْضَى وَلَمْ يَكُ قَدْ قَضَى	الْتَزَمْ	الطويل	٣	نصح وإرشاد	١٦٩
١٤	وَرَجُل قَالَ لِبَعْضِ الحُكَمَا	تَنْدَمَا	الرجز	١١	حكمة	١٧٠
١٥	صَمَدتُ لِذِي (النُّعْمَى) لِيَكْشِفَ مَا بِيَهْ	رَزَانِيَهْ	الطويل	٤٦	شكوى	١٧١
١٦	أَرُوْمُ جَوَاباً مِنْ فَتَىً صَارِمِ الحَدِّ	الرُّشْدِ	الرجز	٢٥	فقه	١٧٧

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهّاب، رفع مقام الشعراء المستثنَيْنَ في الكتاب، وجعله قرآنا يتلى إلى يوم الحساب، تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وأصلي وأسلم على الهادي إلى الحق منهج الصواب، القائل (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله والأصحاب، ومن تبعه واقتفى أثره ما جادت المزن تحيي الأرض اليباب، وبعد..

فإن أدبنا العماني على مرّ عصوره لا زال أكثره ينتظر من ينفض عنه غبار السنين من مخطوطاته المتراكمة، وقصاصاته المتناثرة ؛ ليسلك الطريق إلى التحقيق والتدقيق، مواصلا سيره إلى التحليل والدراسة، بامتدادها الأفقي على مستوى المخطوط، ثم الرأسي على مستوى علاقاته الزمانية والتأثيرية والتأثرية بالمخطوطات الأخرى.

وما بين أيدينا ديوان الشيخ القاضي الأديب راشد بن سيف بن سعيد اللمكي -رحمه الله- جاءت العناية به ضمن أعمال الندوة العلمية عن الشيخ وآثاره العلمية، التي نظمتهَا اللجنة الثقافية بنادي الرستاق الرّياضي الثقافي.

وفي مرحلة جمع الآثار الشعرية للشيخ راشد استلمتُ بيد الشكر من الأخ الكريم نبهان بن سيف بن سالم بن سيف بن سعيد اللمكي مخطوطا مصوَّرا في شكل كرّاس يحوي بين دفتيه مقطوعة شعرية وثماني قصائد ، كلها منسوبة للشيخ راشد اللمكي ، أما المقطوعة الشعرية فمطلعها قوله : (فمن يومه أمضى)وأما القصائد الثمانية فمطالعها كالآتي: (علا شرفا هذا المكان وذكرا) - (أيا فلج المحيول ضيّقت لي صدري)- (أيا فلج المحيول هنّيت بالبشر) - (لك الفوز لكن بخلق كمل)- (أنديم الحب يا من ليس يسلو)- (قلتْ وقولي قد عرى من الزلل)- (ورجل قال لبعض الحكما) ، أما القصيدة الثامنة فمطلعها :

ألا حيَّا الغمامُ ربوعَ قصرى فضاحك روضها صبحا وعصرا

لكن أثناء العمل في هذا المجموع الشعري تبيّن لي أنها للشيخ القاضي عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي فقد أوردها الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في (شقائق النعمان ، جـ١ ، ص ٣٩٠) منسوبة إلى الشيخ الهاشمي في اثنى عشر بيتا ، أما الواردة في المجموع الشعري للشيخ راشد اللمكي فهي الأبيات الستة الأُوَل فقط من قصيدة الشيخ الهاشمي ؛ ولذا استبعدت نسبتها للشيخ راشد؛ لأنها بعضٌ من القصيدة الكاملة المنسوبة للشيخ الهاشمي في الشقائق ، كما أن المخطوط ليس بخطّ الشيخ راشد، ويظهر أنه لم يكتب في عصره وإنما دُوّن فيما بعد ، فترجّح أن

الشيخ اللمكي رواها عن الشيخ الهاشمي ، ومع تقادم الزمن نسبها النسّاخ إلى الشيخ اللمكي ظنّا منهم أنّها له.

أما قصيدة (سر القدر)التي تبدأ بقوله (يا ناظري سر القدر)فقد استلمت نسخة من الأوراق المدوّنة فيها أيضا من الأخ الكريم نبهان اللمكي ، والقصيدة منسوبة إلى الشيخ راشد ، وهي بخط أخيه الشيخ سالم بن سيف بن سعيد اللمكي، يقول في الصفحة الأخيرة بعد تمام القصيدة : (تمت هنا وهي مائة بيت والحمد لله على التمام ، نظمها الثقة الورع العارف وحيد عصره ، وفريد دهره الأخ راشد بن سيف اللمكي ، والحمد لله رب العالمين)، وقد أفادني مشكورا الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي بأنه وجد النسخة الأصل من هذه القصيدة مع جملة أوراق منثورة في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، وغير مصنّفة، وقد ترددت على مكتبة السيد محمد لغرض الحصول عليها، لكنني لم أهتد إليها .

أما قصيدة (إلهي لك الحمد) فقد وجدتها مضافة في آخر المخطوط (مسالك المناسك) للشيخ راشد اللمكي نفسه ، وهذا المخطوط مصنّف في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي تحت رقم (٦٠٩)، وهو بقلم الناسخ حمد بن عبدالله بن حسن بن علي البلوشي، وقد نسبت القصيدة المذكورة للشيخ راشد.

أما قصيدة (ألا بيد التوفيق) فقد ألحقت بآخر مخطوط (كتاب الشيخ أحمد بن النضر الدعائم واللامية المنسوبة إليه)، وقد وجدته بمكتبة المرحوم جدي عبدالله ابن زهران بن زاهر الرمحي بولاية الرستاق بلدة عيني، ويضم هذا المخطوط في جزئه الأول ديوانَ الدعائم للعلامة أبي بكر أحمد بن النضر ولاميته في الولاية والبراءة، أما الجزء الثاني منه فيحوي نظما فقهيا للشيخ عبدالله بن مبارك الربخي والشيخ خميس بن رويشد والشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، والمخطوط بخط الناسخ عبيد بن مسعود بن سعيد بن عمر بن عبدالله الهميمي البهلوي عام ١٢٩١ هـ، أما قصيدة الشيخ راشد (ألا بيد التوفيق) فقد خطها في آخر هذا المخطوط الناسخ حماد بن خلفان بن حماد الشرياني عام ١٣٣٥ هـ وقت محاصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي بلد الرستاق.

أما القصائد الأخرى فقد أوردها الشيخ الخصيبي في شقائقه (جـ٣، الصفحات ١٣٦-١٤٥)، وجملتها خمس قصائد، ومعها منظومة فقهية صاغها الشيخ راشد جوابا لسؤال منظوم، وضممت جميع ذلك إلى القصائد الأخرى السابقة الذكر، ولم يتيسّر لي معرفة المصادر التي اعتمد عليها الشيخ الخصيبي في روايته لقصائد الشيخ راشد في كتابه الشقائق.

هذا وفي مرات ترددي على مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي كنت أبحث عن أي جديد يتعلق بالشيخ راشد في مظانّه من المخطوطات التي تيّسر لي

الاطلاع عليها ، إضافة إلى ما تيسّـر الاطـلاع عليـه في دار المخطوطـات بـوزارة التراث والثقافة، ولقاء مع أقارب الشيخ ، محاولا بذلك تتبـع آثـار الشـيخ ، فلـم أجد ما أضيفه إلى شعره أكثر مما جمعته ، فاطمأنّت النفس واستقرّ الأمر على ما هـو عليه الآن ، إلا أن انطواء قابل الأيام ومرّ قادم السنين كفيل بكشـف النقـاب عـن آثار أخرى للشيخ راشد تضاف إلى ما تيسر جمعه في هذا السّفر.

وقد قدمت بين يدي الديوان دراسة متواضعة بدأتها بالحديث عن حياة الشيخ مما أمكن تتبعه من المصادر، مركّزا على الحياة العلمية التي عاشها الشيخ، ثم تناولـت الحديث عن الحياة السياسية والأدبية في عهد الشيخ راشد وقبيل ذلك؛ لتنكشـف لنا بيئة الشاعر ومجريات الحياة فيها.

أما عن (الإطلالة على الخصائص الفنية لشعره) فلم يكن بخَلَدي بدايـة الأمـر أن تخرج بتلك الصورة ، وإنما كنـت نويـت أن أسـلط الضـوء عـلى شـعر الشـيخ في صفحات لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحـدة ، إلا أننّـي وجـدت الحـديث ذا شجون ، وهذا شأن كل من تناول قصيدة بالدراسة ، فكيف مَنْ بين يديـه مجمـوع شعري ؟! إذ يجد فيه ألف حكاية وحكاية ؛ فمرة تغريـه ظـاهرة أسـلوبية ، ومـرة تبرق له لمسة بيانية ، ومرة تأسره نبرة إيقاعية وهكـذا دواليـك ، ومـا ذاك إلا مـن سِحْر البيان ، ونَفْث المقال ، لكن أرجـو ألا يكـون مـا كتبتـه في تلـك الإطـلالة تطفّلا على مائدة المهتمين بالأدب ونقـده، فهـو لا يعـدو أن يكـون نظـرة طـائر،

وإشارةً من بعيد ، وعسى الله أن يقيّض لهذا الأمر نقادا حاذقين ، يدرسونه بمنهجية أقوم وقراءة أعمق .

أما عن العمل الذي قمت به في أشعار الشيخ راشد فهو يتمثل في تصويب الأخطاء الإملائية التي يقع فيها النسّاخ أو الطباعية في قصائد (شقائق النعمان)، مع ضبط الكلمات ، وإتمام البياض بما يتسق والمعنى المراد ، وتوضيح معاني الكلمات في الهامش ، أو أي تعليق يقتضيه المقام ، أما بالنسبة لشعر السلوك فمع توضيح المعنى اللغوي أوضحت كذلك المعنى الاصطلاحي ؛ كي لا يلتبس معنى البيت على القارئ ، ومن المصادر التي تيسّر الاعتماد عليها في توضيح معاني الاصطلاحات الصوفية لشعر السلوك :كتاب علي بن محمد الجرجاني الموسوم بـ(التعريفات)الملحق بآخره (اصطلاحات الشيخ محيي الدين العربي)، و(كشاف اصطلاحات العلوم والفنون) لمحمد علي التهانوي ، و (موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلامي)للدكتور رفيق العجم، و(الكليّات) لأبي البقاء الكفوي.

وعلى رأس كل قصيدة قمت بتحديد بحرها العروضي ، ورقمها التسلسلي ، ولاختلاف مصادر القصائد كان الاعتماد في تسلسلها على الترتيب الألفبائي لرويّها، كما هو معهود في كثير من الدواوين، ولم أشأ ترتيبها حسب موضوعاتها

لعدم احتمالها ذلك ؛ لقلة القصائد وتداخل موضوعاتها، سوى أن المنظومة الفقهية قد أفردتها في الآخر لخصوصية نظمها العِلْمي.

وأخيرا .. فإني أزجي من الشكر أعطره، ومن العرفان أزكاه للشيخ الأديب مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي، وللجنة الثقافية بنادي الرستاق الرياضي الثقافي وأخص بالشكر الأستاذ ناصر بن راشد بن حميد العبري رئيس اللجنة، كما أوجه شكري وتقديري للأخ الكريم نبهان بن سيف بن سالم اللمكي، والأستاذ الفاضل سيف بن سليمان بن عبدالله المعمري، ولتلك الأنامل المباركة التي عنيت بطباعة هذا العمل، وإلى مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ودار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة، وكل من كان له فضل، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ويغفر لصاحبه زلته، ويقيل عثرته، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد بن محمد بن عبدالله الرمحي

ربيع الأول ١٤٣٠هـ - مارس ٢٠٠٩م

صورة رقم (١)

صورة من قصيدة (إلهي) من مخطوط (مسالك المناسك)

صورة رقم (٢)

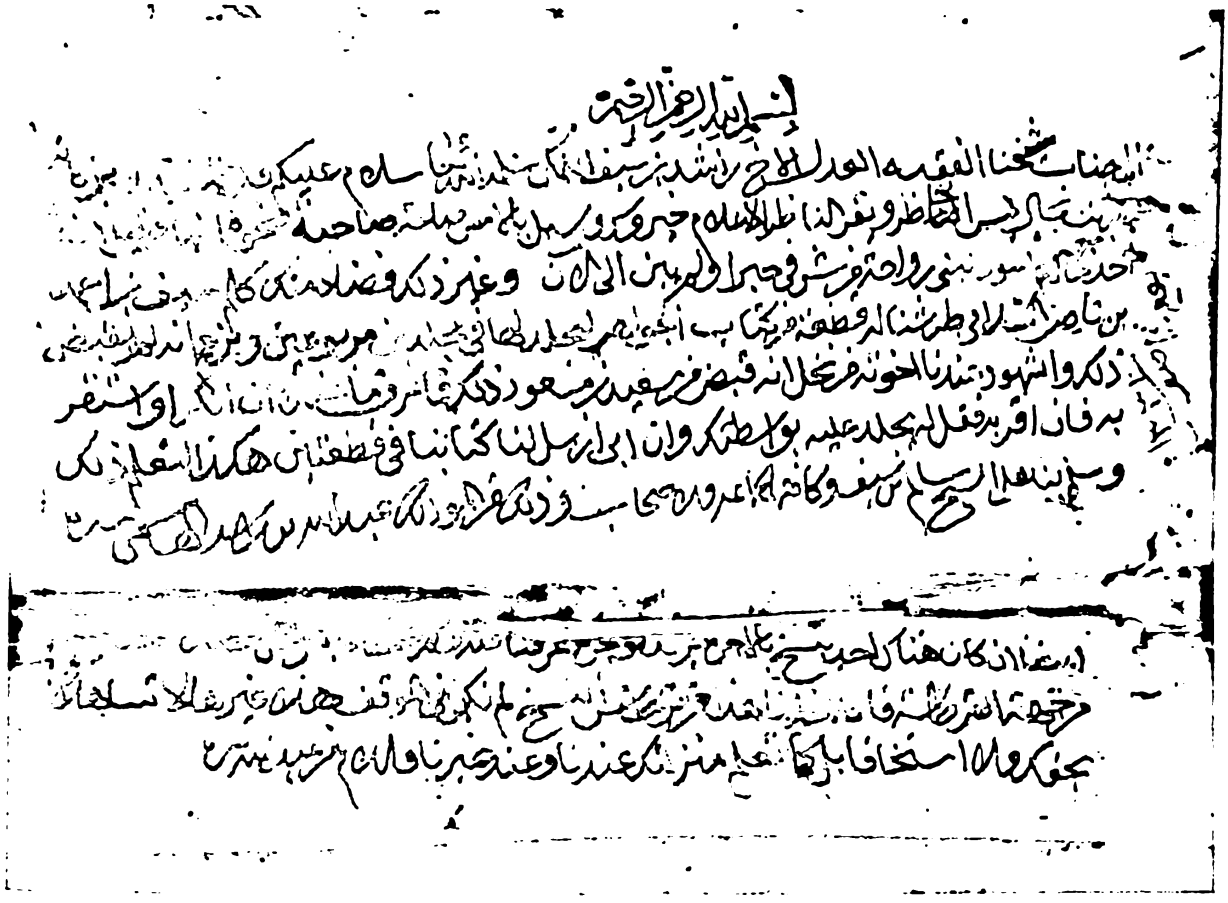

صورة من رسالة الشيخ عبدالله بن راشد الهاشمي إلى الشيخ راشد بن سيف اللمكي

صورة رقم (٣)

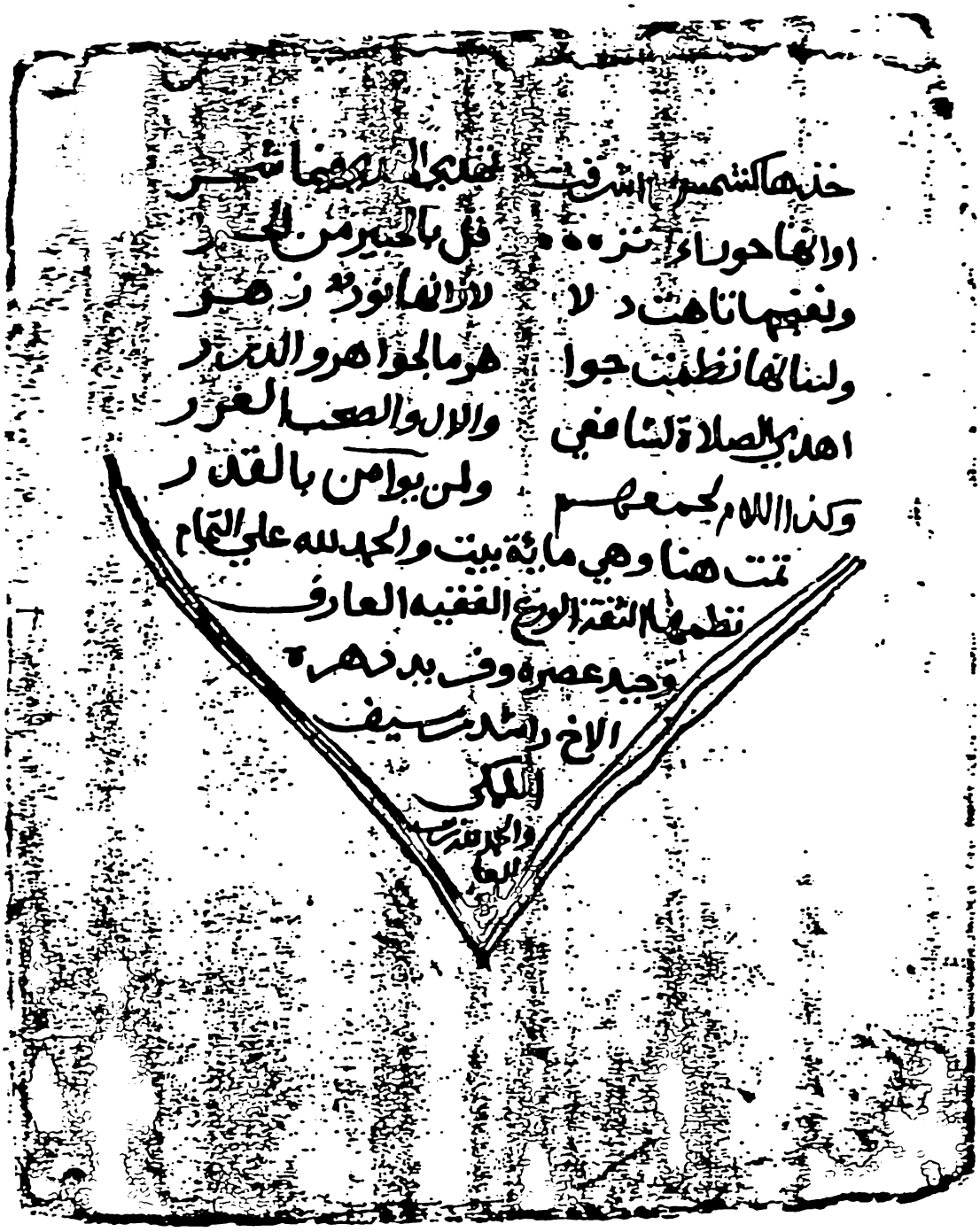

صورة من الصفحة الأخيرة من قصيدة (سرّ القدر)

صورة رقم (٤)

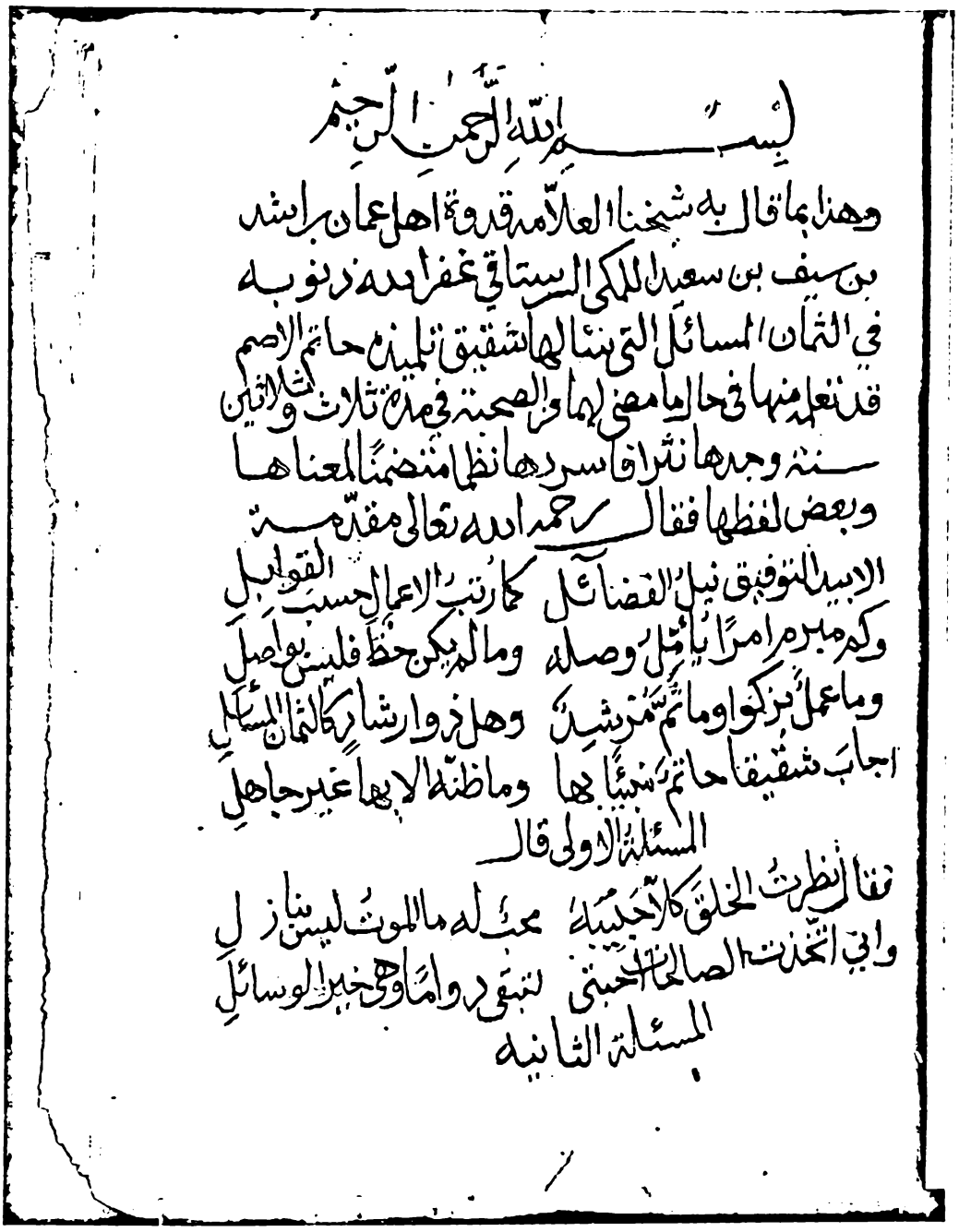

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذا ما قال به شيخنا العلامة قدوة اهل عمان راشد
بن سيف بن سعيد المكي الستاقي غفر الله ذنوبه
في الثمان المسائل التي سئالها شقيق تلميذ حاتم الاصم
قد تعلمها في حال ما مضى لها والصحبة في مدة ثلاث وثلاثين
سنة وجدها نثرا فاسردها نظما متضمنا لمعناها
وبعض لفظها فقال رحمه الله تعالى مقدمة

الا بيد التوفيق نيل الفضائل كما رتب الاعمال حسب القوابل
وكم مبرم امرا يأمل وصله ومالم يكن حظ فليس يواصل
وما عمل يزكو وما تم مرشد وهل ذو ارشاد كالثمان المسائل
اجاب شقيقا حاتما منبئا بها وماظنه الا بها غير جاهل

المسئلة الاولى قال

تقال نظرت الخلق كالاجنبية محب له ما للموت ليس بنازل
واني اتخذت الصالحات احبتي لتبقى دواما وهي خير الوسائل

المسئلة الثانيه

صورة من الصفحة الأولى لقصيدة (ألا بيد التوفيق) من مخطوط (الدعائم ومنظومات أخرى)

أولا : الدّراسة :

أ- حياة الشيخ راشد بن سيف اللمكي.
ب- الحياة السياسية والأدبية في عصره.
ج- إطلالة على الخصائص الفنية في شعره.

أ- حياة الشيخ راشد بن سيف اللمكي

- نشأته وصفاته ودوره في المجتمع :

هو الشيخ راشد بن سيف بن سعيد بن راشد بن عبدالله اللمكي (١)، ولد بمحلة قصرى بولاية الرستاق عام ١٢٦٢هـ، ونشأ فيها وتعلّم، وجدّ في طلب العلم واجتهد.(٢)

أما عن أسرته فوالدته غيثة بنت عبدالله اللمكية، وزوجه شيخة بنت مهنا المنورية، وأخوه سالم، ولم يخلّف الشيخ سوى بنتين عزة وثريا. (٣)

وقد نشأ الشيخ في كنف والده الشيخ سيف بن سعيد اللمكي، وتعلم القراءة والكتابة، وكان جيد الإملاء يفوق أقرانه، وذات يوم توارى عن مجلس والده ، فذهب إلى مدرسة الشيخ العلامة الفاضل ماجد بن خميس العبري بمقصورة طوي المخرج (اسم مكان)، إحدى ضواحي بيت المال، تقع جنوب القلعة بالقرب من محلة بيت القرن، ورافقه إلى المدرسة بعض من أولاد الشيخ سيف بن خميس البوسعيدي، فلما وَصَل عند الشيخ أخذ يتفرس فيه، وعادة الشيخ التفرس في الأولاد، فاختبره في القراءة والكتابة، فوجده جيدا، فشرع أن سلّم إليه كتابا من كتب النحو، وعادته الابتداء بالعربية، واتخذه قارئا له،و ملازما عنده، بعد ما طلبه من والده، وطلب الرضا منه، وكان من حبه له أن زوجه بكريمته، أصدقها عنه السيد فيصل بن حمود بن عزان.(٤)

أما صفاته فقد عُرف بالفضل والزهد والورع، وكانت حياته طيبة نيّرة بالعلم والدين، زاهرة بمكارم الأخلاق، يشهد على ذلك سيرته مما أُثر عنه من حرصه على العلم مما سيرد ذكره في هذه الترجمة، وكذلك اهتمامه بخدمة الناس في شؤون دينهم ودنياهم ككتابة الوصايا والصلح بينهم ، والقضاء في خصوماتهم فقد كان الشيخ مدار الفتوى ورئيس القضاة في الرستاق ونواحيها، كما كان له دور المصلح الاجتماعي؛ فكان يحرّض الأغنياء على المسابقة إلى فعل الخيرات؛ فتبرّع كثير منهم بحبس الأموال على المتعلمين، وفي أبواب الخير. (٥)

ورغم القلاقل والاضطرابات السياسية التي حصلت في زمنه إلا أن الشيخ كان بعيدا عن ذلك، منعزلا عن الفتن مشتغلا بما يخدم به دين الله تعالى، وهذا ما نستشفه من أشعاره مما سيتضح لك لاحقا، كما كان الشيخ راشد من النصحاء لدولة الإمام سالم بن راشد الخروصي رحمه الله.(٦)

ومع أن الشيخ راشد وُصف بزهده إلا أنّه عُرف عنه عنايته بلباسه وهندامه؛ فكان يملك جملة من البُشُوت (الأَرْدِيَة) الحسنة المنظر يزيّن بها لباسه، وكان حريصا على التعطّر دائما بأحسن العطور، وهذا يعكس لنا أن للزهد مفهوما خاصّا عند الشيخ، والقصة التالية تكشف لنا ذلك ؛ فقد روى لنا فضيلة الشيخ الجليل سعيد بن خلف الخروصي – حفظه الله– نقلا عمن سمعه أنّ أحد المقربين المحبين للشيخ راشد قال له : " يا شيخ إني أعتب عليك في نفسي أمورا بعضها ظاهر،

وبعضها مخفيّ "، فقال الشيخ راشد : " وما هـذه الأمـور التـي تعتبهـا عـليّ ؟ " ، فقال : " أعتب عليك أمورا ظاهرة؛ فأنت تسكن في هذا البيت الكبير، وتتـزين في لباسك بهذه البُشُوت المطرّزة، وعنايتك بهذه العطور العبقة الفوّاحة، والأولى بـك أن تسكن في عريش وتزهد عن كل ذلك " ، فقال الشيخ : " هذه الأمور الظـاهرة وماذا تعتب عليّ من الأمور المخفيّة ؟ " ، فقال له : " أعتب عليـك هـذه الحلـوى التي في بيتك، والأولى بك أن تزهد عن ذلك "، فـردّ عليـه الشـيخ قـائلا : " أمـا قولك أني أسكن في هـذا البيـت الكبـير فأنـت تعلـم أني أتحمّـل أمانـات النـاس وأحفظها في بيتي، ومَنْ تحمّل أمانات الناس وحفظها لزمه تحصينها، أرأيت لو أنّي حفظتها في عريش أسكنه كما تسكن أنت فيـه أكنـت آمنهـا مـن السـرقة؟ ، فـرد المعاتب : " لا يا شيخ ، بل لا تأمن حتى على نفسـك " ، ثـم قـال الشـيخ : " أمّـا عنايتي باللباس والعطر والحلوى فإن ذلك مما يعين النفس على العلم وفهمه، بدل أن تكون رثّ الحال " فاقتنع المعاتب بجواب الشيخ، وقَبِلَ عذره. (٧)

ولا ريب أن المراسلات بين العلماء تكشف لنا جانبـا مـن العلاقـات القائمـة فـيما بينهم، وينطوي مضمونها على دلائل ومؤشرات تعكس شخصية كل من المرسـل والمرسَل إليه، ومما بقي محفوظا من المراسلات بين الشيخ راشد ومعاصريـه تلكـم الرسالة الصادرة من الشيخ عبدالله بن راشد بن صالح الهاشمي إلى الشيخ راشد، يقول فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم إلى جناب شيخنا الفقيـه العـدل الأخ راشـد

بن سيف اللمكي سلّمه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد فإننا) (٨) بحال يسر الخاطر ويقر الناظر، الإعلام خير وسرور، بل بالأمس صاحت (صايحة) (٩) ضحوة النهار وقيل إنه أخذ خادم أسود لبني رواحة شرقي حُبْرا ولم يبن إلى الآن، وغير ذلك فضلا منك كلم سيف بن أحمد بن ناصر السلامي طرَّشنا(١٠) له قطعة من كتاب الجواهر لتجلد لها(١١) في مجلدين مربوعين، ويزعم أنه لم يقبض ذلك، والشهود عندنا إخوته من نخل أنه قبض من سعيد بن مسعود ذلك، فاعرف ما عنده إن أنكر أو استقر به، فإن أقر به فقل له يجلد عليه بواسطتك، وإن أبى أرسل لنا كتابنا في قطعتين، هكذا لتعلم ذلك، وسلم لنا على الشيخ سالم بن سيف وكافة الجماعة والأصحاب، وذلك من المُودّ لك عبدالله بن راشد الهاشمي بيده (١٢).

أبلغنا إن كان هناك أحد ينسخ بالأجرة يريد (أن) (١٣) نؤجره، عرفنا عنه وكم يستحق من قرش فضة بعد النسخ، من جهة القرطاسة فإنا أخذنا هذا من قرطاس النسخ لم نكن في الموقف هذا غيرها، لا تساهلا بحقك ولا استخفافا، بل كما تعلم منزلتك عندنا وعند غيرنا والسلام من عبدالله بيده يوم ١٤ صفر سنة ١٣٣٢ " (١٤)

والشيخ عبدالله بن راشد الهاشمي هذا أصله من بلدة عيني من أعمال الرستاق، وكان على رأس المبايعين والمناصرين للإمام سالم بن راشد الخروصي، وكان قاضيا

فقيها، تولى للإمام الخليلي قضاء نخل، وقد عاش محمود السيرة إلى أن توفاه الله تعالى. (١٥)

- البيئة العلمية بالرستاق في حياة الشيخ راشد ودوره فيها :

محلة قصرى المذكورة سابقا معروفة على مرّ التاريخ موطنا لأهل العلم والفضل، ففيها بيت العلامة خميس بن سعيد الشقصي- صاحب كتاب (منهج الطالبين)، وربيبه الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وغيرهما، وتقع قريبا من قلعة الرستاق مركز الحكم ومقرّ القيادة على مرّ التاريخ، وتحديدا تقع محلة قصرى في الشمال الشرقي من القلعة يقول الشيخ محمد ابن نور الدين السالمي واصفا قصرى في عهد الشيخ راشد : " كانت الرستاق ذلك الوقت معدن العلماء ومجمعهم بقصرى، وهي حارة من حوايرها، فلا تسل عما هنالك من الأفاضل وكشفهم لمعضلات المسائل ". (١٦)

ومما يُلْمح أيضا عن البيئة العلمية في الرستاق في مرحلة تعلّم الشيخ راشد وذلك قبل قيام دولة الإمام عزان بمدة يسيرة من الزمن أن السيد المفضال قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد - وهو أمير الرستاق حينها- كان يحبّ طلبة العلم وينفق عليهم ويقرّبهم، وكان عنده عدد من العلماء والمتعلمين من أهل الباطنة، حتى إن غرفة الصلاة في قلعة الرستاق - وهي غرفة الاستقبال – لا تجد فيها غالبا إلا ناسخا أو مملیا أو مصحّحا أو مدرّسا أو مكرّرا، وكان السيد قيس

يجلس عندهم إذا ارتفع من مجلسه العمومي؛ فيقدم لهم من كل ما يوجد من طُرَف الفواكه من السوق كل شيء في أوانه ترغيبا لهم، ومحبة لما هم بصدده من العلم ودراسته. (١٧)

***

وكان الشيخ راشد قد لازم العلماء والأفاضل في الرستاق، وأهم تلك الشخصيات وأبرزها الشيخ عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي، و الشيخ ماجد بن خميس العبري، و السيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان البوسعيدي، وسنتحدث عن جانب من سمات هذه الشخصيات التي لازمها الشيخ راشد، ولاسيما أن لكل شخصية من هذه الشخصيات أثرا كبيرا على مجتمع بلده الرستاق من الناحيتين السياسية أو الثقافية.

فالشيخ الجليل عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي كان يومئذ أكبر هم سنّا(١٨)، وقد أخذ العلم عن الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، وكان عضدا قويا له عند قيامه بالإصلاح، كما كان واليا للإمام عزان على الرستاق، وأحد جهابذة العلماء المشهورين بالفضل، وأحد القضاة القائمين بالرستاق (١٩)، وليس ببعيد أن يكون الشيخ راشد أحد تلامذته.

***

وتتلمذ الشيخ راشد على يد الشيخ ماجد بن خميس العبري -كما سبق- الذي نزل الرستاق قادما من موطنه الحمراء عام ١٢٧١هـ بعد وفاة والده، وقد وجد في الرستاق الشيخ العلامة محمد بن سليم الغاربي فتتلمذ على يديه، وعند قيام دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي – رحمه الله – عام ١٢٨٥هـ عيّنه واليا على بهلى، ثم رجع إلى الرستاق مرة أخرى بعد استشهاد الإمام عزان عام ١٢٨٧هـ، ومكث بها إلى عام ١٣٠٥ هـ.

والشيخ ماجد كان واليا وقاضيا وأديبا ناظما للشعر، توجد له أجوبة في فنون مختلفة، وله أشعار ذُكر طرف منها في كتاب (شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان)، ومن بين ما ورد في الشقائق نظم الشيخ ماجد سؤالا منثورا ورد إليه من الشيخ راشد بن بن سيف اللمكي، يقول صاحب الشقائق متحدثا عن الشيخ ماجد : " وقد ورد إليه سؤال من الشيخ راشد بن سيف اللمكي نثرا، فنظم الشيخ (أي الشيخ ماجد) السؤال والجواب، قال :

سؤال من اللمكي أخو الحلم راشد ... إلى خلّه العبري يُدعى بماجد

إذا كانت الغلات تبقى كثيرة ... بكفّ وكيل حافظ للمساجد

وليس لها من سنة تستجيحها ... وقد فضلت غلاتها من عوائد

فما القول فيها يا أخا العلم والحجا ... عداك الأذى والشر من كل حاسد

ثم نظم الشيخ ماجد الجواب أيضا قائلا في مطلعه :

إليك جوابا فاصغ نحو الفوائد عن السادة الأحبار والشيخ جاعد

إلى آخر ما قاله في جوابه هذا. (٢٠)

ويروى لنا الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري (وُلد عام ١٣١٤هـ) رؤيا رآها الشيخ راشد بن سيف اللمكي، وقد روى ذلك في ترجمته لشيخه ماجد بن خميس العبري، وأن هذا الأخير كان يترسم خطا الإمام أبي سعيد الكدمي في آثاره العلمية، يقول الشيخ إبراهيم : " ومما يؤيد هذا ما حدّث به الشيخ العالم الفقيه راشد بن سيف بن سعيد اللمكي الرستاقي - رحمه الله - وأنا حاضر معه، قال : رأيت ذات ليلة الشيخ أبا سعيد حيّا، ثم خرج عنّا يمشي، ورأيت الشيخ ماجد خرج معه يتبعه، ويضع قدمه مكان قدم الشيخ، فإذا رفع الشيخ الإمام قدمه من الأرض وضع الشيخ ماجد قدمه مكانها، إلى أن غاب عن نظري " يقول الشيخ إبراهيم متابعا حديثه وواصفا هذه الرؤيا : "وهذه الرؤيا حق فإن الشيخ (أي الشيخ ماجد) كان يحذو طريقة الإمام (أي الشيخ الكدمي) حذو القُذّة بالقُذّة". (٢١)

***

كما لازم الشيخ راشد أيضا السيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان البوسعيدي الذي كان محبّا للعلم وأهله، وكان يبذل من ماله للعلم والمتعلمين؛ تشجيعا لهم

كنسخ الكتب ووقف الأموال، من ذلك دعوته لقطب الأئمة الشيخ العلامة محمد بن يوسف أطفيش الميزابي الجزائري - رحمه الله - ليشرح القصيدة العبيرية للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي صاحب بيان الشرع ، يقول القطب - رحمه الله - في مقدمة شرحه : " وبعد فقد دعاني الشيخ الرئيس الأصيل الفصيح البليغ الكاتب الجليل فيصل بن حمود العزّاني الإباضي الوهبي العماني أن أشرح العبيرية شرحا خاليا من الإكثار من مسائل المعقول مقتصرا على المنقول من أحاديث الرسول ...". (٢٢)

ومما يثبت العلاقة بين الشيخ راشد والسيد فيصل - وهو يثبت في الوقت نفسه عناية السيد فيصل بالعلم - ما نجده في مخطوط (مكنون الخزائن وعيون المعادن) للشيخ موسى بن عيسى البشري يقول الشيخ راشد في آخر الكتاب : " وتمت القطعة الأولى من النصف الأول من قطعة الأديان من كتاب مكنون الخزائن وعيون المعادن الذي ألفه الشيخ العالم الفقيه النحرير موسى بن عيسى ويتلوها القطعة الثانية من النصف الأول من قطعة الأديان فكان مجموع قطعة الأديان في أربعة مجلدات نُسخ لسيدنا التقي الزاهد الرضي الثقة الورع الهمام فيصل بن حمود بن عزان أعز الله به الإسلام وأهله والحمد لله حقّ حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ورسوله وعبده وعلى آله وصحبه وكل سالك سبيل هداه من بعده .

كتب هذا العبد الحقير راشد بن سيف بن سعيد اللمكي بيده بتاريخ يوم ٧ من شهر الحج سنة ١٣٠٣ ". (٢٣)

وقد كان نسخ هذا الكتاب للسيد فيصل مقتسما بين الشيخ سالم وأخيه الشيخ راشد؛ فكان عَمَلُ الشيخِ سالم نَسْخُ الكتاب، وعَمَلُ الشيخِ راشد ترتيبُ أبوابه.

***

ومن عناية الشيخ بالعلم أن أنشأ مكتبة في منزله، جمع فيها كتبا قيمة من فنون العلم وأجلها، وقد أقام نسّاخا ينسخون له الكتب على رأسهم أخوه الشيخ سالم بن سيف اللمكي، والشيخ مسعود المنذري، وسيف بن علي الفرقاني، ومسعود بن صباح الكندي بالولاء، وعلي بن سليّم الخصيبي، فأغلب الكتب الموقوفة من نسخ هؤلاء النسّاخ المذكورين، على نفقة الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي، الذي كان يرسل القرطاس الشامي، وغلائف الكتب.(٢٤)

ومن الأمثلة على الكتب المنسوخة له أمره لأخيه سالم بنسخ كتاب (مقاليد التصريف) للعلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي - رحمه الله - ؛ أي بعد إحدى عشرة سنة من استشهاد المحقق الخليلي، يقول الناسخ في آخر المخطوط : " تم الكتاب المسمى (مقاليد التصريف) وهو تأليف الشيخ العالم الفاضل الزاهد الفصيح فريد دهره ووحيد عصره سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي البوشري رحمه الله وغفر له اللهم اجعله معلما وإماما وانفعنا ببركة دعاه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد ولا قوة إلا بالله العلي الصمد الكريم العظيم آمين .

وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب الشريف يوم ١٨ من شهر محرم سنة ١٢٩٨م كتبه للشيخ الفقيه العالم الزاهد الورع راشد بن سيف اللمكي الفقير لله المعترف بالذنب والتقصير سالم بن سيف اللمكي بيده ". (٢٥)

ومن بين تلك الكتب المنسوخة أيضا(قاموس الشريعة) تسعون جزءا، و(بيان الشرع) اثنان وسبعون جزءا، و(المصنف) أربعون جزءا، و(التمهيد) أربع قطع، و(منهج الطالبين)، وجامع أبي محمد، وكتاب المعتبر، وكتاب (الاشتقاق) لابن دريد، و(جامع ابن جعفر) ثلاث قطع، و(اللباب) قطعتان، و(كرسي الأصول)، يُضاف إلى ذلك ما حوته مكتبته - ولو من بعده- من الكتب المطبوعة، كتفسير الشيخ محمد بن أطفيش (هيميان الزاد)، وتفسير الفخر الرازي، وتفسير الكشاف، وكتاب النيل، ومعجم تاج العروس، وحاشية الصبّان، وحاشية الترتيب، وجوهر النظام، وطلعة الشمس، ومشارق أنوار العقول. (٢٦)

***

يضاف إلى هذه الحركة العلمية قيام الشيخ بالتدريس في مسجد قصرى حتى كان جملة من اجتمع إليه من التلامذة يسرج لهم في مسجد قصرى بسبعة مصابيح (٢٧)، ومن جملة من تخرج على يديه من العلماء الإمام نور الدين السالمي، وابن عمه العالم الأديب أبو نذير شيخ البيان محمد بن شيخان السالمي الشاعر

المشهور(٢٨) ، والإمام سالم بن راشد الخروصي، وأخوه الشيخ ناصر بن راشد الخروصي(٢٩)، والشيخ خلفان بن عثمان بن خميس بن الشيخ جاعد بن خميس الخروصي (٣٠)، والشيخ راشد بن سعيّد بن شوين البداعي (٣١)، والشيخ سالم بن سيف اللمكي (٣٢)، والشيخ محمد بن شامس الرواحي (٣٣)، وكذلك أدركه في أواخر عمره الشيخ محمد بن حمد الزاملي. (٣٤)

ويروى عن الشيخ راشد قوله: "أخذت العلم عن الشيخ ماجد فصرت أوسع منه علما، وأخذ مني الشيخ السالمي فصار أعلم مني، ولا فخر، ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم".(٣٥)

ومن طريف المواقف مع طلبته ما رواه لنا فضيلة الشيخ الجليل سعيد بن خلف الخروصي – حفظه الله– نقلا عمن سمعه أنّ الشيخ راشد كان يدرّس طلابه فجاءه رجل في أمر، فخرج الشيخ عن طلابه قليلا ليقضي أمر الرجل، فلمّا رجع وجد تلميذه نور الدين السالمي منعزلا عن أقرانه في زاوية يقرأ كتابا، فناداه : " أنت يا ولد، ماذا تفعل هناك؟ " ، فردّ نور الدين السالمي : " أقرأ هذا الكتاب "، فأخذ الشيخ الكتاب فوجده في أصول الفقه، فاستصعب الأمر على تلميذه وهو في مقتبل عمره وبداية تعلّمه، فقال له : "وما عساك أن تفهم من هذا الكتاب؟"، فأجاب نور الدين: " يا شيخي هذا الكتاب مكتوب باللغة العربية، وأنا أعرف القراءة، وأفهم ما فيه"، فتعجب الشيخ من جرأته وجوابه ، وقال له : " طيّب ،

اقرأ واشرح لي ما فهمت "، فقام نور الدين السالمي يقرأ فيفنّد المعاني ويفصّلها بأحسن بيان، فتعجّب الشيخ من توقّد ذكائه وعمق فهمه، فكان كلّما جاءه زائر قال له : "ذلك الفتى (يقصد به نور الدين السالمي) جاء يتعلّم منّي النحو، فتعلّمت منه أصول الفقه". (٣٦)

***

وعرفت الرستاق بمكتباتها العلمية وأوقافها المخصصة للمكتبات وأهل العلم، وقد سار الشيخ راشد على نهج من سبقه من علماء الرستاق في وقف مكتباتهم كالشيخ خميس بن سعيد الشقصي، والشيخ محمد بن خميس البوسعيدي (٣٧)، في تأسيس مكتبته القيمة السالفة الذكر؛ وحفاظا على هذه المكتبة القيمة فقد حرص الشيخ على أن تضم هذه الكتب إلى وقفية الشيخ خميس بن سعيد الشقصي بالرستاق؛ لإصلاح الكتب وحفظها مع الأمناء، الذي يخلف هذا الشيخ من أسرته الصلحاء.(٣٨)

كما كان حريصا على إرشاد الناس، وترغيب الأغنياء على وقف اموالهم لأبواب البر، يدل على ذلك الوصايا المكتوبة بخطّ يده، وشهادة أخيه سالم عليها، ودوّن الوصايا بنفسه في مجلد خاصّ؛ حفظا لها، وحرصا منه على بقائها.(٣٩)

وقد صدح الشيخ راشد بشعره واصفا مقام كتبه؛ لما يجد فيه من حياة القلوب، وغَناء النفوس، وغذاء العقول، ولا تزال إلى يومنا هذا أموال خضراء موقوفة في الرستاق تُعرف بأموال المتعلِّمين.

إن هذه الحياة العلمية الحافلة التي حظي بها الشيخ راشد في الرستاق تجد صداها في شعره كالحديث عن صحبة أهل العلم ومجالستهم والاستئناس بهم، والحثّ على طلب العلم وبذل الحياة فيه.

- آثاره العلمية والأدبية :

أما عن آثاره فقد ترك الشيخ آثارا علمية وأدبية(٤٠)، هي كالتالي:

١ - (مجموع مسائل في مختلف الدعاوي والأحكام والديانات)، هكذا وردت تسميته في المصادر، وقد استلمت من الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي مشكورا نسخة مخطوطة من مجموع مسائل أجاب عنها الشيخ راشد، ولعله هو الذي تذكره المصادر، و هذا المجموع في ثماني صفحات، تشتمل على ثماني عشرة مسألة، سئل الشيخ راشد في ست عشرة مسألة منها فقط، في أبواب متنوعة من الفقه كالصلاة والطلاق والنكاح والميراث والزكاة والضمان وغير ذلك، أما المسألتان الأخيرتان فقد وجهت الأولى منهما إلى الشيخ عبدالله بن ماجد بن خميس العبري وهي مسألة نحوية، أما المسألة الأخيرة فهي سؤال نظمي لم يرد له جواب ، ويبدأ هذا المجموع

بقول الناسخ : " أسئلة للشيخ العالم الورع النزيه راشد بن سيف بن سعيد اللمكي أبقاه الله لنا معافى مُعَاناً صدرت من العاجز المحتاج إلى عفو الله ورحمته خادم العلم والمسلمين علي بن خميس بن راشد العبري بيده ..." (٤١)، وينتهي بسؤال نظمي ورد كالتالي :

إذا ذبح الإنسان يوما شُويهةً ... فبان له في بطنها فصٌّ ياقوتِ

لمن حكمه؟ قل لي، وهل فيه واجب ... نصيب لبيت المال في عصر طالوتِ؟

وقل لي ما معنى الهيولا ومثله الـ ... ـأقانيم والناسوت أيضا كلاهوتِ؟

وكم كانت الألواح لما رَمَى بها الـ ... ـكليمُ؟ وماذا كان في بطن تابوتِ؟

٢- المسالك في علم المناسك : مخطوط في الحج، توجد نسخة منه في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بولاية السيب، مصنف تحت رقم (٦٠٩).

٣- قصائد في فضل العلم والتحريض على نشر الحق، وقصائد في المواعظ والحكم والسلوك، وأجوبة نظمية، وقد سعى إلى جمع شتاتها هذا الديوان الذي بين يديك.

٤- مجموع أدعية ومواعظ وخطب(٤٢)، وهي كالتالي :

أ- دعاء قدوم شهر رمضان.

ب-دعاء المناجاة : دعاء تضرع وابتهال وتبتل للواحد الأحد الفرد الصمد.

ج- (الدعاء الجامع بالاسم الجامع) : يشتمل على مقدمة وخاتمة، بينهما ستة وعشرون مقاما.

د- دعوة الفتوحات المددية لنظام الأمة المحمدية : وهو دعاء لنصرة الحق وأهله والانتقام من البغاة الظالمين.

هـ- موعظة لأهل زمانه من عمان.

و- موعظة حسنة تحث على التمسك بسيرة الأنبياء ونهج الأولياء الصالحين.

ز- الدعوة الاستغاثية : وهو دعاء الاستسقاء.

ح- خطبة عيد الفطر المبارك.

٥- ديباجة لكتاب (كرسي أصول الدين في الولاية للمؤمنين المتقين والبراءة من الكافرين والمنافقين والحجة على الملحدين الضالين)للشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي : وقد صاغ الشيخ راشد هذه الديباجة لتكون مقدمة للكتاب المذكور، يقول موضحا ذلك : " الله ربي وهو حسبي وبه أستعين على القول بالحق لسلوك منهج الصدق، وبعد فهذه ديباجة أنشأناها وضعا وسردناها رصعا للكتاب المسمى بكرسي الأصول ، الذي تندهش من جلالة عظمته العقول، تصنيف من عقم الزمان أن ينتج بمثاله من الجهابذة الفحول، شيخنا البحر الزاخر، الحارز قصبات السبق بكليات المفاخر، وإن قيل الفضل للمتقدم فكم ترك الأول للآخر، ومع أنّا لم نجد بأوله ديباجة كما جرى به أسلوب المصنّفين

فقلنا معترفين بحمد الله أنّ الإنفاق على قدر سعة الأرزاق..."(٤٣) ثم يأتي بديباجته البديعة مثنيا فيها على المحقق الخليلي ورافعا شأن كتابه.

وبنظرة عجلى يظهر أن الشيخ راشد كان مهتما بآثار المحقق الخليلي، وقد عكس هذا الاهتمام تأثره به؛ فنجده ينحو منحى أستاذه في أسلوبه وطريقته شعرا ونثرا؛ فما تلك الأدعية والأوراد والتضرع والابتهال في شعره ونثره إلا نفحة من نفحات السلوك، نسجها على منوال المحقق الخليلي، وما تلك المواعظ الحسان إلا استلهام لمنهجه في إصلاح المجتمع، وترسّم لخطاه في النهوض بالحق لدحض الباطل، ويجاريه كذلك فيصوغ على طريقته خطبتي الاستسقاء وعيد الفطر، يضاف إلى ذلك تأثره أيضا بكتب الرقائق و تهذيب الأخلاق ككتاب إحياء علو م الدين للشيخ أبي حامد الغزالي مما سيظهر لك لاحقا.

- وفاته رحمه الله :

توفي الشيخ راشد عام ١٣٣٣ هـ وكان له من العمر إحدى وسبعون سنة، أي بعد السنة التي توفي فيها تلميذه نور الدين السالمي وبعد قيام دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي، ودفن في مقصورة سبأ شرقي محلة قصرى، وهي يومئذ ملك له، وبها دفنت أيضا أسرته الفاضلة (٤٤)، وهكذا انطوت صفحة مدرسة عظيمة من مدارس الكفاح للعلم وإصلاح المجتمع من سجل تاريخنا الحافل بأعلامه وأمجاده، رحم الله تلك النفس الطاهرة، وتغمدها برحمته، وأسكنها فسيح جناته.

الهوامش

١) انظر: مخطوط (ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بخط الشيخ سيف بن سالم بن سيف اللمكي، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٠هـ، ص١)، كما وجدت هذا النسب للشيخ في القطعة الرابعة من مخطوط مكنون الخزائن رقم ٥٣٥ يقول الناسخ للمخطوط الشيخ سالم أخو الشيخ راشد : " تمت الأبواب في جامع الشيخ موسى بن عيسى في الأديان كتبه سالم بن سيف بن سعيد بن راشد اللمكي بيده"، وكذلك وجدته في مخطوط (مسالك المناسك) للشيخ راشد بخط الناسخ له حمد بن عبدالله بن حسن بن علي البلوشي نسبا الإباضي مذهبا بمكتبة السيد محمد بن أحمد مصنف تحت رقم (٦٠٩).

٢) انظر: نهضة الأعيان، ص٢٠٨- شقائق النعمان، ج٣، ص١٣٥. لكن في مخطوط (ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي) ذُكر أن تاريخ ولادته عام ١٢٧٠هـ، وبعد التباحث مع الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي في هذا التاريخ أوضح لي أن هذا العام (أي ١٢٧٠هـ) هو عام ولادة الشيخ سالم بن سيف اللمكي أخي الشيخ راشد، أما الشيخ راشد فتاريخ ولادته هو

عام ١٢٦٢هـ، ومعروف أن الشيخ راشد أكبر سنا من أخيه سالم، بل هو أستاذه كما سيرد.

٣) الرستاق على صفحات التاريخ، ص٦٢ و٦٦ .

٤) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص١ .

٥) شقائق النعمان، جـ٣، ص ١٣٥ - نهضة الأعيان، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

٦) نهضة الأعيان، ص٢٠٩ .

٧) هذه القصة سمعتها عدة مرات من الشيخ سعيد بن خلف بن محمد الخروصي (مساعد المفتي العام للسلطنة) - حفظه الله - ، آخرها كان في زيارة له بمنزله العامر بالوادي الكبير بمسقط وذلك تقريبا في شهر شوال لعام ١٤٢٩هـ الموافق أكتوبر ٢٠٠٨م، وبعد أن دوّنتها عرضتها عليه مكتوبة فأقرها، وكذلك القصة التي سترد لاحقا مروية عنه، والشيخ سعيد قد عاش في الرستاق حين كان قاضيا بها، وله صلات كبيرة بالرستاق وأهلها، ولا تزال ألسنة الخاصة والعامة تذكر نداه وحكمته وعلمه.

٨) ما بين القوسين غير واضح في الأصل بسبب خرم وأتممته بما يقتضيه السياق.

٩) (صايحة) وردت في الأصل (صاحية)، ولعل المراد ما أثبته، وهو نداء المستغيث والمستنجد.

١٠) (طَرَّشْنا) لغة عمانية بمعنى (بعثنا) و(أرسلنا).

١١) (لتجلد لها) هكذا ورد الفعل في الأصل متعديا باللام.

١٢) ما يلي في الفقرة التالية ورد ملحقا بآخر الرسالة، وكأن الشيخ الهاشمي استدرك الأمر بعد أن ختم رسالته.

١٣) (أن) غير واردة في الأصل والسياق يقتضيها فأثبتها، ولعلها سقطت سهوا.

١٤) رسالة ملحقة بآخر مخطوط "جواهر الآثار" للشيخ جمعة بن علي الصائغي، الجزء الأول من القطعة الثانية عشرة، دار المخطوطات ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، رقم المخطوط (٢٧٩).

١٥) معجم الفقهاء، ج٢، ص ٢٧١.

١٦) نهضة الأعيان، ص٣٥٢ .

١٧) تبصرة المعتبرين، ص ٨٤ - وانظر : شقائق النعمان، جـ٣، ص١٠٧ - نهضة الأعيان، ص ٣٤٦ .

١٨) تبصرة المعتبرين، ص٨٤.

١٩) معجم الفقهاء، ج٢، ص ٣٠٤.

٢٠) شقائق النعمان، جـ٣، ص ١١٨.

٢١) تبصرة المعتبرين، ص ٨٦، وفي معنى (القُذّة) يقول صاحب لسان العرب: " وفي الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم قال: أنتم (يعني أمته) أشبه الأمم ببني إسرائيل تتبعون آثارهم حَذْو القُذَّة بالقُذَّة " يعني كما تقدر كل واحدة منهن على صاحبتها وتقطع، وفي حديث آخر: لتركبن سنن من كان قبلكم حَذْو القُذَّة بالقُذَّة " قال ابن الأثير: " يُضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان" (لسان العرب، مادة قذذ).

٢٢) الجُنّة في وصف الجَنّة، ص٢.

٢٣) مكنون الخزائن، ص ٢٣١.

٢٤) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص٤.

٢٥) مقاليد التصريف، ص ٣٦٠.

٢٦) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص٤. وفي مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي مخطوطات عديدة نُسخت للشيخ راشد، وما ذُكر سابقا على سبيل التمثيل.

٢٧) نهضة الأعيان، ص٢٠٩.

٢٨) شقائق النعمان، جـ١، ص ١٨٩.

٢٩) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص٣.

٣٠) معجم الفقهاء، جـ١، ص ١٩٤.

٣١) معجم الفقهاء، جـ١، ص ٢٢٥.

٣٢) معجم الفقهاء، جـ١، ص ٢٢٩.

٣٣) شقائق النعمان، جـ٣، ص ١٣٥.

٣٤) قلائد الجمان، ص٣٦٤.

٣٥) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص٣.

٣٦) هذه القصة سمعتها من الشيخ سعيد بن خلف بن محمد الخروصي (مساعد المفتي العام للسلطنة) - حفظه الله - في زيارة له بمنزله العامر بالوادي الكبير بمسقط، وذلك تقريبا في شهر شوال لعام ١٤٢٩هـ الموافق أكتوبر ٢٠٠٨م . (انظر: الهامش (٧))

٣٧) الرستاق عبر التاريخ، ص ٨٦.

٣٨) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص٤.

٣٩) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص٧.

٤٠) انظر : شقائق النعمان، جـ٣، ص١٠٧ - نهضة الأعيان، ص ٣٤٦ - معجم الفقهاء، جـ١، ص٢٢٩.

٤١) مجموع مسائل فقهية (مخطوط) أفادني به الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي من مكتبته القيمة، ص ١. (لدى الباحث صورة منه)

٤٢) مجموع أدعية ومواعظ وخطب أفادني به الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي من مكتبته القيّمة. (لدى الباحث صورة منه)

٤٣) كرسي أصول الدين، ص ٦٨.

٤٤) الرستاق على صفحات التاريخ، ص٦٢.

ب- الحياة السياسية والأدبية في عصر الشيخ راشد (١٢٦٢هـ - ١٣٣٣هـ):

١- الحياة السياسية:

الشعر انعكاس للمشاعر والأحاسيس التي تجول في نفس الشاعر نتيجة التأثر بموقف يستثيره؛ فالبيئة المحيطة به من طبيعة وأفراد وأحداث وغير ذلك لها وقعها الذي يحرك وجدانه، ويدفعه إلى التعبير عنها بنظرته الخاصة في قالبه الشعري؛ فالشاعر يتنفس برئة بيئته، ويتأثر بمن حوله ويؤثّر فيه.

وحين تتأمل في بعض الموضوعات التي طرقها الشيخ راشد اللمكي في شعره كالابتهال الديني والاستنهاض، وما يشوب هذه الموضوعات من تفاؤل بتبدل الأحوال إلى ما هو أحسن، ومن وصف لما آلت إليه شرعة الإسلام - كل ذلك وغيره تجده متّسقا مع الأحداث التاريخية العمانية التي جرت في عصر الشيخ راشد خاصة في محيط بلده الرستاق.

ولأهمية ذلك سنوجز الحديث عن أهم الأحداث التاريخية في المدة التي عاشها الشيخ راشد اللمكي (١٢٦٢هـ - ١٣٣٣ هـ)، ولا سيما في محيط بلده الرستاق؛ باعتبارها مسرحا مهمّا لأحداث تلك الحقبة الزمنية.

ففي السنة التي ولد فيها الشيخ راشد (١٢٦٢ هـ) كانت عمان يحكمها السلطان سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، إلا أن ابن عمه السيد

حمود بن عزان بن قيس ابن الإمام أحمد بن سعيد قد خرج عن السلطان سعيد ، فاستولى على بعض البلدان والحصون منها الرستاق وصحار والخابورة ، ثم قلّد أمرها للعلماء في أوائل هذه السنة ، فكان أمر الرستاق بيد الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ، واجتمعوا في جامع البياضة بقلعة الرستاق يوم ٢٤ شعبان من هذه السنة ؛ لتنصيب حمود بن عزان إماما للمسلمين ، فلم يتم لهم ذلك ، وأشاروا على غيره فلم يجدوا منهم سبيلا ، وتلا ذلك أن السلطان سعيد بن سلطان قد قبض على حمود بن عزان، واستردّ صحار، وقسّم مملكته بين أبنائه (تركي وثويني وماجد)، أمّا الرستاق فقد بقيت بيد قيس بن عزان أخي حمود بن عزان .

وفي عام ١٢٧٣هـ توفي السلطان سعيد بن سلطان ، فآل أمر الحكم إلى ولده السلطان ثويني ، وبقيت الرستاق بيد قيس بن عزان ، الذي كان حسن السيرة فيها ، ثم تواجه في السويق هو (أي السيد قيس) وهلال بن محمد ابن الإمام أحمد بن سعيد والي السويق لابن عمه السلطان ثويني ، وقد أودت تلك المواجهة بحياتهما معا .

وبعد قتل قيس بن عزان آل أمر الرستاق إلى ولده عزان بن قيس وهو الذي نصب إماما فيما بعد ، وعلى أثر ذلك الاقتتال المذكور سَيَّر السلطان ثويني جموعه إلى

الرستاق ؛ رغبة منه في ضَمِّها إليه ، فحاصرها مدة من الزمان، وفيها عزان بن قيس وبنو عمه ، لكنها لم تخلص للسلطان فرجع .

وفي شهر رمضان من عام ١٢٨٢هـ يقوم والي صحار السيد سالم بن ثويني بقتل والده السلطان في صحار ، ويقيّد عمه تركي الذي ترك عمان فيما بعد وذهب إلى الهند ، ويصبح السلطان سالم بن ثويني خلفا لأبيه في الحكم ، وفي هذا الشهر أيضا من هذه السنة وقعت سيول عظيمة بعمان وكان السيل جارفا ويقال لها (جرفة رمضان) وأثرت في عمان خصبا كثيرا .

وفي يوم ٢٢ من جمادى الآخرة عام ١٢٨٥ هـ أطلقت المدافع بمسكد(مسقط حاليا) إعلاما ببيعة الإمام عزان بن قيس بعد أن خرج من الرستاق وفتح بركاء ثم مسكد وفرّ السلطان سالم بن ثويني هاربا، وقد كان هذا الفتح والبيعة بعد مكاتبات وتشاور بين العلماء، وفي مقدمتهم المحقق الخليلي، والشيخ محمد بن سليم الغاربي من أهل الباطنة، والشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي أمير الشرقية .

وكان من بين الشخصيات البارزة في دولة الإمام عزان ولها صلة وتأثير في حياة الشيخ راشد وثقافته كل من الشيخ ماجد بن خميس بن راشد العبري والي الإمام على بهلى ، والشيخ عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي والي الإمام على الرستاق .

وفي عام ١٢٨٧ هـ استشهد الإمام عزان بن قيس وبعض رجالات دولته في حرب دارت رحاها بينه وبين تركي ابن سعيد الذي عاد من الهند لهذا الغرض، وتولى حكم عمان عقب استشهاد الإمام، أما الرستاق فبقيت بيد فيصل بن حمود ابن عم الإمام وأحد قواده العسكريين في عهد إمامته ، إلا أنه تنازل عن حكم الرستاق لابن عمه إبراهيم بن قيس (أخي الإمام عزان) ، واعتزل فيصل بن حمود في بيت القرن من الرستاق ، وكان حسن السيرة محبّا للعلم والعلماء ، وكان له أثر ملحوظ في الشيخ راشد، وفي عام ١٣٠٥ هـ توفي السلطان تركي بن سعيد، وتولى الحكم بعده ولده السلطان فيصل .

وفي أول سنة ١٣٠٦ هـ يقوم السلطان فيصل بن تركي بجمع الجيوش ليستولي على الرستاق ، فيدخلها من جهتها الشرقية ويعسكر في برج المزارعة أولا، ثم يسحب منه المدافع ويقربها من قلعة الرستاق ويضربها، وفيها إبراهيم ابن قيس وأبناء أخيه الإمام عزان بن قيس لكن لا يتمكن السلطان من الاستيلاء على الرستاق، فيرجع إلى عاصمته مسكد.

وفي ١١ من محرم سنة ١٣١٦ هـ توفي إبراهيم بن قيس أخو الإمام بالرستاق ، ويتولى بعده أمر الرستاق سعود ابن الإمام عزان، وقد سعى سعود إلى جمع العلماء والأفاضل كالشيخ عيسى بن صالح الحارثي والشيخ ماجد بن خميس العبري والسيد فيصل بن حمود في قلعة الرستاق، وسلّمهم أمر القلعة لإقامة العدل،

فاتفقت كلمتهم على أن يتولى هو أمرها، وتشاوروا أن ينصبوه إماما فلم يقدر الله ذلك ، وبقي سعود بن الإمام عزان أميرا عادلا في الرستاق وما حولها، وسار فيها سيرة حسنة وولّى أمره العلماء والثقات .

وفي ٢٨ من شوال عام ١٣١٦ يدبّر عسكر سعود بن الإمام مكيدة مع أخيه حمود؛ فيقتلون الأمير سعودا ويتولى بعده أخوه حمود، ولكن لم ينعم حمود في توليه أمر الرستاق بعد قتله أخاه، فلم يستطع ضبط الأمور لتدخلات عسكره وسيطرتهم؛ مما أدى إلى اضطراب الأحوال واقتتال القبائل ، فكتب حمود إلى أمير الشرقية الشيخ عيسى بن صالح الحارثي؛ ليُعِينه على ضبط الأمور، و في الوقت نفسه يقوم عسكر حمود من ورائه فيكاتبون السلطان فيصل بن تركي ويعدونه بمساعدته على الاستيلاء على الرستاق، ولكن لا يتم لهم ذلك ، وعند وصول الأمير عيسى بن صالح تتفق الكلمة على إقالة حمود، على أن يتولى بعده ابن عمه سعيد بن إبراهيم بن قيس ، وفي خضم هذه الأحداث يرد ذكر الشيخ اللمكي في معرض الحديث عن كتابة وصية بقصرى، يقول العلامة السالمي: " وأراد سالم بن عمير أن يكتب وصية عند القاضي راشد بن سيف اللمكي فخرج في ذلك الوقت إلى القاضي بقصرى ليكتب له ".(١)

وفي عام ١٣٢٨ هـ يتوفى السيد فيصل بن حمود بن عزان (ابن عم الإمام) ببلد الواصل ببدية، فقد كان يتردد عليها وتزوج منها .

وفي عام ١٣٣٠ يقوم محمد وإبراهيم أبناء فيصل بن حمود بقتل سعيد بن إبراهيم بقلعة الرستاق؛ رغبة منهم في قبض أمرها، لكن يقوم أبناء سعيد بن إبراهيم بقتلهما، ويأتي أحمد بن إبراهيم أخو سعيد المقتول من الحزم ويتولى أمر الرستاق.(٢)

وفي عام ١٣٣٢ هـ قامت دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي بنزوى، وفي عام ١٣٣٣ كانت وفاة الشيخ راشد بن سيف اللمكي رحمه الله.

ومن خلال هذا الموجز التاريخي يمكن أن نستنتج جملة من الجوانب ذات الصلة بشخصية الشيخ راشد وحياته وثقافته :

١) معاصرة الشيخ راشد للمحقق الخليلي ، وملازمته لبعض من عايشوه واتصلوا به، فالشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي كان من تلامذة المحقق الخليلي، وكان الشيخ الهاشمي و الشيخ ماجد بن خميس العبري من رجال دولة الإمام عزان التي سيّس أمرها المحقق الخليلي، وكلا الشيخين الهاشمي والعبري قد لازمهما الشيخ اللمكي بالرستاق، وكذلك السيد فيصل بن حمود الذي كان قائدا عسكريا في دولة الإمام عزان (٣)، وقد كان عُمْر الشيخ راشد حين استشهد المحقق الخليلي قرابة خمس وعشرين سنة، ومعلوم أن المحقق الخليلي عالم عمان في عصره ، وكان بالغ الشهرة بتقواه وعلمه وأدبه ، فكل هذه المؤشرات التاريخية تعكس مدى اهتمام الشيخ راشد بشعر السلوك.

٢) صفات الشخصيات التي لازمها الشيخ اللمكي واتصل بها : فالسيد فيصل بن حمود كان رجلا فاضلا محبا للعلم ، وكان قائدا عسكريا في دولة الإمام عزان ، كما أن الشيخ ماجد بن خميس العبري والشيخ عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي مع علمهما وأدبهما الرائق كان لهما دور سياسي في دولة الإمام عزان، فجميع هؤلاء شخصيات بارزة ، حنكتها الحياة بتجاربها ، وجمعت بين السياسة والعلم .

٣) بدأت ملازمة الشيخ راشد الحقيقية والمتواصلة للسيد فيصل بن حمود بعد انتهاء دولة الإمام عزان عام ١٢٨٧ هـ، وعلى أثر ذلك اعتزل السيد فيصل في محلة (بيت القرن) بجوار قلعة الرستاق جنوبا تاركا حكم الرستاق لابن عمه إبراهيم بن قيس، ويتضح أن مدة ملازمة الشيخ راشد للسيد فيصل دامت قرابة ٤١ عاما من عام ١٢٨٧هـ تقريبا إلى وفاة السيد فيصل عام ١٣٢٨هـ ، وقد كان عمر الشيخ راشد عند بداية ملازمته للسيد فيصل قرابة ٢٥ عاما، فهو في زهرة شبابه، وقد وَجَد من السيد فيصل حبه للعلم ، وإجلاله للعلماء، وتشجيعه على نسخ الكتب وتأليفها.

(٤) ما يذكره الإمام نور الدين السالمي من الرجوع إلى القاضي راشد بن سيف اللمكي لكتابة وصية ، فإن أمور القضاء والفتيا كانت تردّ إليه كما اتضح ذلك سابقا.

(٥) ما ذكره الإمام نور الدين السالمي من حوادث عام ١٢٨٢ هـ من السيل الجارف الذي عرف بـ (جرفة رمضان) مما أورث خصبا كثيرا بعمان نستأنس منه جانبا من أوضاع المجتمع ، وما يعتريه من أحوال الجدب التي أثّرت على الوضع الاقتصادي ، وهذا ما انعكس في قصيدة الشيخ راشد اللمكي في وصفه لفلج المحيول مرة معاتبا إياه حين شحّ بمائه ، ومرة مادحا إياه حين جاد بمائه المتدفق ونمت مزروعات بستانه.

٢- الحياة الأدبية :

كانت الساحة الأدبية في عمان في الحقبة التي عاشها الشيخ راشد والسابقة لها تزخر بالشعراء العمانيين الذين طرقوا أغراض الشعر من غزل ووصف ومدح ورثاء وسلوك وحكمة ووعظ وإرشاد، وتعد موضوعات الحكمة والوعظ والإرشاد هي أغلب الموضوعات التي اتسم بها الشعر العماني على مر عصوره الأدبية ، هذا فضلا عن الأراجيز في العقيدة والفقه وأصوله ، وفي علوم اللغة العربية وغير ذلك .

أماشعر السلوك فقد برع فيه ومهد طريقه الشيخ الرئيس أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي- رحمه الله- الذي توفي قبل ولادة الشيخ راشد اللمكي بخمس وعشرين سنة ، وشهرة الشيخ الرئيس في علمه وشعره أطبقت الآفاق ، فهو علامة زمانه بلا منازع ، وخلفه من بعده في ريادة هذا الأمر ابنه ناصر ابن أبي

نبهان الخروصي- رحمه الله- الذي توفي بعد ولادة الشيخ راشد بسنة تقريبا؛ أي سنة ١٢٦٣ هـ ، ثم استلم الريادة الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي- رحمه الله- الذي استشهد سنة ١٢٨٥ هـ ، حينها كان عمر الشيخ راشد خمسا وعشرين سنة .

ثم يخلفه في الريادة العلامة أبو مسلم البهلاني- رحمه الله- الذي كان في مهجره الإفريقي معاصرا للشيخ راشد؛ وكان على صلة بوطنه عمان، وقصائده تطير بها الركبان إلى عمان وغيرها، وقد كان عمره خمسا وخمسين سنة حين توفي الشيخ راشد، من هنا يتضح أن الشيخ راشد قد عايش بيئة أدبية خصبة بالشعر السلوكي، في مدّة كان الشعر السلوكي في أوجه، إذ عاصر علمين من أعلامه ، ومن سبق في هذا المضمار ليس ببعيد عنه، فلا غرو إن طرق هذا الباب وأجاد فيه.

ومن الشعراء الذين طرقوا غرض المدح الشيخ أبو الأحول سالم بن محمد الدرمكي، صاحب القصيدة الشهيرة ذات المطلع الغزلي، صاغها في مدح السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، وقد تسابق الشعراء في معارضتها وتباروا في ذلك، ومطلعها :

ما بين بابي عين سعنة واليمن سوق تباع به القلوب بلا ثمن

وله قصائد في مدح الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي ، ومن شعراء المدح في بلاط الدولة البوسعيدية المؤرخ الكبير ابن رزيق النخلي، والشيخ الفقيه هلال

بن سعيد المعروف بابن عرابة ، ولابن رزيق أيضا قصائد في مدح الشيخ ناصربن أبي نبهان الخروصي .

وشعراء المديح في بلاط الدولة البوسعيدية يحفلون بالمقدمة الغزلية في مطالع قصائد المدح ، فقد ذكرنا المطلع الغزلي لقصيدة أبي الأحول، وكذا نجد ابن عرابة - مثلا- في مدحه للسيد محمد بن السلطان سعيد بن سلطان يستهل قصيدته بقوله :

ولي طفلة غرثى الوشاحين قدها يحاكي القنا في لينه واعتداله

كما نجده يحفل بالمقدمة الطللية في قوله :

يا حادي العيس قف بالجزع والعلم واسكب هناك دموع العين كالديم

إلى قوله :

معاهد قد عهدنا الغانيات بها محروسة بالقنا والبيض والدهم

وكذا ابن رزيق في مدحه للسيدمحمد بن سالم بن سلطان ابن الإمام يقول في مطلع قصيدته:

لسكينة في قلب عاشقها سكن ومحبها من فرط حبّ ما سكن

وإذا ما انتقلنا إلى الشعراء المعاصرين للشيخ راشد فقد أسلفنا الحديث عن المحقق الخليلي الذي حمل لواء الشعر السلوكي في زمانه ، وكان لهذا الشيخ أبناء نجباء مبرزون ببديع شعرهم وهما الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي(توفي : ١٣٢٤ هـ)

وأخوه الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي (توفي: ١٣٣٢هـ)وللشيخ أحمد قصائد في الحكمة والنصح ، وكذلك الشيخ عبدالله له قصائد وعظية ، كما أن له قصائد غزلية أيضا.

ومن الشعراء المعاصرين للشيخ راشد تلميذه العلامة نور الدين السالمي الذي يفيض ديوانه حكمة وهمّة وحماسا وكذلك شيخ البيان ابن شيخان السالمي وهو شاعر عمان في زمنه بلا منازع، له قصائد في مدح السلاطين وحكام الخليج، وكذلك برع في الوصف كوصف الفتوحات، ومن هؤلاء الشيخ ماجد بن خميس العبري الذي سكن الرستاق واتصل بالسيد فيصل بن حمود، وللشيخ ماجد قصائد وعظية وقصائد عديدة في الوصف ، وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي الذي وصف قصرى وأهل العلم بها، ومن شعراء الرستاق كذلك الأديب راشد بن محمد الرستاقي (القرن١٣ هـ)، وكذلك الشاعر حمد بن سيف بن حمد بن بلعرب اليعربي (توفي:١٣٦١هـ) الذي ولد في الحزم ثم انتقل إلى إبرا، وله رائعته البليغة في الفخر ومطلعها :

بآراء أرباب العقول الزكية ... يتم اعتزاز للنفوس العلية

وثنتان للإنسان لا بد منهما ... حياة لموت واعتزاز لذلة

هذا فضلا عن الشعراء الذين انتقلوا إلى الرستاق وسكنوا فيها وكانوا معاصرين للشيخ راشد كالشاعر عبيد بن فرحان البحر الأسود مولى آل سعد (توفي :

١٣٤٥ هـ)، والشاعر محمد بن عيسى الشكيلي (توفي:١٣٩٥ هـ) الذي انتقل من بهلى إلى الرستاق في آخر حياته .

ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ راشد قد غني في عمان عموما وفي بلده الرستاق خصوصا ببيئة أدبية هيأت عوامل التأثير والتأثر بين الشعراء فأسالت قرائحهم وصقلت شاعريتهم .(٤)

ج- إطلالة على الخصائص الفنية في شعره :

لا يُراد بهذه الإطلالة قراءة تحليلية بمفهومها النقدي المعروف، وإنما هي مجرد إشارات ولمحات، علّها تشير من بعيد إلى شيء من الخصائص الفنية في شعر الشيخ راشد، وذلك من خلال التوقف عند بعض المحاور المفصلية في شعره.

ويتضح مما توفّر من شعر الشيخ راشد أنه شاعر مُقِلّ، فعدد قصائده أربع عشرة قصيدة، مع مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات، ومنظومة من خمسة وعشرين بيتا جوابا لسؤال فقهي .

ويصنّفه الشيخ الخصيبي في شقائقه من شعراء الطبقة السادسة، مع شعراء آخرين كالشيخ ماجد بن خميس العبري، والشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي وغيرهما، وتصنيفه لشعراء هذه الطبقة كان وفق معايير اعتمدها، يقول في تصنيف هذه الطبقة : " الطبقة السادسة : العلماء والقضاة الموجودون في القرن الرابع عشر من الهجرة والذين قضوا نحبهم في خلاله وهؤلاء قرضوا الشعر في فنون مختلفة من العلم والأدب ولم توجد لهم أراجيز في الأديان والأحكام إلا البعض اليسير :

قالـة الشـعر مـن أولي العلـم جـمّ مـــن هـــداة وقـــادة وقضـــاة
نـذكر الـبعض مـنهم باختصـار لـيس مـن وسـعنا عـلى الكـلّ نـأتي
وأولاء الـــذين لم يـــأت عـــنهم رجـــز دونـــوه في صـــفحات
بـــل أتـــى عـــنهم نظـــام مفيـــد في ضروب عديـــدة مبهجـــات "(٥)

ونلاحظ أن هذه الطبقة لها ثلاثة معايير ، كالآتي :

١- معيار السّمة الشخصية : أ- عالم ب- قاضٍ.

٢- معيار زمني: أ- موجود في القرن الرابع عشر ب- قضى نحبه فيه.

٣- معيار أدبي : أ- قرض الشعر في فنون مختلفة من العلم والأدب

ب- أراجيز الأديان والأحكام يسيرة.

وهذه المعايير متحققة في الشيخ راشد ، ففنون الشعر المختلفة في العلم والأدب التي تناولها الشيخ راشد نجدها متمثلة في غرض الحكمة التي يتضمنها الاستنهاض والوعظ والإرشاد ، وشعر السلوك والابتهال الديني، وغرض الوصف ، ولا نظفر له بأرجوزة في الأديان والأحكام إلا تلك المنظومة اليتيمة التي أشرنا إليها سابقا.

يقول الشيخ الخصيبي متحدثا عنه في هذا المقام :

والأديب العلامة الماجد المشـــــ ـــــهور بالفضل عين كل القضاة
راشد نجل سيف الراشد اللمـــــ ـــــكي أكرم بذا الجليل الصفات

نظمـــه جـــاء في فضـــائل علـــم وســـلوك وحكمـــة وعظـــات (٦)

أما المحاور التي سنتلمس من خلالها الخصائص الفنية في شعره فهي ما يأتي :

١- تأثره وتأثيره :

من جوانب التأثير والتأثّر بأدباء عصره الموضوعات التي طرقها في قصائده ، فشعراء الرستاق قد تغنّوا بقصرى وحلقات العلم فيها، يقول الشيخ ماجد بن خميس العبري (٧) في ذلك متحدثا عن الدهر :

كـــم أتانـــا بفرحـــة وســـرور حـــين كـــان المقـــام بالرستـــاق

أيـن قصرى منّـا وأيـن الشـــعاب كـــان فيهـــا الحلـــول كالأســـواق

يـــذكرون الإلـــه فيهـــا رجـــال رغبـــت عـــن مجـــالس الفسّـــاق

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي :

ألا حيَّا الغـــمامُ ربـــوعَ قصـــرى فضـاحك روضـها صـبحا وعـصرا

وكذلك تغنّى بها الشيخ راشد حين تحدث عن مقام كتبه بقصرى في قصيدته التي مطلعها :

عـلا شرفـا هـذا المقـام وذكّـرا مقامـــا ببطنـــان الفـــراديس قـــررا

ونجدهم أحيانا تتفق ألفاظهم في الحديث عن العلم وأهله ، يقول الشيخ ماجد :

عـالم للأنـام مُفْـتٍ وشيـــــخ ورع عامـــل وحـــبر نبيـــــل

كـم أداروا مـا بيـنهم كـأس ذكـر مـــن حـــديث المنقـــول والمعقـــول

ويقول الشيخ الهاشمي :

غنيت بأهلها دهرا طويلا يساقوني كؤوس العلم تترى

ويقول الشيخ راشد:

به مجمع من كل حبر وعابد تعاطوا كؤوس الحب كالعسل الخمر

وكذا نجدهم يبثّون شكواهم عن حال زمانهم ، وما آلت إليه الأمور، يقول الشيخ ماجد :

وأبى الدهر أن يرينا وليّا يظهر الدين في الليالي البواقي

فبلينا بغصّة وصغار بين أقوام عزّة وشقاق

هكذا الدهر قبلنا كان يأتي بسرور لهم وبالأعواق

ويقول نور الدين السالمي :

أشكو إلى الله زمانا به في قلب كل مسلم جرح

ترى البراغيث لما أرخت أيدي كرام الأسد قد تمحو (٨)

وفي هذا يقول الشيخ راشد:

رمتني صروف الدهر منها بأسهم فلم يك عنها لي من الله واقيةْ

فقد عصفت ريح الخطوب وهدمت قواعد أركان من الدين راسيةْ

بفقد مصابيح الهدى اعلنكس الدجى وأمواج تيار الردى متواليةْ

وإذا ما يممنا نحو غرض الوصف نجد شيخنا ماجدا العبري قد عني به، فقد روى له الشيخ الخصيبي أربع قصائد: واحدة في وصف الربيع، وأخرى في وصف وادي الخور بالحمراء، وقصيدتين في وصف سدرة العرقوب التي يجتمع تحتها إخوانه وجماعته ، يقول في مدح وادي الخور :

فالروض يضحك من بكاء عيونه والزهر مثل اللؤلؤ المنثورِ
وترى الغصون تميس مهما مَسَّها لطف النسيم كشَادِنٍ مخمورِ
تتجاوب الأطيار في قاماتها بالسجع من ورق ومن شحرورِ
والأرض من أزهارها قد دبجت والجو صاف أزرق البلورِ

وكذلك الشيخ راشد قد أدهشه موقف الخصب في بستانه المحيول، وأجاش قريحته؛ فقال مادحا إياه :

وعطرت من نشر الرياحين عَرْفه يفوح شذى ما المسك ما طيب النشرِ
وريحانه إن بالنسيم تمايست تخايلها كالموج في زاخر البحرِ
وأسود غربيب بأحداق زهره كأحداق حور قد تجلت من الخدرِ
وإن صدحت أطياره بتأوب مزامير داوود على حضرة الذكرِ

***

وقد سبق الحديث عن معايشة الشيخ راشد الشعر السلوكي (٩) في أشدّ أطواره، وهذا قاده إلى التأثر بشعرائه في مصطلحاتهم الخاصة وأفكارهم وموضوعاتهم،

فتجدهم يتحدثون عن الخمرة الإلهية، وعن الحب الإلهي وما يورثه في الجسم، وعن العذّال وعذلهم، وغير ذلك مما هم معنيّون به، يقول الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي في مطلع لاميته السلوكية :

أرى العدل عن لوم العذول هو العدل وقصد الفتى وصل الحبيب هو الدخل

إلى أن يقول - رحمه الله - :

ولو أن نور الحب أورى بقلبه أوار الهوى أمسى وفي جسمه نحل
وخمر الهوى لو خامر القلب بالجوى لما ردّه بذل ولا صدّه عكل
ولو أنه صبّ شجي من الهوى لما رام غيرا لا ولا مسه كل(١٠)

ويقول المحقق الخليلي:

سقاني بها الخمر صرفا رشا سباني له ناظر أدعج
فيا لك من خمرة حلّلت لي السكر إذ لم تكن تمزج
فقلبي من شربها طايش ولكن إلى الشرب مدحرج (١١)

ويقول الشيخ راشد :

أَنَدِيمَ الحُب يا من ليس يسلو زفراتٌ وَجْدِهُ بالروح تغلو
أيها التائق في كأس الهوى فانتهله فبهذا الليل يحلو
وبه الأجسام صارت للفنا قد براها منه إنهال وعَلُّ

ويقول أيضا :

ولا يصـــــــغي لعـــــــذل إذا العـــــــذال يلحـــــــوا

إذا مـــــــا الليـــــــل داج فـــــما النشـــــوان يصـــــحو

يلـــــذ الكـــــأس فيـــــه إذا مـــــا امتـــــدّ جُـــــنْحُ

***

وشعر السلوك يقودنا إلى الحديث عن شعر الحكمة لدى الشيخ راشد؛ إذ يظهر أن الشيخ كان مهتما بمطالعة كتب الرقائق وتهذيب الأخلاق؛ فتأثر بها تأثرا واعيا في سلوكه وشعره؛ فقصيدته " ورجل قال لبعض الحكما" تعكس ذلك، وكذا قصيدته التي مطلعها :

ألا بيد التوفيق نيل الفضائل كما رتب الأعمال حسب القوابل

هي في أساسها نظم للثمان المسائل، التي عدّدها حاتم بن عنوان الأصم لأستاذه أبي علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي الزاهد، فقد ذكر العلامة أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) : "عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي -رضي الله عنهما- أنه قال له شقيق : منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة، قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثمان مسائل، قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل؟ قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها، وإني لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثماني مسائل

حتى أسمعها، قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوباً، فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي.

فقال: أحسنت يا حاتم، فما الثانية؟ فقال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾، فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى، حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه، وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله؛ ليبقى عنده محفوظاً.

الرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها، فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق، وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضاً، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى، فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق، يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، فرجعت إلى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، فعاديته وحده، واجتهدت في أخذ حذري منه؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي، فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة؛ فيذل فيها نفسه، ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، فعلمت أني واحد من هذه الدواب، التي على الله رزقها، فاشتغلت بما لله تعالى علي، وتركت ما لي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق - هذا على ضيعته وهذا على صحة بدنه - وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فتوكلت على الله عز وجل، فهو حسبي.

قال شقيق: يا حاتم، وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان المسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة".(١٢)

***

المعارضات:

ولا ريب أن المعارضات الشعرية تمثّل جانبا من جوانب التأثر الأدبي، ويظهر أن الشيخ العلامة أبابكر أحمد بن النضر - رحمه الله - من أبرز من تأثر الشيخ راشد بشعرهم؛ فقصيدته (سرّ القدر) التي مطلعها :

يَا نَاظِرِي سِرِّ القَدَرْ ... فِي كُلِّ شَيءٍ مُعْتَبَرْ

سِرٌّ بِهِ قَدْ نَارَتِ ... الأَلْبَابُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرْ

لَمَحَتْ حَقَائِقَهُ البَصَا ... ئِرُ حِينَمَا كَلَّ البَصَرْ

فَأَدِلَّةُ الفُرْقَانِ قَدْ ... نَادَى بِهَا آيُ السُّوَرْ

وَأَدِلَّةُ الإِسْنَادِ يَنْ ... شُرُ لَفَّهَا بَسْطُ الأَثَرْ

وَأَدِلَّةُ البُرْهَانِ نَارَ ... مَنَارَهَا ضَوْءٌ زَهَرْ

هي معارضة لقصيدة العلامة ابن النضر في (خلق الأفعال والرد على القدرية)، ومطلعها :

أيها السائل عن علم القدرْ ... وعن الحجة فيه والأثرْ

تجدن عنديَ فيه جملا ... عن رسول الله نصّت في الخبرْ

فمن القرآن آيات إذا ... تلي القرآن لاحت في السورْ

ومن الإسناد قول المصطفى ... صفوة الله على كل البشرْ-

إن سرّ الله في الأرض القدر ... فدعوا الإغراق فيه والنظرْ(١٣)

وهي قصيدة طويلة بلغت (١٢٧) بيتا، أما قصيدة الشيخ راشد فقد بلغت مائة بيت، وإن كانت قصيدة الشيخ ابن النضر من البحر الرمل في حين أن قصيدة الشيخ راشد من مجزوء الكامل إلا أنهما اتفقتا في رويهما، وهو حرف الراء الساكن، واتفقتا كذلك في المضمون - كما هو شأن المعارضات - وهو الحديث عن خلق الأفعال والرد على القدرية.

وبنظرة عامة نجد مظاهر التأثر بادية، من ذلك التأثر بمطلعها؛ إذ تبدأ بأسلوب النداء (يا ناظري سر القدر)، ومحور الحديث في مطلع القصيدة عن أن مسألة القدر قد جلَّتها الأدلة القرآنية(فأدلة الفرقان)، والأدلة النبوية(وأدلة الإسناد)، وهذا ما استفتح به العلامة ابن النضر قصيدته؛ إذ تبدأ بأسلوب النداء (أيها السائل)، ومحور الحديث في مطلع القصيدة كذلك عن تجلية الأدلة النقلية لمسألة القدر، من أدلة قرآنية (فمن القرآن آيات)، وأدلة من السنة النبوية (ومن الإسناد قول المصطفى).

والعلامة ابن النضر بعد أن يتجاوز هذه المقدمة يدخل في الموضوع مباشرة، بالإشارة إلى أقوال المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم- في مسألة القدر، فيقول:

ومن الإسناد قول المصطفى ... صفوة الله على كل البشرْ
إن سرّ الله في الأرض القدر ... فدعوا الإغراق فيه والنظرْ

ولـــه فيـــه مقـــال صـــادق نـــاطق بعـــد مقـــالات أُخَـــرْ.

أنـــت خصـــمُ الله إذ قلـــت لـــه كتـــب الـــذنبَ وأصـــلاني ســـقرْ.

فينطلق - رحمه الله- من هذه الأدلة وغيرها في مجادلة خصمه، أما الشيخ راشد فيستمر في مقدمته، جاعلا من دلالة تركيب (سرّ القدر) منطلقا تشويقيا للدخول في الموضوع ، والتدرج فيه، وسيتضح هذا لاحقا.

أما بالنسبة للخاتمة فالعلامة ابن النضر- يشيع في قصائده أن يختمها بوصف قصيدته بجمال سبكها، إلا في القصائد العقدية، فإنه يترك خاتمتها مفتوحة دون أن يعتمد على هذه الخاتمة، أما الشيخ راشد فقد ختمها بما هو شائع في أشعار العلامة ابن النضر، كما سيتضح ذلك عند الحديث عن (البناء الخارجي لقصيدته).

يضاف إلى ذلك التأثر بلغة العلامة ابن النضر وأسلوبه في قصيدته، من ذلك ما سبق ذكره عن مقدمة القصيدة، ومنها قول العلامة ابن النضر:

قـــال فـــالله تعـــالى جـــدُّه كـــوّن الميتـــةَ خلقـــا والقَـــذَرْ

وجميـــعَ القـــبح واللهُ الـــذي خَلَـــقَ الخلـــقَ بـــإكمال الصنـــورْ

قلـــت فـــالقردُ قبـــيحٌ لونُـــه وكـــذا الكلـــبُ ذو اللـــون الـــوَضِرْ

وهمـــا لله خلـــقٌ لم نقـــلْ إنّ خلْـــقَ اللهِ في الكلـــب قَـــذِرْ(١٤)

وفي هذا يقول الشيخ راشد:

إِيّـــاكَ تَسْـــأَلُ : لِمْ فَعَلْـــــــ ـــــتَ لِمَـا تَشَـاءُ مِـنَ الضَـرَّرْ
أَوْ أَنْ تَقُـــوْهَ : (لِمْ خَلَقْـــــــ ـــــتَ) مِـنَ القَبَـائِحِ فِي الصُّـوَرْ
كَـــــالقِرْدِ وَالخِنْزِيْـــــرِ أَوْ مُسْـــتَهْجَنٌ مِـــنْ ذِيْ مُـــضِرّ
صَـــنَعَ الإِلَـــهُ جَمِيْعَـــهُ جَـــدٌّ بِـــهِ الأَشْـــيَاءُ قَـــرّ
قَبُحَـــتْ مَقَالَـــةُ مُلْحِـــدٍ : " اللهُ خَـــلَّاقَ القَـــذَرْ "

ومن مظاهر التأثر توظيف تقنيات المناظرة، وبناء النص على أسلوب حواري ضمن إطار الجدل والحِجَاج، فالعلامة ابن النظر يستخدم فواصل لفظية للحوار بينه وبين خصمه، أبرزها صيغة (قال - قلتُ)، التي وردت ما لا يقل من (١٦) مرة، ومثل ذلك نجده عند الشيخ راشد.

ومع أن قصيدة العلامة ابن النضر أقوى سبكا ورصانة، إلا أن الشيخ راشد سعى إلى إضفاء الجدة في تناول الموضوع بترك بصمته الدالة على أسلوبه.

***

وفي مضمار المعارضات أيضا نجد قصيدة الشيخ راشد التي مطلعها :

طلابي لنيل المجد أسمى المطالبِ ونصري لدين الله أسنى المذاهبِ

تتضمن معارضة ثنائية لشاعرين هما الإمام نور الدين السالمي في بائيته (لشغلي بأهل الدهر)، وزهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة التي مطلعها:

أمـــن أمّ أوفى دمنـــة لا تكلـــم بحومانـــة الـــدّرّاج فـــالمتثلم (١٥)

والتشابه مع الإمام نور الدين يتضح غالبا في مطلع القصيدة، أما معارضة زهير فكانت في الحكم التي ساقها في أواخر معلّقته.

وسنبدأ الحديث مع قصيدة نور الدين السالمي التي مطلعها:

لشغلي بأهل الدهر إحدى العجائب وتركي طلاب العدل إحدى المصائب (١٦)

وليس بين أيدينا دليل واضح على مَنْ تأثّر منهما بالآخر؛ لأنهما عاشا في عصر واحد، فالإمام نور الدين توفي قبل الشيخ راشد بسنة تقريبا، ثم وإن كان الإمام السالمي تلميذا للشيخ راشد إلا أننا لا نستطيع الجزم بتأثر التلميذ بالأستاذ، فمعلوم أن التلميذ قد فاق أستاذه علما وشعرا.

ومهما كان الأمر فإن التقارب بين القصيدتين ملحوظ ، فكلتاهما من بحر الطويل ورويّهما الباء المكسورة، كما أن مطلع القصيدتين يتحدث عن الطِلاب فهنا طِلاب المجد، وهناك طِلاب العدل، وإن كان مطلع الشيخ راشد يحمل اعتزازا بطِلابه ومطلع الإمام السالمي يحمل عتابا على تركه طِلاب العدل فإن ذلك لا يستبعد حصول المعارضة الشعرية بينهما، بل ذلك مما عُهِد في المعارضات الشعرية؛ فلا يشترط فيها التطابق.

ومع أن قصيدة الإمام نور الدين قد ضمّنها مدحا لشيخه أمير الشرقية صالح بن علي بن ناصر الحارثي - رحمه الله- إلا أنها شملت حكما ومواعظ في سياق

التركيب الشرطي بالأداة (مَنْ) وتكرر ذلك في قصيدته، وهذا التكرار الشرطي نفسه نجده في قصيدة الشيخ راشد، فمثلا يقول الإمام :

ومن تكن الدنيا له غاية المنى فلا عاش إلا في هوان المصائب

ويقول الشيخ راشد مثلا:

ومن يخدم الدنيا يصر رقها ومن على عكس ذا أولته كل المطالبِ

إضافة إلى ذلك نجد تشابها في بعض التراكيب ، يقول الإمام في بيته الثاني :

فصوّبت فكري أي حال يكون لي منارا به أسمو لأعلى المراتب

ويقول الشيخ في بيته الثالث :

وبذلي لروحي في رضى من أحبه هو الشرف السامي بأعلى المراتبِ

وهذا البيت نفسه يتحدث فيه الشيخ راشد عن طلبه لرضا ربه ، والأمر نفسه نجده عند الإمام في قوله :

وفيه رضى الرحمن ربي فلم أر سوى طلب العليا لتلك المناصب

ويتحدث الإمام عن أن تجشمه للصعب هو الطريق لنيل مآربه :

فجشّمت نفسي الصعب علما بأن في تجشّمها للصعب درك المآرب

وكذا الشيخ قد تحدّث عن أنّ تجشّم الأذى هو الطريق لنيل المواهب ، يقول في ذلك :

وصبري لديني إن تجشّمني الأذى هو الفوز في نيلي عظيم المواهب

ويقول الإمام مادحا شيخه الحارثي بهمّته السامية التي جاوزت النجوم الثواقب علوّا :

ترى شخصه فوق السرير وأنّه له همم فوق النجوم الثواقب

ويقول الشيخ :

وإن تسعد الأقدار ذا العجز عرّجت بهاته فوق النجوم الثواقب

***

ومع أن المعارضة القائمة بين الشيخ راشد والإمام السالمي لها مبرراتها الواضحة كاتفاق الزمان والمكان وظروف العصر المحيطة بهما سياسيا واجتماعيا وثقافيا، والصلة العلمية الرابطة بينهما، إلا أنّ هناك تساؤلا يساور النفس عن الباعث الذي جعل الشيخ راشد يعارض زهيرا في معلقته : هل هو التشابه في معايشتهما لتقلبات الحياة من اضطراب وقلاقل واقتتال إلى استقرار وهدوء وأمان؟ فزهير عايش حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان كما شهد الصلح بينهما، ومعلقته تصوّر حياة السِلْم والحرب، وكذا الشيخ راشد قد شهد في عصره الاضطرابات والقلاقل، والسِلم والحرب في وطنه عمان، ويمكن أن نستأنس لهذا الارتباط النفسي في المعارضة بالمستوى اللغوي (ألفاظ- تراكيب) لمطلع القصيدة الذي يُعدّ بوابة الولوج للنص، ومفاتيح مغاليقه، فإن قوله: (نيل المجد- الفوز- نيلي عظيم

المواهب- الشرف السامي بأعلى المراتب) يعكس جانب السِلْم والرخاء، وقوله (صبري- تجشّمني الأذى- بذلي لروحي) يعكس جانب الشدّة والحرب.

وإذا تجاوزنا بواعث المعارضة إلى جوانبها الفنية فإنّ كلتا القصيدتين من بحر الطويل وإن اختلف رويّهما، كما نجد زهيرا يكرّر التركيب الشرطي بـ(مَنْ) في سياق حكمه التي أوردها في أواخر معلقته، وكذا الشيخ راشد قد أورد حكمه بتكرار التركيب الشرطي نفسه بعد أن تجاوز مقدمة قصيدته، واستمر يبث حكمه إلى نهاية القصيدة ؛ لأن القصيدة أنشأها لهذا الغرض، مع ملاحظة أن حكم الشيخ لم تكن ترديدا لما قاله زهير ، وإنما صاغ معانيها متوافقة ومشكاة دينه الإسلامي الحنيف .

ونلحظ كذلك أن الإفادة من زهير كانت بطريقة أفرغت المعاني في قوالب لفظية متصرّف فيها بعض الشيء، وإن وافقتها أحيانا ؛ فمن ذلك قول زهير :

ومن يغترب يحسب عدوّا صديقه ومن لم يكرّم نفسه لا يكرّم

ويقول الشيخ :

ومن خادن الأشرار أخزاه شرّهم ومن لم يكرّم نفسه لم يراقب

ويقول زهير في أواخر قصيدته مستهجنا كثرة السؤال :

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسآل يوما سيحرم

و يقول الشيخ أيضا في أواخر حكمه:

ومـــن أكثـــر التســـآل مُـــجّ ولم ينـــل من النـاس إلاسـوء قطـع التحابـب

ويقول زهير مبينا حال من يُثْقِل على الناس بأموره ، ويذلّ لهم :

ومـن لا يـزل يسـترحل النـاس نفسـه ولا يعفهـا يومـا مـن الـذل ينـدم

ويقول الشيخ في هذا المعنى :

ومـن عـاش كـلا فـالورى يمقتونـه وقطـع الرجـا عـنهم جميـل المناقـب

ويقول زهير في مداراة الناس :

ومـــن لم يصـــانع في أمـــور كثـــيرة يضرّس بأنيـاب ويوطـــأ بمنســـم

وفي هذا المعنى يقول الشيخ :

ومـــن لم يـــراع حـــال أهـــل زمانـــه يعش مفـردا مـا إن لـه مـن مقـارب

ويقول زهير في عاقبة البخل :

ومـن كـان ذا فضـل فيبخـل بفضـله عـــلى قومـــه يســـتغن عنـــه ويـــذمم

وفي ذلك يقول الشيخ :

ومـن كـان ذا بخـل حريصـا بمالـه رمـي بـالقِلى مـن أقربـا وأجانـب

ويتحدث زهير عن أنه مَنْ بذل معروفَه صان عرضَه، ووفر مكارمَه :

ومن يجعل المعروفَ مـن دون عرضـه يَفـرْه ومـن لا يتـق الشـتمَ يشـتم

فأفاد الشيخ من هذا المعنى وقال :

ومـــن لم يصـــن أعراضـــه بثرائـــه تلقـى شـنيع الثلـب مـن كـل جانـب

٢-البناء الخارجي لقصيدته :

عند الحديث عن بعض جوانب البناء الخارجي لقصيدة الشيخ راشـد فمـن نافلـة القول أن نذكر أن شاعرنا قد ضرب صـفحا عـن المقدمـة الطلليـة لقصـائده، في الوقت نفسه نجد من الشعراء العمانيين من حافظ على تلـك المقدمـة كـما أسـلفنا، فقصائده تبدأ رأسا بموضوعها، مع محافظته على (التصريـع) الـذي يضـفي عـلى مطلع القصيدة طلاوة، ويورث وقعا في النفس؛ إذ ينبئ بروي القصـيدة وقافيتهـا قبل تمام البيت الأول، فضلا عن كونه عَلَما مميِّزا لمبتدأ القصيدة من منتهاها.

أما نهايات قصائده فبعضها يختمه بنهايات مغلقـة بالـدعاء والصـلاة عـلى النبـي - صلى الله عليه وسلم - ، وبالنظر في حياة الشيخ راشد وثقافته فإن ذلك يعكـس البعد الديني لشخصيته أكثر من مجرد مجـاراة للمـألوف في الشـعر الإسـلامي ، في حين يترك نهايات قصائده الأخرى مفتوحـة ، وهـذه السـمة في بـدايات قصـائده ونهاياتها ظاهرة في أشعار غيره كالشـيخ الـرئيس جاعـد بـن خمـيس الخـروصي ، والشيخ ماجد بن خميس العبري ، والإمام نور الدين السالمي وغيرهم.

ومن الملاحظ أيضا في هذا الجانب أنه يختم بعض قصـائده قبـل الـدعاء والصـلاة بوصف قصيدته بحسن سبكها ورصـانة أسـلوبها، وذلـك توطئـة للخـروج مـن موضوع القصيدة إلى خاتمتها باسـتخدام أسـلوب الـتخلص اللفظـي المـألوف في

أشعار العرب، كقوله (فخذ حكما) و(خذها كشمس أشرقت) و(رصعت ذا الدر) و(فدونك ترصيع)، ويدور وصف القصيدة في هذه الخواتيم بنفائس الحلي كالجواهر والدرر، أوتشبيهها بجمال الحوراء ودلالها وغنجها، أو بالشمس المشرقة، أو ما شابه ذلك، وهذا منهج سلكه الشعراء من قبل، ونجده جليا في خواتيم قصائد العلامة أبي بكر أحمد بن النضر في ديوانه (الدعائم)، من ذلك قوله في خاتمة قصيدة تتحدث عن (صلاة العيدين وغسل الميت وتكفينه والصلاة عليه وصلاة الجمعة) :

فخذها كالعروسة مزدهاة ... تَضوَّع نشرُها حليا وعطرا
تهادى في أكلَّتها وتكسو ... بياض الطرس ليلا مكفهرا
كأن سطورها أسماط درّ ... يَلحْن بطرسها خضرا وصفرا
تريح الهم عنك فما تبالي ... إذا أنشدتها قرّا وحرّا
حياكة ماهر ونتاج عضّ ... تملأ حقبة خيرا وشرّا(١٧)

وقوله في خاتمة بائيته في (الرضاع) :

خذها كعقد لآلئ ... أوفى على وضح اللَّبب
غراء ترفل في البقير ... وفي الدِّمقس وفي القصب
تلهيك عند سماعها ... عن كل لهو أو طرب(١٨)

إن هذا المنهج في بناء خاتمة القصيدة هو الذي نسج على منواله الشيخ راشد بعض خواتيم قصيده من ذلك قوله في خاتمة قصيدة (سر القدر):

خذها كشمس أشرقت تهدي الهدى فيما شجرْ
أو أنها حوراء تر فل بالخبير من الخبرْ
وبغنجها تاهت دَلا لاً زانها نور زهرْ
ولشأنها نظمت جوا هر ما الجواهر والدررْ

ويقول في خاتمة قصيدة (ورجل قال لبعض الحكما) :

رَصَّعْتُ ذَا الدُّرَّ عُقُوْداً نُوْرُهَا يَكْشِفُ جَهْلَكَ البَهِيْمَ المُظْلِمَا
خُذْهَا دَلِيْلاً لِلْهُدَى وَهَلْ تَرَى عِقْدَ لآلٍ كَاشِفاً دَاءَ العَمَى؟!
مَا إِنْ بِعِقْدٍ مِنْ لآلٍ رَوْنَقٌ رَصَّعْتُ وَعِقْدُ ذَا الدُّرِّ كَبَدْرٍ فِي سَمَا

وقوله في خاتمة جوابه النظمي :

فَدُوْنَكَ تَرْصِيْعُ الجَوَاهِرِ نُظِّمَتْ بِسِلْكٍ فَمَا عِقْدٌ بِوَرْدِيَّةِ الخَدِّ
جَوَاهِرُ يِجْلَوْ ظُلْمَةَ الجَهْلِ نُوْرُهَا وَذَلِكَ عِقْدٌ مَا لَهَا مِنْ سَنَىً يَهْدِيْ

وبما أن قصائد الشيخ راشد يغلب عليها المحافظة على وحدتها الموضوعية فلا يبرز فيها (حسن التخلص) في أوائلها أو في ثناياها؛ لعدم الاضطرار إليه إلا في مواضع قليلة أهمها ما نجده في مطوّلته (سرّ القدر) التي بلغت مائة بيت ، فإنه ينتقل فيها

بين دقائق موضوعها وجزئيات فكرتها بحسن تخلّص يجعل موضوعات القصيدة تنساب بأسلوب فنّي، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن هذه القصيدة.

٣- الصدق الفني (صدق العواطف والمشاعر) :

يتضح الصدق الفني لدى الشاعر من خلال قدرته على التعبير عما يحس به ويستشعره داخل نفسه؛ حتى ولو كان ما قصد إليه أو تصوره أمرا عاما أو كليا، ويعدّ الصدق في التعبير عن العواطف والتجارب باعثا لكثير من الشعراء للرجوع إلى ذواتهم، ومحاولة استكناه ما فيها، كما يمكن عن طريقه تمييز مرحلة من أخرى ، وعمل من آخر. (١٩)

والشيخ راشد قد عاش في حقبة تكتنفها الفتن، وتحيط بها الأحداث السياسية، التي كان لها أثرها في جوانب الحياة في المجتمع العماني بأكمله ، فهو يصور ما يختلج في نفسه من عواطف وأفكار تجاه تلك الأحداث، ويهمس في أذن سامعه قائلا :

من الله أرجو دفع ما بي من الكربِ ... من الإبتلا بالناس في الزمن الصعبِ

فرمت اعتزالا نائيا عن بلائهم ... فرارا بديني عنهم فارغ القبِ

إذا حشدوا النادي بجمعي عندهم ... وما قبلوا عذري بنأي عن القربِ

يريدون نصباً ما له الدهر خافض ... فهل عامل للخفض يوضع للنصبِ؟!

واعتزاله هذا عن تلك الأحداث، وبُعْده عنها تجعل نفسه تجيش بعواطف النفحة الإيمانية، والتعلق بحبل الله المتين والاعتصام بعروته الوثقى؛ فهو - جل وعلا - المرجو في الشدائد، والمستغاث في المحن :

تعلقت بالحبل الذي كل مَن به تعلّق ينجو صاح من أعظم الخطبِ
فيارب حل بيني وبينهم ولا أرى عصمة منهم بغيرك يا ربي

ولأن الأمل في الله كبير فإن نَفْس الشيخ مفعمة بالتفاؤل، موقنة بأن الباطل لن يدوم، ومهما عاند وكابر فإن الغلبة للحق:

لعل الزمان الصعب يكبو جواده بتفريق شمل البغي بالخسف والسلبِ
لعل بروق النصر ينهل مزنها فيبعث أجساماً فتُنجى من الصوبِ
ويحيي ربوعاً باد بالدهر إثرها ومن قبل ذا ضاءت بأعلامها النصبِ

وإذا ما انتقلنا إلى تجربة أخرى نجده في عتابه لفلج (المحيول) ضجرا متضايقا بعد أن محل الفلج، وذبلت الأزهار، وانقطعت الثمار فأصبح كل ما حوله معتما، يقول متحدثا عن الريح وهي تعبث ببستانه :

عليها غمام يحبس الجو ظلمة فما ملجأ إلا هشيم من السدرِ
وإن آن حَرّ باشرتنا سمومه كأن بها النيران شبت من الجمرِ

أما حين خصب فلج المحيول، ودبت الحياة في البستان من جديد، وأصبح النسيم يداعب الرياحين ظهر لنا الشيخ بنفس مبتهجة تغمرها السرور :

وريحانـــه إن بالنســـيم تمايســـت تخايلهـا كـالموج في زاخـر البـــحرِ
وقـــــــد أينعـت أثـماره بتلـون فـذا أحمـر قـانٍ وذا باسـم الزهـرِ

وهكذا تجده في تجاربه الشعرية يسعى إلى الكشف عما يخالج نفسه ويسيطر على شعوره ، ففي مقام النصح والإرشاد يتبدى بنفْس مشفقة، وقلب حان؛ رغبة في تهذيب النفوس، واصطلاح الأحوال، وفي مقام الابتهال ينكشف عن نفس متذللة لفاطرها، متألمة على حالها، متعطشة لمرضاة ربها، وفي مواطن الحجاج تستشعر نفسا معتزّة بمبدئها، حريصة على إقناع خصمها.

ومع هذا وذاك فإن أصدق تجاربه الشعرية نجدها في شعره السلوكي الذي يعكس لنا اكتمال التجربة الشعرية ونضجها لديه، يقول وهو في نشوة الحبّ الإلهي :

فيـــــا ربي أذقنـــي شـــمولاً فيهـــا سُنـــــحُ
أدر كـــــأسي دهاقـــــا لعـــلّي لســـت أصـــحو
ولا أصـــــبر لحـــال لِدَلـــه الســـكر يمحـــو

ونجد عاطفته الجياشة تصور عمق تجربته السلوكية في الغرام الإلهي ؛ فيصف (كأس الهوى)وما يلاقيه فيه من عذاب يؤجج مشاعره، ويزيد من توقه لوصل حبيبه، حيث يقول :

وبه نـــــار الغرام أججت في الحشا ما الحب إن جربت سهلُ
لو تكن نار العذاب لخبت والهوى نار به ما عنـــــه تخلو

لـو تـرى التعـذيب فيـه قلـت آه واحبيبـي في الهـوى أرداه قتـــــــلُ
مهجتـي ذوبي عليـــــــه أسـفا واعذليـه علّـه يجديـه عـــــــــذلُ

٤-النزعة الذاتية :

والشاعر في نزعته الذاتية تجده يلتفت إلى وجدانه، ويرقب عالمه المتغير، ثم يقف موقفا خاصا من الحياة والطبيعة والمجتمع ، يكشف فيها ذاته يتأثر بمن حوله ويؤثر فيه ، ومع أن هذه المواقف - في حد ذاتها - تعبير عن حياة المجتمع إلا أنها تتلون بالشعور الخاص عند الشاعر، وهو بهذا الشعور الخاص يصور لنا نتاج عمله.(٢٠)

وقد رأينا فيما سبق نظرة الشيخ إلى الحياة بعد أن تأمل في مجرياتها السياسية، وما صحبها من فتن؛ فكانت له نظرته الخاصة ، تلكم النظرة التي تكشف عن بعد مواطن الفتن والالتجاء بالله رغبة في أن يمن على عباده باستقرار الأمور ، يقول الشيخ :

صمدت لذي النعما ليكشف ما بيهْ ويسلب عني هول ما قد رزانيهْ
رمتني صروف الدهـــــر منها بأسهم فلم يك عنها لي من الله واقيـــةْ

وهول ما قد أصاب شاعرنا هو :

فقد عصفت ريح الخطوب وهدمت قواعد أركان من الدين راسيـــــــةْ

وما شجـــــرة الإيمـــان إلا كأنها هشيم على أرض من الجدب باليةْ
وما شـــــرعة الإسلام إلا كأنها هياكل أجسام من الروح خاليـــــةْ

لكن هذه النظرة للأمور محفوفة بالرجاء :

فسحّى علينا هاتن المزن رحمـــة بسائحها ينزاح بارج غاشيـــــــةْ
إلهي اهدنا نهج الرشاد بعصمة تقينا غواشي البغي من كل طاغيةْ

ويرى شاعرنا أن الحياة تسقي المرء مرها إن لم يكن ذا خبرة بأحوالها ودراية بشؤونها :

ومن لم يكن في دهره عالما به سقته يد الأيام مرّ المشاربِ

كما أن الركون إلى الحياة الدنيا والانشغال الزائد بها لا ينال المرء منه إلا النصب :

ومن يخدم الدنيا يصر رقها ومن على عكس ذا أولته كل المطالبِ

فما دام هذا حال الحياة فلا بد للمرء من ذخيرة يتقي بها شراك الحياة ومنغّصاتها ، ومن تلك الذخائر صاحب تقي عالم يتزود منه ويأنس به، ومال يعز به نفسه :

ومن لم يصاحب غير حبر وذي اصطفا فيمضي عليه الدهر من غير صاحبِ
ومن لا له مال يعش في مهانـــة بَلا فقره يَسقيه كأس المتاعبِ

ومع أن هذه الحياة مجرد قنطرة عبور إلا أن سرورها منغص بكدر :

ومن يأمل الدنيا مقرا كمن رجا على الموج يبني من مصانع ساميةْ
فمن سر يوما ساءه الدهر برهة فكيف وما تلك المسرات وافيةْ؟

ونجده ينسجم مع الطبيعة فهي مبعث للبهجة والسرور:

وإن هبت النسما يفوح بنفسج ... وورد وآس والرياحين ذو الزهرِ

وأسود غربيب بأحداق زهره ... كأحداق حور قد تجلت من الخدرِ

وأحيانا تظهر له بوجه مكفهر :

إذا آن وقت من ثمار تلونت ... خسائر يمسي كفنا منك ذا صفرِ

إذا ما شتاء آن هبت زعازع ... الرياح كما هبت لعاد أولي الكفرِ

عليها غمام يحبس الجو ظلمة ... فما ملجأ إلا هشيم من السدرِ

والطبيعة بمفرداتها حاضرة في قصائد الشيخ من نجوم ، وجبال (شُم، قُلَل)، وطيور (أطيار، وُرْق، عنقاء)، وثمار بأنواعها، وشذى روائح الأزهار، وبحار وأمواج وعواصف ومزن، وكواكب ونجوم وضياء وبدر ونور ، وشمس وليل ونهار ، وأرض وسماء ، وفلك وماء ويَم ، يقول الشيخ :

فمن نورها شمس الهداية أشرقت ... ومن مزنها ودق الحيا المتهاطل

ويقول :

وما شجرة الإيمان إلا كأنها ... هشيم على أرض من الجدب باليةْ

وما شيم الأحرار إلا كمُزْنة ... على الجو هبتها عواصف عاتيةْ

أما المجتمع بأفراده ومكوناته فلا ريب أن الشيخ- وهو مصلح اجتماعي - ذو ارتباط وثيق به ، متابع لأحداثه ، وراصد لمجرياته ، ومعبر عن رأيه فيها ، فما قوله مثلا :

يريدون نصباً ما له الدهر خافض فهل عامل للخفض يوضع للنصبِ؟!

إلا تعبير واضح عن أمور يستنكرها بعد متابعتها والتدقيق في مجرياتها، وما قوله أيضا:

لعل شموس العلم يشرق نورها فيجلي بهيم الجهل في زمن رحبِ

لعل جنان الفضل يخضرّ روضها فتجني بدوح الكرم من ثمر الحبِ

إلا استشراف لمستقبل مجتمعه، ورغبة صريحة في تبدل الأحوال إلى ما هو خير ونماء.

وداخل هذه النظرة العامة للمجتمع نجد نظرة أخرى تتسم بالخصوصية ، فشاعرنا شغوف بصحبة أقرانه من ذوي العلم، نجد ذلك في أكثر من موضع في شعره تصريحا أو تلميحا، بل إنه يُعزّي نفسه بهم وقت الضيق، فحين عاتب فلج المحيول بعد أن محل فضيق له صدره ، وجزى الوصل بالهجر، قال متحدثا عن مسجد المحيول في خاتمة قصيدته :

يواصلني فيه أخو العلم والحجا وأربح شيء لي مواصلة الحبرِ

فجعل من مواصلة الحبر ربحا في خاتمة القصيدة، مع أنه وصف فلج المحيول في بداية قصيدته بأنه لا ربح فيه فقال :

ومرت بك الأيام ما فيك مربح يرجّى ولا نجح على عادة النهرِ
إذا آن وقت من ثمار تلونت خسائر يمسي كفنا منك ذا صفرِ

وفي إطار النزعة الذاتية نجد الشيخ ينزع نزعة سلوكية في شعره، وهذا يعكس عنايته بتربية نفسه تربية إيمانية وحرصه على تغذيتها بالزاد الروحي ؛ لذا فهو في شعره السلوكي أمكن في التعبير عن وجدانه ونبض إحساسه وفكره والقدرة على الرؤية والتعبير والتجلي، وفي شعره السلوكي كذلك نجده يكثف معانيه، ويتعمق في دلالاته.

ومما يدلل لنا أيضا نزعته السلوكية وسيطرتها على شعوره ووجدانه حضور أساليب التعبير السلوكي وتوظيف ألفاظه في سياقات غير سلوكية ، وليس أدل على ذلك من حضور المعاني السلوكية وألفاظها في مطلع جوابه النظمي في قوله :

أصخ لجوابي فهو أحلى من الشهدِّ وترياقه أحلى لذا الجهل والجهدِ
ككأس له طفحٌ فَعُلَّ مساغه فنشوته صحو يرقي ذرى المجدِ

ففي البيت الثاني توالت ألفاظ من الحقل السلوكي في سياقات نظمية فقهية (كأس- طفح- عُلّ- نشوة- صحو) ووردت في نسق تركيبي مماثل للتعبير

السلوكي (ككأس له طفح- عُلّ مساغه – نشوته صحو)، وهذا يؤكد سيطرة النزعة السلوكية على الحسّ الشعري للشيخ ، فهو في قصيدته السلوكية يقول :

وفيها حان صهبا به الكاسات طفحُ

ويقول في موضع آخر :

إذا ما الليل داجٍ فما النشوان يصحو

ويقول أيضا :

وبه الأجسام صارت للفنا قد براها منه إنهال وعَلُّ

ويقول :

مديم النهل عَلا ببذل الروح سمحُ

هذا فضلا عما ألمح إليه في البيت الأول من جوابه النظمي من إشارات تضاف إلى ما أوردناه عن البيت الثاني؛ فـ(الترياق) في أحد معانيه هو اسم من أسماء الخمر عند العرب ، وقد ورد في البيت مسندا إلى الحلاوة ، والخمرة الإلهية لها مكانة في الحقل السلوكي ، والشيخ قد تحدث عنها كثيرا في شعره السلوكي، وقرنها بالحلاوة أيضا أو ما أشبه ذلك كاللذة والذوق، من ذلك قوله :

أيها التائق في كأس الهوى فانتهله فبهذا الليل يحلو

ومنها قوله :

فيا ربي أذقني شمولاً فيها سُنحُ

وإذا ما تجاوزنا الجواب النظمي إلى قصائد أخرى غير سلوكية نجد فيها أيضا حضورا للحقل السلوكي، كقوله في قصيدته التي وصف فيها (مقام كتبه وخزانة أسفاره):

وبهجتــه تحيــي القلــوب كــأنما يعللهــا ســاقٍ رحيقــا وكــوثرا

وقوله في قصيدته التي مدح بها فلج المحيول :

به مجمع من كل حبر وعابــــــد تعاطوا كؤوس الحب كالعسل الخمرِ

فمــنهم عــلى شرع يهــذب أنفســا ومنهم على نَحْوٍ وفي عيشه السكرِ

ويقول في قصيدته التي يذمّ فيها مَن استبدل المنام باليقظة :

مراقبــا في الله مــا دقّ وجــلّ أساغ كأس الحب صِرْفا بالعلَلْ

واختياره أيضا (دوح الكرم) دون غيره من الشجر مقرونا بثمر الحب في قوله :

لعل جنان الفضل يخضرّ روضها فتجني بدوح الكرم من ثمر الحبِّ

٥- طول النفَس الشعري في أدب المناظرة :

ومع أن شاعرنا مقلّ في شعره إلا أنه يتمتع بطول نفس شعري ، يتبدى لنا ذلك في مطولته (سر القدر)التي بلغت مائة بيت، "وترجع أهمية المطولات إلى أنها تشتمل على تجارب مكتملة عمل فيها الفكر والشعور عملهما"(٢١)، وتتسم هذه المطولة بأنها تتمركز في فكرة (سر القدر)، وبهذا التمركز تكون القصيدة على

طولها وحدة واحدة منسجمة في مبناها ومعناها، وقد كان تقصي جوانب تلك الفكرة المركزية ، وتتبع جزيئاتها وأبعادها سببا في امتداد نفس الشاعر ، كل ذلك بمزيج من الجدل الفكري العقدي الذي نسجه في أسلوب حواري ثنائي (إن قال – قلنا)، ومن شعور عاطفي متنوع يوزعه في أطراف قصيده حسب الدفقة الشعورية التي يولدها ذلكم الجدل الفكري؛ فتارة إثارة وتشويق، وتارة اندهاش وانبهار، وتارة رهبة مرعبة تتلوها رغبة جامحة، وأخيرا نشوة إعجاب وافتخار .

فالشاعر يزيح الستار عن قصيدته في مشهدها الأول (١-١٠)بأسلوب فيه إثارة وتشويق للمتلقي، يبدأها بتكرار كلمة (سرّ) في البيتين (١-٢) وهذه الكلمة لها أبعادها الدالة على الكتمان والتخفي والتعمية والضبابية التي تثير فضول المتلقي ونهمه لفضّ ختام هذا السر، والأغرب من أمر هذا السر أن الأدلة (القرآنية والنبوية والعقلية)قد جلّته للعيان، معبرا عن ذلك بألفاظ وتراكيب مغايرة لدلالة الكتمان والتخفي مثل : (نادى- ينشر لفها – بسط الأثر- نار – منارها ضوء زهر)، وهذه المغايرة قصدها الشاعر لمزيد إثارة وتشويق .

ثم ينقل قارئه إلى عنصر تشويقي آخر في أبياته (٧-١٠)ترشده إلى السبيل الذي سيزيح عنه (غشاوة مدلهم)، ويخلصه من ظلمة ليله الدامس، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن يركب (فلك النجاة)، فلا نجاة من تلك الغشاوة إلا بمن عبر على (فلك

النجاة)ليبحر به الشاعر – وهو الربان الماهر – في رحلة فكرية عميقة وموغلة في (متلاطمات بحور سرّ قد زخر)، ومن نافلة القول أن تناصّ القصص القرآني واضح في هذا الأسلوب التشويقي فهو يذكّرنا بفلك نبي الله نوح – عليه السلام – التي كانت سبيل نجاة المؤمنين من الغرق في الطوفان .

ثم يبدأ المشهد الثاني وهو بداية الرحلة الفكرية، فيستهله الشاعر بقوله " فانظر عجائب خلقنا" على نسق الأسلوب القرآني في دعوته إلى التأمل ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وهذا المشهد المتمثل في الأبيات (١١- ٢٦) يكتنفه انبهار واندهاش ناتج عن عمق تأمل في بديع صنع الله : من تنوّع حواس الإنسان، وتدرّج في خلقه من (نطفة مقذوفة فيما استقر)، ثم تتدرّج الخلْقة إلى أن يخرج الجنين من قرار مكين :

فافتر من أكمامه افـــــــ ـــــــترار أكمام الشجرْ

فانهل طفلا مستهـــــــــ ـــــــلا مستو خلقا بشرْ

ثم مما يبهر الشاعر في خلقة البشر اختلاف طبائعهم ، ومساعيهم وتوجهاتهم ، وفي نهاية هذا المشهد ينبهر الشاعر من تركيب العقل البشري الذي خلقه الله في طبيعة تستحسن الخير وتستقبح الشر، ولكن رغم هذه العقول المميزة إلا أن همم النفوس تتخرب حين تمر بمواقف الابتلاء، وقد جعل الشاعر الانبهار بالعقول، ثم ما يؤول إليه بعضُهامن انتكاس نهاية لهذا المشهد؛ ليخلص منه للانتقال إلى

المشهد الثالث، المتضمن الجدل الفكري؛ إشارة منه إلى الانتكاس العقلي الذي أصاب مُجادِله؛ فأصبح يستحسن الشر ويستقبح الخير ، هذا فضلا عن الرابط اللفظي بين المشهدين بكلمة (البواعث) .

وحين نصل إلى المشهد الثالث الأبيات (٢٧-٦٩) نجد الشاعر قد ألقى عصا الترحال، ووصل بنا إلى بيت القصيد، إنه الحوار الثنائي والمناظرة الفكرية .

وموضوع المناظرة متعلق بجوانب عقدية كآراء الجبرية ومسائل القدر وخلق أفعال العباد، ولا يعنينا هنا مضمون تلك المسائل وتفاصيلها، وإنما نريد أن نلتفت إلى شيء من أدب المناظرة الشعرية في القصيدة ، فقد تجلى بوضوح أسلوب إدارة الحوار بين الطرفين بفواصل لفظية أهمها (إن قلتَ - قلتُ) و(إن قال - قلنا)،والصيغة الأولى ذكرت مرتين فقط في البيتين (٢٧ و ٨٣)في بداية الحوار ونهايته، فكانت مفتاح الحوار وقفله، والصيغة قائمة بين طرفين (مخاطب مفرد - متكلم مفرد)وكأن الشاعر بهذه الصيغة ينقل المتلقي إلى قاعة المناظرة كاملة في مبتدأ الأمر ونهايته، ويجعله في جوها، وهي في أساسها بين طرفين مفردين (مخاطب- متكلم)كما هو معهود.

أما الصيغة الثانية (إن قال - قلنا) في الأبيات (٤٥ -٦٢) فهي الصيغة الغالبة حيث تكررت ست مرات ، لكنها وردت أول مرة بعد غياب ضمير المخاطب في تسع أبيات متتالية ، وهذا الفاصل كفيل بتهيئة المتلقي لاستقبال صيغة أخرى

(غائب مفرد - متكلم جمع)، وكأن الخصم بتوالي الحجج عليه قد انتهى أمره ، وأصبح مجرد حكاية تروى للمتلقي من الشيخ وصحبه .

واستخدم الشيخ كذلك صيغا أخرى مثل (دع أن تقل - إياك تسأل - أو أن تفوه) في الأبيات (٣٢-٣٥) وهذه الصيغ كلها تندرج تحت أسلوب واحد، يوحي بأن الشيخ يقرأ أفكار خصمه قبل أن يتحدث بها الخصم ؛ فيعاجله الشيخ بالرد على تصوراته الخاطئة ، وبعد هذه الصيغ التي لا يزال فيها ضمير المخاطب حاضرا يبدأ الشيخ في استخدام أسلوب آخر في إدارة الحوار مثل (قبحت مقالة ملحد : ....)، (والكفر حق بقائل : ....) في البيتين (٣٨ -٣٩) فيذوب فيهما ضمير المخاطب هكذا تدريجيا، بطريقة تُهيّئ المتلقي لاستقبال صيغة (إن قال - قلنا) (غائب مفرد - متكلم جمع) التي أشرنا إليها آنفا .

ويتخلل هذه المناظرة الحديث عن النار والجنة بأسلوب يثير عاطفة الرهبة المرعبة من الأولى والرغبة الجامحة في الثانية وذلك في الأبيات (٧٠ - ٨٢)، وهو أسلوب لجأ إليه الشاعر في مناظرته ليتفكّر خصمه في خطورة معتقده وينبهه إلى المصير، مثيرا في نفسه عاطفتي الخوف والرجاء، ولذا نلاحظ أن الشيخ بعد ذلك مباشرة قد وصف خصمه في نهاية المناظرة بالحيرة في قوله :

إن قلت مما ذا وذاك حار فكري والنظرْ

إشارة إلى انتقال الخصم من مرحلة العناد والمكابرة إلى مرحلة الحيرة والتشكك ؛ ليكون ذلك طريقا يقوده إلى نهاية المطاف وهو الاقتناع والتسليم .

ومن أهم الأساليب التي اتكأ عليها الشيخ في تقديم حججه لخصمه أسلوب الاستفهام في بعض أغراضه البلاغية، فتارة بغرض النفي كقوله :

إن قال : شيء قلت :هل شيء بلا خلق ظهرْ؟

أو قال :لا ، قلنا : فما لا شيء هل في الملك قرّ؟

وتارة بغرض التقرير :

أفلم يلج مهوى الشقا منا فريق في سقرْ

وهذا الأسلوب من الأساليب البليغة في أدب المناظرة ، تجعل الخصم في حيرة واضطراب ، وهي من الأساليب القرآنية البارزة في مواقف الجدل والحجاج ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ .

أما المشهد الأخير من القصيدة الأبيات (٩١-١٠٠) فتتخلله عاطفة إعجاب وافتخار بحسن القصيدة، هذه العاطفة محفوفة في أولها بتضرع إلى الله بالرحمة وحمده وشكره، و في آخرها بالصلاة على النبي وآله ومن تبعه، وهي خاتمة القصيدة التي أرادها الشيخ أن تكون خاتمة مغلقة، تتلاءم مع جو المناظرة التي

ارتفعت جلستها بإلزام الخصم الحجة وانتهاء الأمر، فلا مجال بعد ذلك للمماراة والنكوث .

وهكذا رأينا هذه القصيدة المطولة التي عكست طول نَفَس الشاعر ، وقدرته على تقصِّي موضوعها في نسيج واحد، أجاد حسن الدخول فيه والخروج منه ، والانتقال بين جزيئاته بحركة انسيابية ، مع التنوع العاطفي الموزع بطريقة أكسبت القصيدة رونقا يتلاءم مع أدب المناظرة ، إضافة إلى حسن إدارة تلك المناظرة ، وتكثيف الأساليب ، ونبض العواطف الملائمة لها .

٦- الأسلوب واللفظ :

من أهم سمات الألفاظ التي ينتقيها الشاعر أن تكون معبرة أحسن تعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، مناسبة في أداء المعنى المراد وفي إيحاءاتها ، وأن تكون متناسقة مع الغرض الذي سيقت له؛ فتكون عذبة سهلة في مواطن الغزل وما شابهه كالشعر السلوكي في مقام المحبة الإلهية، وتكون جزلة فخمة في مواطن الحماسة وما شابهها .

وهذا ما نلحظه عند الشيخ راشد؛ ففي مواطن عدة من شعره يعنى بتكثيف الألفاظ والأساليب الملائمة للغرض الشعري وموضوع قصيدته؛ فمقام العتاب - مثلا - تظهر فيه ألفاظ اللوم التي تكاد تكون تقريعا وتوبيخا لشدة التأثر بالموقف، وهذا ما نجده في عتابه لفلج المحيول حين محل، يقول الشيخ :

عليهـا غـمام يحـبس الجـو ظلمـة فـما ملجـأ إلا هشـيم مـن السـدرِ
وإن آن حَـرّ باشرتنـا سمومـه كـأن بهـا النـيران شـبّت مـن الجمرِ

ففي البيت الأول يورد الألفاظ (غمام - يحبس- الجو - هشيم)، والبيت الثاني تتكثف فيه خمس ألفاظ متوالية من حقل دلالي واحد وهو السخونة أو الحرارة (حر-سموم- النيران - شب - الجمر)مستعينا في ذلك بأسلوب التشبيه ، كل ذلك يعكس شدة التأثر بالموقف .

أما في مقام مدحه لفلج المحيول بعد أن خصب تتجلّى رقة الألفاظ وعذوبتها كاشفة عن بهجة الشاعر :

وأسود غربيب بأحداق زهـره كأحداق حور قد تجلت من الخدرِ
فذا ينعش الأرواح من طيب نشره وذا يبعث الأفراح إن فـاح بالعطرِ

وكذا نجده في خاتمة قصيدته التي نظم فيها المسائل الثمان، إذ يقول مادحا إياها:

فمن نورها شمس الهداية أشرقت ومن مزنها ودق الحيا المتهاطل
كأن علوم الوحي تنشر طيها بما ضمنته من علوم الأوائل

والحال نفسه في خاتمة قصيدته (سر القدر) وهو يمدح قصيدته في نشوة افتخار بإبداعها:

خذها كشمس أشرقت تهدي الهدى فيما شجرْ
أو أنها حوراء تر فل بالخبير من الخبرْ

وبغنجهـــــا تاهـــــت دَلا لاً زانها نور زهـــــــــــرْ

ولشـــأنها نظمـــت جـــــوا هر مـا الجـواهر والـــــــدررْ

أمّا في مطلع هذه القصيدة نفسها في قوله :

فجلـــت غشـــاوة مـــدلهمْ غطّـــى جهالـــة مـــا اســـتترْ

وتكشـــفت ســـتر الخفيـــــّ ـــــــات المحجبـــة الغـــررْ

وتموجـــت متـــــــلاطما ت بحـــور ســـــر قـــد زخـــرْ

فيكثف الشاعر ألفاظا تتلاءم مع عنصر التشـويق والإثـارة لمعرفـة (سر القـدر)؛ فينتقي منها ما يناسب دلالة (السر) ويتصل بحقل التّخفِّي والتَّعْمِية ، وحسبنا أنه في بيته الأول يوالي خمس كلـمات في نسـق واحـد (غشـاوة - مـدلهم - غطّـى - جهالة - استتر) وكذا في البيت الثاني (ستر - الخفيات - المحجبة)، فكل هـذه الألفاظ بتواليها وانتمائها إلى دلالة واحدة تلهب عاطفـة المشـهد، وتخـدم فكرتـه، هذا فضلا عن الأساليب التركيبية التي تخدم الموقـف كنعتـه (الخفيـات) بـالغرر، وإضافته (ستر الخفيات)و(بحور سر)، ونعـت السـر بـــ(قـد زخـر)، وكـذا استخدام لفظة (بحور) في هذا السياق تعكس ما للبحر من دلالـة عـلى المجهـول (فيما وراءه) و المكنـون (في قاعـه)، فكيـف وقـد جـاءت اللفظـة بصـيغة الجمـع (بحور) ؟!

أما شعره السلوكي في ابتهاليته الرائعة في مقام الدعاء والابتهال إلى الله فإنه ينتقي من الألفاظ والأساليب ما يعكس التبتّل لله والخضوع له والتذلل على أبواب رحمته والاستكانة بين يديه، وهذا ما تفيض به قصيدته (إلهي لك الحمد)في ألفاظها وأسلوبها، يقول الشيخ فيها :

إلهي وسعت الكون علما ورحمة تسبحك الأكوان فالكل خاضع
إلهي عُبيد قام يدعوك ضارعا أسير ذنوب من عقابك جازع
إلهي تقبّل توبتي وامْحُ حَوبتي فإني منيب تائب لك راجع

فنلحظ ألفاظه المعبّرة (خاضع - ضارعا - جازع - راجع ...إلخ)، وأساليبه مثل تكرار نداء ربّه، وملاءمة تصغير لفظة (عُبيد)، والمجاز في قوله (أسير ذنوب)، والإلحاح في الطلب كتوالي الجمل الدالة عليه : (تقبّل توبتي) و(امْحُ حَوبتي)، مع ما أحدثه هذا التوالي من إيقاع داخلي زانه طلاوة (الجناس)، وكذلك الإلحاح في الطلب بتوالي المفردات الدالة عليه في سياق شطر واحد(منيب - تائب - راجع)مع ما يحفّ هذه الألفاظ من دلالة تأكيد الإنابة والتوبة بـ(إنّ)، ودلالة قصر الرجوع إلى الله وحده بتقديم شبه الجملة (لك)، إضافة إلى العناية التامة بحضور ضمير المتكلم المفرد في كل أبيات القصيدة مثل (إلهي - توبتي - حوبتي - فإني)وخطابه لربّه - جلّ وعلا - مثل (وسعت- لك)يوحي بجوّ روحانيّ يناجي فيه ربّه في خلوته.

وفي نمط آخر من شعره السلوكي نجد القصيدة زاخرة بألفاظ تجعل المتلقي يعيش أجواء روحانية ؛ بما تنفثه فيه من نفحات إيمانية وإيحاءات صوفية ، تتخطى في كثير من الأحيان دلالاتها المعجمية إلى دلالاتها الاصطلاحية السلوكية ، وتتجاوز إيحاءاتُها المألوفَ في الساحة الأدبية إلى إيحاءات صوفية خاصة ؛ فليس الحديث عن العشق والغرام في شعر شيخنا كالحديث عنه في عذريات جميل بثينة أو مجون عمر بن أبي ربيعة ، وليس الحديث عن الخمر ونشوتها هنا كالحديث عنها في خمريات أبي نواس.

ومع أننا لم نظفر للشيخ من هذا النمط السلوكي إلا بقصيدتين - إحداهما من أربعة وثلاثين بيتا والأخرى من أربعة وعشرين بيتا- لكنهما كشفتا عن قدرته المعجمية والاصطلاحية في مجال الشعر السلوكي، وليس أدل على ذلك من ورود الاشتقاقات والمترادفات التي يوظفها الشاعر في سياقاتها السلوكية ، فمادة (حبب) مثلا ترد على (حبّ - محبوب - أحباب - حبيب)، والاشتقاق الواحد منها أحيانا يتكرر في النص الواحد في أكثر من موضع، كذلك في مرادفات (الحبّ) ومراتبه ودرجاته نجد : الهوى والغرام والشوق والعشق والجوى والهيام (هام) والوَجْد والوَلَه والصبابة (يصب)، وكذلك الخمر يتحدث عنها بأسمائها : الخمر والصهباء والشمول ، أو بما يدلّ عليها أحيانا كـ : كأس وكاسات وكؤوس وكَرْم ونشوة ونشوان وندامى ونهل وعلّ ، ومن الواضح أن هذه

الألفاظ المعجمية منها والاصطلاحية متّسمة بالرقة والعذوبة ؛ ليتلاءم ذلك مع مقام التودّد للمحبوب - جلّ وعلا - والتذلل بين يديه ، وإدامة قرع أبواب رجائه لنيل رحمته .

٧- الصورة الشعرية :

يعد الخيال آلة الشاعر التي ينسج بها أفكاره، ويعرض من خلالها مشاعره؛ ليختزل بواسطته لغته ويوسع قاعدة معانيه، وتعدّ الطبيعة وما فيها وما حولها مادة الأديب التي يستقي منها خياله المصور .

وهذا ما نجده في شعر الشيخ راشد؛ فالطبيعة حاضرة المعالم في صوره الشعرية ، من ذلك مثلا صورة الطلعة البهيّة للمولود وقت ولادته أشبه بصورة تفتح زهر الشجر من أكمامه، وذلك مشعر بالبهجة ومؤذن بالنماء :

ثم إذا الروح انتشت صار جنينا مضطمرْ

فافتر من أكمامه افترار أكمام الشجرْ

وفي استشرافه لزمن يسود فيه العدل وينتشر فيه العلم وينعم فيه الناس بالوئام يصوره بجنان مورقة بهيَّة رياضها، يانعة ثمارها :

لعل جنان الفضل يخضرّ روضها فتجني بدوح الكرم من ثمر الحبِّ

ويوظف الطبيعة كذلك في شعره السلوكي؛ ففي نشوة اشتياق الخلوة لمناجاة ربه والعيش في أجواء روحانية تغمر القلب بالسعادة الإيمانية هذه الصورة أشبه بصورة روضة بديعة سلبت اللب بحسن منظرها وعبق عبيرها ونوح حمامها :

رياض الشوق فاحت عبيراً فيه رشحُ
وفيها الوُرْق ناحت وبالهزجات صدحُ
يجاوبها شجيٌّ له وَلَهٌ ونوحُ
وفيها هبَّ رَوْحٌ له نشر ونفحُ
وفيها بحر عشق لكل فيه سبحُ

أما في مقام المدح فيشبّه قصيدته (سر القدر) في حسن سبكها وجمال معانيها بحوراء ترفل بثوبها وتتمايل دلالا بحسن قوامها وناصع بياضها:

أو أنها حوراء تر فل بالخبير من الخبرْ
وبغنجها تاهت دَلا لاً زانها نور زهرْ

وفي وصفه مقام كتبه يشبه الرسوم المنسقة التي تحيط بقبابه بسوار من اليواقيت بمعصم غيداء :

عليه رسوم نمقت بقبابه كمعصم غيد باليواقيت سورا

وفي بستانه المحيول وقت خصبه يصور أحداق زهره حين تتفتح ناشرة عبق طيبها المنعش للأرواح بصورة أحداق الحور حين تتبدى من خدرها والعطر يفوح منها باعثة الأفراح :

وأسود غربيب بأحداق زهـــــره كأحداق حور قد تجلت من الخدرِ

فذا ينعش الأرواح من طيب نشره وذا يبعث الأفراح إن فاح بالعطرِ

ومن الأساليب الفنية التي يستخدمها الشاعر في تعبيره تجسيمُ المعاني المجردة ، كقوله في الحديث عن المؤمن الذي فاز برحمة الله :

فنجا وفاز برحمة ما شابها شوك الكدرْ

فجسد معنى الكدر في تعكيره الصفو بالشوك في إيلام وخزته، وهكذا في المعاني الأخرى التي عني بتجسيدها وتشخيصها؛ تجلية للمعنى وإضفاء لجمال التعبير مثل (سيوف الحب - كأس الحب- جنان الفضل - بروق النصر- رياض الشوق – نار الغرام – نشوة المفهوم)، وقريب من ذلك تجسيده لفلج المحيول فيجعل منه إنسانا يناديه ويخاطبه في قصيدته، فمرة يعاتبه ويلومه وقد ضيق صدره وهجر وصله، ومرة يسبغ عليه ثناءه ويلبسه حلل مدائحه، ويدعو له كصديق ألم به بعد طول فراق، وترد بعض صور الخيال عند الشاعر مما هو مألوف في الشعر العربي يقول كناية عن العلو والرفعة :

ومن لم يكن ذا همة تخرق السما لدرك العلا يبلى بخطب النوائبِ

وقوله :

وإن تسعد الأقدار ذا العجز عرجت بهاتـــه فـــوق النجـــوم الثواقـــبِ

ويقول كناية عن الذل :

ومـــن لم يكـــن في دهـــره عالمـــا بـــه سـقته يـد الأيـام مـرّ المشـاربِ

وقوله :

يجـودون بـالأرواح في حـب جمعهـا فتـنهلهم منهـا مسـاغا مـن الصـابِ

ومن استخدامه للاستعارات المألوفة قوله :

رمتنـي صروف الـدهر منهـا بأسـهم فلـم يـك عنهـا لي مـن الله واقيـةْ

ويظهر في بعض تشبيهاته التأثر ببلاغة القرآن الكريم كقوله :

وتناهبتـــــه يـــــد الســـــوايق كالهشـــــــيم المحتظِـــــــرْ

وقوله :

ومكبكـــــــب في حـــــــاجم كالقـــــصر ترمـــــي بالـــــشررْ

وقد يتكأ أحيانا على كنايات العرب كقوله كناية عن الذل :

ومـــن لا لـــه في ذروة العـــز مرتقـــى رقـــاه عـــلى اليـــافوخ بـــول الثعالـــب

وقوله كناية عن سقوط الزمان الكدر وزواله :

لعـل الزمـان الصـعب يكبـو جـواده بتفريق شمل البغي بالخسف والسلبِ

وفي استعارته التي شبّه فيها الموت بحيوان مفترس ينقض على فريسته يقول :

ومن رفض الحزم المنيع يلم ولو تناشبه أمر القضا بالمخالبِ

وهو من قول الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

٨- الإيقاع:

سبق الحديث عن عناية الشيخ بانتقاء ألفاظ تصور المعنى؛ وتؤثر في نفس المتلقي بإيقاعها الداخلي؛ والإيقاع الداخلي لا يحصل إلا حين يتوفّر انسجام بين عناصر التركيب من دلالة معجمية للكلمة ودلالة سياقية، وجَرْس حروفها، وموقعها التركيبي، مع ما يصحب ذلك من تكثيف معنوي أو لفظي في السياق بطريقة فنية، ومواءمة ذلك للفكرة الجزئية والكلية، كل ذلك يُوجد إيقاعا داخليا يجعل المتلقي يعيش مع الشاعر مشاعره وأحاسيسه، وبتعبير آخر يستطيع أن ينقل المتلقي إلى تلك الأجواء التي يتحدث عنها .

وقد أثرنا هذا الأمر سابقا واتضح لنا مقدرة شاعرنا بهذه الأدوات الفنية على تصوير مشاعره، وتأثير ه على المتلقي، كما مثّلنا على ذلك في حديثه عن فلج المحيول معاتبا أو مادحا، وكذا في قصيدتيه السلوكيتين وقصيدته (سر القدر) .

وعَوْد على بدأ سنسلط الضوء هنا على أبيات من قصيدة (سر القدر) عند قوله :

نصبت معالم للسلوك لنهج سبل بالخيرْ

إلى قوله :

فنجـــــا وفـــــاز برحمـــــة مـــا شـــابها شـــوك الكـــدرْ

فقد اتضح سابقا أن الشاعر في مناظرته الأدبية قد لجأ إلى أسلوب الترهيب ثم الترغيب لكونهما أحد الأساليب النفسية التي يسعى من خلالها إلى إقناع خصمه وإقامة الحجة عليه، وقد جاءت هذه الأبيات في المرحلة قبل الأخيرة كما بيَّنا سابقا.

وأول ما يلفت الانتباه هنا تقديم الترهيب على الترغيب ، ثم إن الترهيب قد جاء في سبعة أبيات - إن اعتبرنا البيتين الأوليين مقدمة وتهيئة لتقسيم الأمر إلى ترغيب وترهيب - أما أبيات الترغيب فلم تتجاوز الأربعة أبيات، وهذا أنسب لجو المناظرة ؛ لأن الخصم بمكابرته الحق وانحراف تصوره - كما يتضح سابقا من القصيدة - لا ينتبه حينها لخطورة مصيره الذي سيؤول إليه إن لم يقتنع ، فكان العناية بزجره بالترهيب أوقع أثرا من العناية بإغرائه بالترغيب.

وإذا ركّزنا على أبيات الترهيب نلاحظ أن الشاعر قد انتقى كلمات أحدثت إيقاعا داخليا ، ففي قوله :

وتناهبتـــــه يـــــد الســـــوائق كالهشـــــــيم المحتظِـــــــر

ألقتـــــه في قعـــــر ســـــحيق لا نجـــــــــــاة ولا وزرْ

نلحظ المد في الفعل (تناهب)يوحي بشدة الانقضاض وقسوته ، إضافة إلى المدلول المعجمي للكلمة الذي يوحي بهجوم مباغت على حين غفلة من العاصي، فالتناغم بين المستويين الصوتي والمعجمي في الكلمة أوجد إيقاعا داخليا، كما نلحظ إفراد كلمة (يد) مع جمع (السوائق) للدلالة على أن الهجوم منهم كان في لحظة واحدة ، وكأنه سلب بيد واحدة، وهذا أوقع إيلاما؛ إذ لم يتفرق زمن انقضاض السوائق سائقا بعد آخر .

كذلك مد الياء في كلمة (سحيق) يتناسب مع الدلالة على عمق القعر ، ومن الملفت للانتباه أيضا تكرار حرف القاف ثلاث مرات في هذا الشطر ، والقاف صوت انفجاري ، وذلك يتلاءم مع شدة الموقف وصعوبته .

وفي قوله :

فلـــه المهـــاد لحينـــــه نـــار تـــــأجج تســـتعرْ

ومكبكـــــب في حـــــاجم كالقـــصر ترمـــي بالـــشررْ

الجيم صوت انفجاري أيضا، وقد توالى في الفعل (تأجَّج)مع ملاحظة شدة النطق به مضعفا، كل ذلك يوحي بشدة اضطرام النار، وكأن مقطع توالي صوت الجيم انفجاريا يوحي بصوت ذلك الاضطرام .

كما نلحظ اختيار اسم المفعول (مُكَبْكَب) يوحي ا لتكرار المتوالي لصوتي الكاف والباء (كب- كب) بتوالي وقوع الفعل وكثرته .

والدلالة الصوتية للقاف والجيم في مقام الترهيب في القصيدة تختلف عن ملاءمة تكرار حرف الشين في مقام الترغيب بعد انتقال الحديث إليه في قوله :

فنجـــــا وفـــــاز برحمـــــة مـــا شـــابها شـــوك الكـــدرْ

والشين صوت مهموس رخو، وهو حرف التفشّي، وتكراره في البيت موح بالهدوء والارتخاء وانتشار الرحمة .

وكذا ملاءمة تكرار حرف السين أربع مرات في بيت واحد في قصيدة العتاب لمن استبدل المنام باليقظة في قوله:

مـن ألـف النـوم تـردى بالكسـلْ فكم بـه مستبسـل مـن قـد بسـلْ

والسين صوت مهموس رخو من حروف الصفير ، لاءم الحديث عن إلف النوم والإيناس به ، فكأن الشاعر بهذا البيت يهمس في أذن سامعه فلا يسمع منه إلا صفير صوت السين ، فالمستوى الصوتي هنا يعكس أجواء من أَلِفَ النوم.

وإذا انتقلنا إلى (الترصيع) – وهو في الاصطلاح البلاغي : توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها وهو على هيئة السجع أو ما يشبهه – فلا يخفى ما له من دور في التقسيم الإيقاعي، وتساوي النغمات في نطاق البيت الشعري، ونجد على ذلك أمثلة في شعر الشيخ ، ففي قصيدته التي نظمها في (نعوت الأخلاق المرضية) ضمنها نصائح للحث على التخلق بالشمائل الحسنة ،كقوله :

صـدوق اللسـان ، قليـل الكـلام قليـل الفضـول بقـبح الهـزلْ

وقوله :

وبـــرا رفيقـــا، عفيفـــا شـــفيقا حلـــيما رضـــيا بـــما قـــد نـــزل

فنلاحظ أن تفعيلات الشطر الأول في البيتين تتوزع في قسمين منتظمين (صدوق اللسان – قليل الكلام)و(برا رفيقا- عفيفا شفيقا)وقد أحدث هذا التوازن الدقيق والنغم الرتيب إيقاعا داخليا موحيا بسرعة الحركة في البيت، وهذا الإيقاع الداخلي بسرعة الحركة قد جاء منسجما ومتوازنا مع نغمات الإيقاع الخارجي المتمثل في تفعيلات البحر المتقارب (فعولن فعولن- فعولن فعولن)هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ناسب الإيقاعُ الداخليُ بسرعة حركته الحثَّ والمبادرةَ على التخلق بهذه الصفات ، والذي يؤكد على أن الشاعر قصد بهذه الصفات الحث والمبادرة مطلعُ القصيدة في قوله :

لـك الفـوز لكـن بخلـق كمـلْ تقلَّـد عقـدا بحسـن العمـلْ

فـ(لكن) الاستدراكية ظلت في البيت حاجزا مانعا من نيل الفوز إلا بعد اكتمال الخُلُق ، أو أنها جعلت من (الخلق المكتمل) الجسر الأوحد للوصول إلى (الفوز) الذي يتبارى في مضماره الطامحون .

ونجد الترصيع أيضا في مطلع قصيدته في مدح فلج المحيول في قوله :

أيـــا فلج المعمور هنيـــت بالبشرِ ووقيت من جدب، وحصنت من ضرِ

وجنبت من عيب ، وسلمت من أذى وبوركت عمري ما بقيت مدى الدهرِ

فنلحظ التقسيم الإيقاعي (ووقيت من جدب - وحصنت من ضر) و(جنبت من عيب - وسلمت من أذى) أوجد توازنا دقيقا في تفعيلات البحر الطويل (فعولن مفاعيلن - فعولن مفاعيلن)، وحركة الإيقاع هنا - بلا شك- بطيئة عند مقارنتها بسرعة الحركة في المثال السابق من البحر المتقارب ؛ لأن الشاعر هنا يتملى بناظريه عجبا في نشوة فرح عودةَ حياة الخصب إلى فلج المحيول بعد طول فراق ، وكأنه يعانقه عناقا حارا لا يكاد ينفك عنه، ومما ساعد على الإبطاء في الحركة توالي الأفعال المضعفة (وُقّيت - حُصّنت - جُنّبت- سُلّمت).

ومن الظواهر الإيقاعية لدى الشاعر التكرار على مستوى الكلمة أو التركيب ففي قصيدته البائية (من الله أرجو) يكرر حرف الترجي (لعل) في أربع أبيات متوالية، والتكرار هنا يعكس نفسية متفائلة ، بخلاف دلالة التكرار في قصيدة (صمدت لذي النعمى)حيث كرر أسلوب القصر بـ(ما - إلا) في أربع أبيات متوالية يبدؤها بقوله :

ومـــــا شجرة الإيمان إلا كأنها هشيم على أرض من الجدب باليةْ

فهنا يعكس نفسية متأملة عما آل إليه شرع الله في الأرض .

ونلحظ كذلك تكرار أسلوب النداء (إلهي)في رائعته الدُعائية التي يبدؤها بقوله :

إلهي إليك الحمد والشكر والثنـــا قدير وعلام بصير وسامع

إلهي وسعت الكون علما ورحمة تسبحك الأكوان فالكل خاضع

وقد استغرق التكرار مطالع كل أبيات القصيدة عاكسا بذلك الإلحاح في الطلب والتلذذ بمناداة ربّه جلّ وعلا، ومن نافلة القول أن ظاهرة التكرار بهذه الطريقة هي من الظواهر الملحوظة عند شعراء السلوك كما نجده عند أعلامه كالشيخ الرئيس أبي نبهان والمحقق الخليلي وأبي مسلم (٢٢).

أما التكرار الثنائي للفظ على مستوى البيت الواحد في قصيدة السلوك فهو ظاهرة جديرة بالتسجيل ؛ فلفظة (العشق) - مثلا - تتكرر في قوله :

نـــــدامى العشـــــق ذابـــــوا جـــــوىً فالعشـــــق ذبـــــحُ

وهكذا نجد ألفاظا أخرى على مستوى البيت الواحد مثل (عذل - عذال)و(يبخل - بخل)و(بسط - انبساط)، وأحيانا تتكرر اللفظة في عدة أبيات متوالية ، هذا فضلا عن تكرار مرادفاتها، وهذه التكرارات -بصورة عامة - موحية بالإصرار واللهث لنيل المراد في جَوّ سلوكي كثيف .

كما نجد التكرار التركيبي (فقال زدني قال ....) في ميميته التي مطلعها (ورجل قال ....)، وهذا التكرار التركيبي يشغل أكثر من نصف مقاطع الشطر الواحد، وقد تكرر في الشطر الأول لسبعة أبيات متوالية ؛ وبذلك أوجد إيقاعا منتظما يعكس نفسية مُلِحَّة وراغبة في الامتلاء والتشبع .

٩- التنوّع في شعره :

قصدت تأخير الحديث عن هذا الموضوع ليكون الكلمة الأخيرة في إطلالتنا على الخصائص الفنية في شعر الشيخ راشد ، وخلاصة تجلّي براعته ، وتكشف جانبا فنيا في شعره .

فمع أن الشيخ شاعر مقلّ إلا أن تعمّقك في قصائده يفاجئك بومضة من التنوع الرأسي والأفقي في الموضوعات وطرق تناولها، هذا التنوع تتلاشى بين ضروبه رتابة التكرار، فلا تجد القصيدة نسخة من أختها، وإنما لكل صبغته الخاصة وبصمته المميزة ، ففي التنوع الرأسي نجد تعدد الموضوعات ؛ فقد طرق شعر الحكمة والشعر السلوكي والجدل الفكري (المناظرة الشعرية) والوصف والنظم الفقهي.

وفي التنوع الأفقي شكلا ومضمونا نجد شعر الحكمة في بائيته من الطويل (طلابي لنيل المجد)تمتاز من سائر قصائده بثنائية معارضتها، ولاميته من المتقارب (لك الفوز)تمتاز ببروز إيقاعها الداخلي (الترصيع)، وهي بخطابها للمفرد المذكر تعكس النصح والإرشاد على المستوى الفردي إن صحّ التعبير ، ويشاركها في ذلك لاميته من الرجز (قلت وقولي قد عرى من الزلل) إلا أن النصح هنا يبتعد عن العمومية متمركزا في فكرة واحدة هي (تنبيه من استبدل النوم باليقظة)، كما أن هذه القصيدة هي القصيدة الوحيدة التي أظهر فيها الشاعر تنوعا في الشكل ،

إذ نجده يُصرّع كل أبيات القصيدة باللام، متجاوزا المألوف في الشعر العربي الذي اعتاد أن يُصرّع في البيت الأول فقط، وهي سمة نجدها أيضا عند غيره من الشعراء،كالعلامة ابن النضر في لاميته التي مطلعها :

آمنت بالله الوهوب المفضل الواحد الفرد القديم الأول

والآخر الباقي الذي لم يزل منشّئ الأشياء لا بالحيل

أما ميميته من الرجز (ورجل قال) فهي أيضا تنصرف إلى النصح والإرشاد، لكنها امتازت بتكرار فني، استمر في سبعة أبيات متوالية، وهو قوله : (فقال زدني قلت ...)، يذكرنا هذا التكرار بلامية الحارث بن عباد الجاهلي وهو يكرر قوله (قرّبا مربط النعامة مني) في عدة أبيات متوالية ، أما المقطوعة الشعرية (فمن يومه أمضى)ميميّة من الطويل تمتاز من سائر شعره بأنها تلتقط لنا صورة عن أهم يوميات الشيخ ، فقصائده الأخرى تمثل امتدادا عبر الزمن بأبعاده السابق والحاضر واللاحق ، أما هذه المقطوعة فهي ترصد لحظة من الزمن الحاضر لا تتجاوز يوما واحدا .

وإذا تعمقنا قليلا في شعر الحكمة يطالعنا نوع آخر منه لكنه هذه المرّة يصدح به شاعرنا على المستوى الجماعيّ ليكون خطابا للأمة، ويمتاز هذا النوع بمسحته الاستنهاضية؛ فبائيته المكسورة من الطويل (من الله أرجو)تمثل هذا الجانب من شعر الحكمة بنَفَس تستشرف مستقبلا مشرقا لأمتها، بخلاف يائيته المفتوحة من

الطويل أيضا (صمدت لذي النعمى) فإنها تفيض ببث الشكوى إلى الله بنَفْس متألمة مما آلت إليه شرعة الإسلام ، كما تمتاز بكثرة الاتكاء على الحديث النبوي والموروث من أقوال العرب، ساق الشاعر تلك الأحاديث الشريفة دليلا على تحقق نبوءته- صلى الله عليه وسلم - بما تؤول إليه الأمور آخر الزمن ، وقد استغرق نظم تلك الأحاديث النبوية الشريفة ثلاثة عشر بيتا، هذا فضلا عن بروز أقوال العرب إذا ما قارناها بسائر قصائده فنجده يضمن قصيدته هذه بـ(خابط عشواء- أيادي سبا - سيم خسفاً- تطير به العنقاء - يشق العصا- رمتني صروف الدهر بأسهم).

وإذا ما أوغلنا في شعر الحكمة إلى أعمق نقطة فيه عند الشيخ وهو الشعر السلوكي فإننا نجد عينيته الابتهلالية (إلهي إليك الحمد) تعكس نفسا مستكينة لربها، خاضعة متبتلة على أبواب رجائه، وتكرار أسلوب النداء (إلهي) الذي يميزها ينضح بإلحاح في الطلب واستلذاذ بالترديد، وهذه القصيدة تذكرنا بابتهالية الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - التي هي أيضا من البحر الطويل ورويها العين المضموم ومطلعها:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلا تباركت تعطي من تشاء وتمنعُ
إلهي وخلاقي وحرزي وموئلي إليك لدى الإعسار واليسر أفزعُ (٢٣)

ويستمر الإمام علي في قصيدته يكرر أسلوب النداء (إلهي)في مطالع أبيات قصيدته، وقد تكرر هذا الأسلوب في ثلاثة وعشرين بيتا من سبعة وعشرين بيتا.

يضاف إلى ذلك قصيدتان سلوكيتان : إحداهما حائية مضمومة من مجزوء الوافر، والأخرى لامية مضمومة من الرمل، وكل منهما تعكس لنا عمق تجربته السلوكية كما تبيّن ذلك سابقا.

أما رائيته من مجزوء الكامل فهي تمثل نمطا من أنماط الجدل الفكري بأسلوب أدبي، ويمكن أن نعدها من قبيل(المناظرة الشعرية)- إن صح التعبير - آخذين في الاعتبار أنها ليست بمقاييس المناظرة النثرية المعروفة في أدبنا العربي؛ فهذه يتوفر لها من مساحة التصرف في الكلام ما لا يتوفر لقرينتها الشعرية التي تراعي انتظام بنيتها الخارجية، لكن قصيدة الشيخ قد احتوت على جزء غير يسير من مقومات المناظرة كحسن الدخول في الموضوع والخروج منه، وحسن إدارة الحوار، والاهتمام بنفسية الخصم في التدرج معه في الموضوع بطريقة تحمله على الاقتناع، مع حشد الأدلة المناسبة العقلية والنقلية .

أما شعر الوصف فنجد فيه شيئا من التنوع؛ فرائيته المفتوحة من الطويل (علا شرفا) يصف فيها مكتبته وخزانة أسفاره ، أما رائيتاه المكسورتان من الطويل في وصف فلج المحيول فهما تعكسان الشاعر بنفسيتين متباينتين: مرة متضايقا ضجرا، يقف على رأس فلج المحيول معاتبا وموبخا، ومرة منشرحا مستبشرا،

معانقا فلج المحيول، يلثمه بعد طول فراق، وهذا الانشراح جعل نَفَسَه في هذه القصيدة أطول من قصيدة العتاب التي لم تتجاوز أربعة عشر بيتا، أما هنا فالنَّفْسُ قد أنِسَتْ بلقاء المحبوب؛ فاستغرقت - بكثرة أبياتها - وقتا أطول عنده، مستمتعة بالحديث معه، ومدحه، وبعيدا عن النظرة الأدبية لهاتين القصيدتين فإن لهما بُعْدا حضاريا، يكشف لنا جانبا من أوضاع المجتمع، وطرق عيشه؛ بما احتوته كل منهما من أصناف المعيشة الزراعية في بلده الرستاق في حال الشدة والرخاء.

الهوامش

١) تحفة الأعيان، ص٣٠٥.

٢) المرجع السابق، الصفحات ١٩٥- ٣١٦ بتصرف.

٣) المرجع السابق، ص ٢٥٦.

٤) انظر في ذلك كتاب شقائق النعمان، وكتاب قلائد الجمان.

٥) شقائق النعمان، جـ ٣، ص ١٠٦.

٦) المرجع السابق، ص ١٣٥.

٧) جميع ما سيرد من أشعار عن الشيخ ماجد بن خميس العبري مصدرها شقائق النعمان، جـ ٣، ص ١٠٨- ١١٩، أما ما سيرد عن الشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي فينظر فيه شقائق النعمان ، جـ١ ، ص ٣٩٠.

٨) ديوان نور الدين السالمي، ص ٨٦.

٩) هناك دراسات نقدية وأدبية قليلة في (شعر السلوك العماني)، وقد عمدت في تصنيف قصائد الشيخ راشد من حيث كونها قصائد سلوكية إلى تضمنها مؤشرات خاصة بأدب السلوك كالمصطلحات السلوكية، وبروز أفكار السلوكيين من عمق الابتهال والتبتّل والانغماس في المحبة الإلهية، والتلذذ بخمرتها ونحو ذلك، أما الشعر الذي يتضمن الحكمة بصفة عامة، وما يتبعها من نصح وإرشاد فقد احترزت من تصنيفه ضمن الشعر

السلوكي؛ مراعاة لخصوصية الشعر السلوكي العماني، وتجنبا من الانزلاق في إشكال المصطلح النقدي ومفهومه. (للتوسع في شعر السلوك العماني اقرأ مقالة : "نصّ في السلوك العماني"، للدكتور وليد محمود خالص، مجلة نزوى، العدد ٢٤، ص ص ١٠٢- ١١٢، وانظر كذلك دراسة الدكتور عادل بن راشد بن علي المطاعني بعنوان: "الشعر السلوكي: أعلامه موضوعاته خصائصه"، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، ٢٠٠٨م).

١٠) شقائق النعمان، جـ ١، ص ١٤٣.

١١) ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، ص ٧٥.

١٢) إحياء علوم الدين، ج١، ص١٦٤.

١٣) الدعائم، ص٢٣.

١٤) المرجع السابق، ص٢٨.

١٥) شرح المعلقات العشر، ص ١٣٧.

١٦) ديوان الإمام نور الدين السالمي، ص ٥٧.

١٧) الدعائم، ص٥٢.

١٨) المرجع السابق، ص١٠٩.

١٩) الشعر العماني ، ص ١٥٧.

٢٠) المرجع السابق، ص ١٦٢.

٢١) المرجع السابق، ص١٦٣.

٢٢) انظر مثلا قصيدة أبي مسلم البهلاني في (النفس الرحماني)، ص ٣٨٢.

٢٣) ديوان الإمام علي، ص ٩٥.

ديوان الشيخ
راشد بن سيف بن سعيد اللمكي

القصيدة الأولى (من البحر الطويل)

منظومة في الحكم النورانية

طِـلابِي لِنَيْـلِ المَجْـدِ أَسْـمَى المَطَالِـبِ ... وَنَصْـرِي لِدِيْنِ اللهِ أَسْـنَى المَذَاهِـبِ

وَصَـبْرِي لِـدِيْنِي إِنْ تَجَشَّـمَنِي الأَذَى ... هُـوَ الفَـوْزُ فِيْ نَـيْلِيْ عَظِـيْمَ المَوَاهِـبِ

وَبَـذْلِيْ لِرُوْحِـيْ فِيْ رِضَى مَـنْ أُحِبُّـهُ ... هُوَ الشَّرَفُ السَّامِيْ بِأَعْلَى المَرَاتِبِ (١)

فَمَـنْ يَجْعَـلِ القُرْبَـانَ بِـالنَّفْسِ مَـا لَـهُ ... جَزَاءٌ سِوَى الحُسْنَى وَخَـيْرِ العَوَاقِـبِ

وَمَـنْ لَمْ يَكُـنْ ذَا هِمَّـةٍ تَخْـرِقُ السَّـمَا ... لِـدَرْكِ العُـلا يَـبْلَى بِخَطْـبِ النَّوَائِـبِ

وَمَـنْ لا لَـهُ فِيْ ذِرْوَةِ العِـزِّ مُرْتَقَـى ... رَقَاهُ عَـلَى اليَـافُوْخِ بَـوْلُ الثَّعَالِـبِ (٢)

وَمَـنْ لَمْ يَكُـنْ للعِلْـمِ أَفْنَـى زَمَانَـهُ ... تَغَشَّـاهُ جَهْـلٌ مُـدْلَهِمُّ الغَيَاهِـبِ (٣)

---

(١) - (رضى)كتابة الألف مقصورة مذهب الكوفيين، أما البصريون فيكتبونها ممدودة لأنها واوية الأصل.

(٢) - (رقاه): علاه . (لسان العرب، مادة : رقا).

- (اليافوخ) على وزن يفعول أو فاعول : ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخره ، أي أعلى الرأس (لسان العرب والمصباح المنير ، مادة أفخ ويفخ) ، وهذا الشطر كناية عن الذّل ؛ تقول العرب :" ذلّ من بالت عليه الثعالب " يضرب مثلا للرجل المهين يُظلَم فلا ينتصر (جمهرة الأمثال ، جـ ١ ،ص ٤٦٥).

(٣) - (مدلهم) : أسود . (لسان العرب، مادة : دلهم).

- (الغياهب) : جمع غيهب : شدة السواد. (لسان العرب، مادة: غهب).

وَمَـنْ لا لَـهُ عِلْـمٌ فـلا شَرَفٌ لَـهُ ... وعِلْـمٌ بِـلا زُهْـدٍ كَـمَاءٍ بِنَاضِـبِ (١)

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّرْعِ أَرْخَـى عِنَانَـهُ ... رُزِيْ بِعَمَىً عَنْ خَيْرِ دَارَيْهِ حَاجِبِ (٢)

وَمَنْ جَعَلَ التَّقْوَى مِهَاداً نَجَا وَلَوْ ... أَتَـى بِمَعَـاصٍ قَبْلَهَـا لَمْ يُعَاقَـبِ

وَمَنْ يَخْلُ عَنْ ذِكْرٍ لَوْلاهُ قَدْ خَلا ... مِنَ الرُّشْدِ كَالْمَخْذُوْلِ عَنْ فِعْلِ وَاجِبِ

وَمَـنْ لَمْ يَكُـنْ فِيْ دَهْـرِهِ عَالِـماً بِـهِ ... سَـقَتْهُ يَـدُ الأَيَّـامِ مُـرَّ الْمَشَـارِبِ

وَمَنْ حَطَّ حُكْمَ الوَقْتِ فَالْمَقْتُ حَظُّهُ ... وَتَعْطِيْلُهُ الأَوْقَاتَ كُبْرَى الْمَصَائِبِ (٣)

---

(١) - " لا شرفٌ له " يجوز عدم إعمال لا النافية للجنس مع النكرة المتصلة، ورأى بعضهم جواز عدم تكرارها. (شرح الكافية ، ج٢، ص ١٩١).

- (الناضب) : البعيد، ومنه قيل للماء إذا ذهب : نضب أي بَعُد (لسان العرب، مادة نضب)، قوله : "كماء بناضب" أي كماء بمكان باعد أو غائر يتعذر الإفادة منه ، وكذا المشبه " وعلم بلا زهد ": يتعذر الإفادة من العلم مع توفّره إن لم يمتزج بزهد.

(٢) - " أرخى عنانه " كناية عن الإذعان والانقياد طواعية.

- (رزي) : مخفف رُزِئَ بمعنى أصيب بمصيبة (المصباح المنير، مادة رزئ)، و(حاجب) نعت لـ (عمى) ، والجار والمجرور (عن خير) متعلق بـ (حاجب).

(٣) " فالمقت حظّه " كذا في الأصل، ولا يستبعد أن يكون ثمة تصحيف من "فالمقت حطَّه" بالطاء المهملة ، أو من "فالوقت حطّه" .

وَمَـنْ لَمْ يُـرَاعِ حَـالَ أَهْـلِ زَمَانِـهِ ... يَعِشْ مُفْرَداً مَا إِنْ لَـهُ مِـنْ مُقَـارِبِ (١)

وَمَـنْ يُكْـرِمِ الأَحْـرَارَ يَمْلِكْ رِقَـابَهُمْ ... وَإِكْرَامُـهُ الأَنْـذَالَ إِحْـدَى المَعَايـبِ

وَمَـنْ قَـارَنَ الأَعْـدَا بِـمَا يَكْرَهُونَـهُ ... رَأَوْا فِيْ تَعَادِيْـهِ نُـزُوْلَ المَعَاطِـبِ

وَمَنْ كَانَ مَأْسُوراً بِجُبْنٍ لَـدَى الـوَغَى ... يَذُقْ مِنْ يَـدِ الأَبْطَـالِ حَـرَّ القَوَاضِـبِ

وَمَـنْ لا لَـهُ بِـالحَرْبِ عِلْـمٌ ولا دَهَـا ... يُصَبْ حَتْفُهُ تِلْقَا العَـدُوِّ المُحَـارِبِ (٢)

وَمَـنْ رَفَـضَ الحَـزْمَ المَنِيْـعَ يُلَـمْ وَلَـو ... تَنَاشَـبَهُ أَمْـرُ القَضَـا بِالمَخَالِـبِ (٣)

وَإِنْ تُسْعِدِ الأَقْدَارُ ذَا العَجْزِ عَرَّجَـتْ ... بِهِمَّاتِـهِ فَـوْقَ النُّجُـومِ الثَّوَاقِـبِ

وَمَـنْ لا لَـهُ عَـزْمٌ لَـهُ العَجْـزُ قَائِـدٌ ... وَعَـزْمٌ عَـلَى حَـزْمٍ مَنَـالُ المَطَالِـبِ

وَمَـنْ لَمْ يَصُـنْ أَعْرَاضَـهُ بِثَرَائِـهِ ... تَلَقَّى شَنِيْعَ الثَّلْبِ مِنْ كُلِّ جَانِـبِ (٤)

وَمَـنْ لَمْ يَكُـنْ كَنْـزَ القَنَاعَـةِ مَالُـهُ ... يُقَنَّـعْ بِفَقْـرٍ بَـيْنَ عَيْنَيْـهِ لازِبِ (٥)

وَمَـنْ كَـانَ ذَا بُخْـلٍ حَرِيْصَـاً بِمَالِـهِ ... رُمِـيْ بِـالْقِلَى مِـنْ أَقْرِبَـا وَأَجَانِـبِ

---

(١) " ما إن له من مقارب " (ما) نافية ، و(إِنْ) زائدة ، كقول الشاعر :

بني غدانة ما إن أنتم ذهب .. ولا صريف ولكن أنتم الخزف

(٢) (دَهَا) أصلها (دَهَاءٌ) فحذفت الهمزة مراعاة للوزن.

(٣) (تناشبه): علق به (لسان العرب، مادة نشب).

(٤) (الثلب) : شدة اللوم والأخذ باللسان (لسان العرب، مادة ثلب).

(٥) (لازب): لاصق (لسان العرب، مادة لزب).

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ يُحْمَدْ بِأَهْلِهِ ... وَإِنْ لَمْ يُصِبْ فِيْ أَهْلِهِ لَمْ يُعَاتَبِ

وَمَنْ لَمْ يُصَاحِبْ غَيْرَ حَبْرٍ وَذِي اصْطِفَى ... فَيَمْضِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ غَيْرِ صَاحِبِ (١)

وَمَنْ فَكَّ غُلَّ الدِّينِ مِنْ عُنْقِهِ يَعِشْ ... رَئِيساً وَحُرّاً مَا لَهُ مِنْ مُطَالِبِ (٢)

وَمَنْ لَمْ يَصُنْ عِرْضاً ولَمْ يَخْشَ رَبَّهُ ... ولَمْ يَسْتَحِ أَرْدَاهُ سُوْءُ العَوَاقِبِ

وَمَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ غَوَى ... وَمَنْ يَنْتَمِي أَزْرَاهُ غَيْرُ المُنَاسِبِ (٣)

وَمَنْ يَأْمَنَنْ مَكْرَ الغَوَانِي يَكِدْنَهُ ... وَمِنْ غَدْرِهَا تَبْيَضُّ سُوْدُ الذَّوَائِبِ (٤)

وَمَنْ يَصْحَبِ السُّلْطَانَ أُصْلِيْ بِنَارِهِ ... وَأَمْسَى رَهِيْناً فِيْ قَبِيْحَ المَكَاسِبِ

وَمَنْ يَخْدِمِ الدُّنْيَا يَصِرْ رِقَّهَا وَمَنْ ... عَلَى عَكْسِ ذا أَوْلَتْهُ كُلَّ المَطَالِبِ

وَمَنْ خَادَنَ الأَشْرَارَ أَخْزَاهُ شَرُّهُمْ ... وَ(مَنْ) لَمْ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَمْ يُرَاقَبِ (٥)

---

(١) (حبر) : عالم (لسان العرب، مادة حبر).

(٢) (عنقه) : بسكون النون على لغة تميم، أما ضمها للإتباع على لغة الحجاز (المصباح المنير، مادة عنق).

(٣) (أزراه) : أزرى عليه : عابه (لسان العرب، مادة زري).

(٤) (الذوائب): جمع (ذؤابة) بالضم مهموز : الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة (المصباح المنير، مادة ذاب).

(٥) - (خادن) : صاحب وصادق (لسان العرب، مادة خدن).

- (من) : غير واردة في الأصل، وأضيفت مراعاة لوزن البيت.

وَمَنْ جَارُهُ ذُوْ السُّوْءِ كَالنَّارِ إِنْ دَنَا ... لَهَا أَحْرَقَتْهُ أَوْ كَسُمِّ العَقَارِبِ

وَمَنْ عَاشَ كَلًّا فَالوَرَى يَمْقُتُونَهُ ... وَقَطْعُ الرَّجَا عَنْهُمْ جَمِيْلُ المَنَاقِبِ (١)

وَمَنْ لا لَهُ مَالٌ يَعِشْ فِيْ مَهَانَةٍ ... بَلا فَقْرِهِ يَسْقِيْهِ كَأْسَ المَتَاعِبِ (٢)

وَمَنْ يَسْتَشِرْ يُؤْتَ الصَّوَابَ لِرُشْدِهِ ... وَكَمْ عَاقِلٍ فِيْ رَأْيِهِ غَيْرُ صَائِبِ

وَمَا لَيْسَ مِنْ رِزْقِ الفَتَى لَوْ (رَقَى) السَّمَا ... وَمَا للقَضَا مِنْ دَافِعٍ وَمُغَالِبِ (٣)

وَمَنْ تَرَكَ الأَسْبَابَ فِيْمَا يَرُوْمُهُ ... كَطَالِبِ شَرْقٍ فِيْ سُلُوْكِ المَغَارِبِ

وَمَنْ لَمْ يُبَالِ مَا يُسِيْغُ بِبَطْنِهِ ... يُسِغْ شُرْبَ أَنْكٍ مِنْ لَظَى النَّارِ ذَائِبِ (٤)

وَمَنْ يَشْكُرِ النَّعْمَاءَ يَأْمَنْ زَوَالَهَا ... وَكَافِرُهَا قَدْ فَكَّ قَيْدَ المَسَالِبِ (٥)

وَمَنْ لا لَهُ صَبْرٌ فَلا ظَفَرٌ لَهُ ... وَمَنْ ذُو ثَبَاتٍ سَعْيُهُ غَيْرُ خَائِبِ

---

(١) (كلا): الكَلُّ الذي هو عيال (عبء على غيره) وثقل على صاحبه، وفي التنزيل: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾؛ أي عيال (لسان العرب، مادة كلل).

(٢) (بلا): أي (بلاء) وخفّف مراعاة للوزن.

(٣) - في الأصل (رقا)، والصواب (رقى) لأن الألف يائية.

- تقدير الكلام: وما ليس من رزق الفتى فلن يناله ولو رقى السماء.

(٤) (أنك): الأَنْك الرصاص القلعي (الجيد من الرصاص) (لسان العرب، مادة أنك).

(٥) " وَكَافِرُهَا قَدْ فَكَّ قَيْدَ المَسَالِبِ " أي أن الكافر بسبب جحده النعمة يفتح على نفسه باب زوالها عنه.

وَمَنْ يَعْلُ كِبْراً يُرْغِمُ اللهُ أَنْفَهُ وَمَنْ يَتَوَاضَعْ يَرْقَ ذِرْوَ المَنَاصِبِ (١)

وَمَنْ يُودِعَنْ سِرّاً سِوَاهُ أَذَاعَهُ وَكِتْمَانُهُ الأَسْرَارَ نُجْحُ المآرِبِ

وَمَنْ يَقْطَعَنْكَ الوَصْلَ صِلْهُ وَمَنْ هَفَا لَدَيْكَ اجْزِهِ حِلْماً تَسُدْ فِيْ الأَقَارِبِ

وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ يُصْرَعْ بِهِ وَمَنْ رَمَى مُسْلِماً بِالعَيْبِ يُفْضَحْ بِعَائِبِ

وَمَنْ لَمْ يَرَى عُقْبَى الأُمُورِ فَيَغْتَرِزْ ولَمْ يَعْتَبِرْ مِنْ جَاهِلٍ بِالتَّعَاقُبِ

وَمَنْ يَرْضَ فِيْ (حُكْمِ) القَضَا قَلَّ سُخْطُهُ كَمَنْ أَوْكَلَ التَدْبِيْرَ مَعْ خَيْرِ وَاهِبِ (٢)

وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ مُجَّ ولَمْ يَنَلْ مِنْ النَّاسِ إِلا سُوْءَ قَطْعِ التَّحَابُبِ(٣)

وَمَنْ كَانَ مَأْمُوْناً لَهُ اليُسْرُ لازِمٌ وَهَلْ مِنْ خَئُوْنٍ تَلْقَهُ غَيْرَ سَاغِبِ (٤)

---

(١) (ذرو) أراد (ذروة) وقد حذف آخر الكلمة مراعاة لوزن البيت.

(٢) - (حكم) في الأصل (حكمه)ولا موضع للهاء هنا، ولعلها سهو زيادة من النساخ، وقوله : (في حكم) بمعنى (بحكم)؛ لأن (في) تأتي بمعنى الباء (مغني اللبيب، ج١،ص٦٩) و (رصف المباني، ص ٣٩).

- (مع) بسكون العين، يقول ابن هشام : " تسكين عينه (أي عين مع)لغة غنم وربيعة،لا ضرورة خلافا لسيبويه" (مغني اللبيب، ج١، ص٣٣٣).

(٣) (مُجَّ) : مَجَّ الرجل الماء من فيه مَجّاً (من باب قتل)رمى به (المصباح المنير، مادة مجج) وسياق الكلام في البيت كناية عن النبذ.

(٤) (ساغب) : جائع ، أو هو الجوع مع التعب (المصباح المنير، مادة سغب).

تَـرَى الحُـرَّ فِيْ دُنْيَـاهُ حَرْبـاً لِنَفْسِـهِ ... فَـلا تُلْفِـهِ فِـيمَا يَشِـيْنُ بِوَاثِـبِ

وَمَـنْ لَمْ يُـوالِ الأَوْلِيَـا ويُعَـادِ لِلْـ ... ـعُـدَاةِ فَـلا يَرْضَـاهُ خَـيْرُ المَـذَاهِبِ

فَخُـذْ حِكَـماً تَعْلَـمْ بِهَـا الفَـوْزَ وَالهُـدَى ... إِذَا لَمْ تَكُـنْ عَـنْ رُشْـدِهَا بِمُجَانِـبِ

وَحَمْـدِي لَـرَبِّي وَالصَّـلاةُ لِشَـافِعِي ... كَـذَا آلُـهُ مَـعْ صَـحْبِهِ وَالأَطَايِـبِ

القصيدة الثانية (من البحر الطويل) :

منظومة أخرى

مِنَ اللهِ أَرْجُو دَفْعَ مَا بِي مِنَ الكَرْبِ ... مِنَ الإِبْتِلا بِالنَّاسِ فِي الزَّمَنِ الصَّعْبِ

فَرُمْتُ اعْتِزَالاً نَائِياً عَنْ بَلائِهِمْ ... فِرَاراً بِدِيني عَنْهُمُ فَارِغَ القَلْبِ

إِذَا حَشَدُوا النَّادِي بِجَمْعِيَ عِنْدَهُمْ ... وَمَا قَبَلُوا عُذْرِي بِنِأْيٍ عَنِ القُرْبِ

يُرِيْدُونَ نَصْباً مَا لَهُ الدَّهْرُ خَافِضٌ ... فَهَلْ عَامِلٌ لِلْخَفْضِ يُوْضَعُ لِلنَّصْبِ؟!

تَعَلَّقْتُ بِالحَبْلِ الَّذِي كُلُّ مَنْ بِهِ ... تَعَلَّقَ يَنْجُو - صَاحِ - مِنْ أَعْظَمِ الخَطْبِ

فَيَا رَبِّ حُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ وَلا ... أَرَى عِصْمَةً مِنْهُمْ بِغَيْرِكَ يَا رَبِّيْ

لَعَلَّ شُمُوْسَ العِلْمِ يُشْرِقُ نُوْرُهَا ... فَيُجْلَى بَهِيْمُ الجَهْلِ فِي زَمَنٍ رَحْبِ (١)

لَعَلَّ جِنَانَ الفَضْلِ يَخْضَرُّ رَوْضُهَا ... فَنَجْنِي بِدَوْحِ الكَرْمِ مِنْ ثَمَرِ الحُبِّ (٢)

لَعَلَّ الزَّمَانَ الصَّعْبَ يَكْبُو جَوَادُهُ ... بِتَفْرِيْقِ شَمْلِ البَغْيِ بِالخَسْفِ وَالسَّلْبِ

لَعَلَّ بُرُوْقَ النَّصْرِ تَنْهَلُّ مُزْنُهَا ... فَتَبْعَثُ أَجْسَاماً فَتُنْجَى مِنَ الصَوْبِ (٣)

---

(١) (بهيم) : من معانيه السواد، والأمر المشكل والمستغلق (لسان العرب، مادة بهم).

(٢) (دوح) : جمع مفرده دوحة، وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت (لسان العرب، مادة دوح).

(٣) (الصَوْب) : من معانيه المطر ، والإصابة (المصباح المنير، مادة صوب).

وَيُحْيِي رُبُوْعاً بَادَ بِالدَّهْرِ أَثْرُهَا ... وَمِنْ قَبْلِ ذَا ضَاءَتْ بِأَعْلامِهَا النُّصْبِ (١)

أَرَى أُسَرا الدُّنْيا ثَمالى كَأَنَّهُمْ ... سُقُوا مِنْ كُؤُوْسِ الخَمْرِ عَلاً عَلَى شُرْبِ (٢)

يَجُوْدُوْنَ بَالأَرْوَاحِ فِي حُبِّ جَمْعِهَا ... فَتَنْهَلُهُمْ مِنْهَا مَسَاغاً مِنَ الصَّابِ (٣)

فَأَنْتَ إِلَهِي ذُو اقْتِدَارٍ لِمَا تَشَا ... فَأَمِّنْ لِرَوْعِي بِالسُّكُونِ مِنَ الرُّعْبِ

وَيَسِّرْ لَنَا رِزْقاً وَسَعْياً بِلا عَنَا ... فَمَا نِعْمَةٌ إِلا وَمِنْ فَضْلِكَ الوَهْبِي (٤)

وَصَلِّ إِلَهِي مَا جَرَى فَلَكُ السَّمَا ... عَلَى مَنْ بِهِ الإِرْشَادُ وَالآلِ وَالصَّحْبِ

---

(١) (أَثْرُها) : أَثَرُ الدار بقيتها (المصباح المنير، مادة أثر).

(٢) - (أسرا) مخففة من (أسراء) جمع أسير.

- (ثمالى) جمع ثَمِل وهو الذي أخذ منه الشراب والسّكْر (لسان العرب، مادة ثمل).

- (علا) العَلّ أو العلل : الشربة الثانية ، وقيل : الشرب بعد الشرب تباعا (لسان العرب، مادة علل).

(٣) (الصاب) عصارة شجر مرّ (لسان العرب، مادة صوب).

(٤) (عنا) مخففة من (عناء).

القصيدة الثالثة (من مجزوء البحر الوافر) :

منظومة في ذكر المحبّ والمحبوب والكأس والصهباء (المحبة الإلهية)

أَسِـــيْرُ الحُـــبِّ يَنْحُـــوْ سَـــبِيْلاً فِيْـــهِ رَوْحُ
عَـــلَى جِسْـــمٍ نَحِيْـــلِ وَطَـــرْفٍ فِيْـــهِ لُمْـــحُ
إِلَى المَحْبُـــوْبِ يَرْنُـــوْ وَبِالأَحْشَـــاءِ لَفْـــحُ (١)
يَسُـــحُّ الـــدَّمْعُ مِنْـــهُ لَـــهُ بِالخَـــدِّ سَـــفْحُ (٢)
نَـــدَامَى العِشْـــقِ ذَابُـــوا جَـــوَىً فَالعِشْـــقُ ذَبْـــحُ (٣)
فَكَـــمْ مَـــنْ هَـــامَ فِيْـــهِ وَلا يُجْدِيْـــهِ نُصْـــحُ
وَلا يُصْـــغِي لِعَـــذْلٍ إِذَا العُـــذَّالُ يُلْحُـــوا(٤)

---

(١) - (يرنو) الرنو : إدامة النظر (لسان العرب، مادة رنا).

- (لفح) حرق، يقال لفحته النار بمعنى أحرقته، ومن معانيه الحر والوهج (لسان العرب، مادة لفح).

(٢) - (يسح)سال واشتدّ انصبابه (لسان العرب، مادة سحّ).

- (سفح)سفح الدمع : أرسله (لسان العرب، مادة سفح).

(٣) (جوى) الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن (لسان العرب، مادة جوا).

(٤) (يلحوا) يلوموا ويعذلوا (لسان العرب، مادة لحا).

إِذَا مَـــــا اللَّيْـــــلُ دَاجٍ فَـــمَا النَّشْـــوَانُ يَصْـــحُو (١)

يَلَـــــذُّ الكَـــــأْسُ فِيْـــــهِ إِذَا مَـــا امْتَـــدَّ جُـــنْحُ (٢)

مُـــــدِيْمُ النَّهْـــــلِ عَـــــلاً بِبَـــذْلِ الـــرُّوْحِ سَـــمْحُ (٣)

وَمَـــــنْ يَبْخَـــــلْ بِـــــرُوْحٍ فَـــــذَاكَ البُخْـــــلُ قُـــــبْحُ

وَمَـــــا المَحْـــــرُوْمُ إِلا عَزِيْـــــزُ الـــــنَّفْسِ وُقْـــــحُ (٤)

---

(١) - " الليل داج " الدجى سواد الليل مع الغيم وأن لا ترى نجما ولا قمرا ، وقيل بمعنى هدأ وسكن ، وقيل دجى الليل إذا تمت ظلمته وألبس كلَّ شيء(لسان العرب، مادة دجا).

- (يصحو) الصَّحْو في الاصطلاح الصوفي : " رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي " ؛ وتوضيحا لهذا التعريف فـ(الغيبة) : " غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخَلْق لشغل الحسّ بما ورد عليه" ، و(الوارد) : ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمُّل (التعريفات ، ص٢٧٤- ٢٧٥).

(٢) (جُنْح) بضم الجيم وكسرها: ظلام الليل واختلاطه (المصباح المنير ، مادة جنح).

(٣) - (النهل) أول الشرب (لسان العرب، مادة نهل).

- (علا) العَلّ أو العلل : الشرب بعد الشرب تباعا (لسان العرب، مادة علل).

(٤) (وقح) قلة الحياء (المصباح المنير ، مادة وقح).

وَمَـــنْ لَمْ يَصْـــبُ وَجْـــداً فَبِـــالتَّحْقِيْقِ شُـــحُّ (١)
سَـــلِيْبُ العَقْـــلِ ثَـــاوٍ كَمَـــنْ أَرْدَاهُ قَـــرْحُ (٢)
رِيَـــاضُ الشَّـــوْقِ فَاحَـــتْ عَبِـــيْراً فِيْـــهِ رَشْـــحُ
وَفِيْهَـــا الـــوُرْقُ نَاحَـــتْ وَبِالهَرَجَـــاتِ صَـــدْحُ (٣)

---

(١) - (يَصْبُ) يشتاق (لسان العرب، مادة صبا).

- (وجدا) الوَجْد: الحُبّ (تاج العروس والقاموس المحيط، مادة وجد)، وفي كليات الكفوي : " الوَجْد : الحُب الذي يتبعه الحزن ، وأكثر ما يكون في الحزن " (الكليات ، مادة حُبّ)، وفي الاصطلاح الصوفي : " ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنّع ، وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا " (التعريفات، ص ٢٦٢)، ويقول التهانوي : "الوَجَد مصادفة الباطن من الله تعالى واردا يورث فيه حزنا أو سرورا أويغيّره عن هيئته ويغيبه عن أوصافه بشهود الحق " (كشاف الاصطلاحات ، مادة الوجد).

(٢) (قَرْح) جُرْح (لسان العرب، مادة قرح).

(٣) - (الوُرْق) جمع ورقاء وهي الحمامة (لسان العرب، مادة ورق).

- (صَدْح) رفع الصوت بالغناء وغيره (لسان العرب، مادة صدح).

يُجَاوِبُهَا شَجِيٌّ لَهُ وَلَهٌ وَنَوْحُ (١)

وَفِيْهَا هَبَّ رَوْحٌ لَهُ نَشْرٌ وَنَفْحُ (٢)

وَفِيْهَا بَحْرُ عِشْقٍ لِكُلٍّ فِيْهِ سَبْحُ

وَفِيْهَا حَانُ صَهْبَا بِهِ الكَاسَاتُ طفْحُ (٣)

وَكَرْمُ السُّكْرِ دَانٍ بِهِ الأَحْبَابُ قُرْحُ (٤)

---

(١) (وَلَهٌ) الوله : ذهاب العقل والتحيّر من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف أو هو ذهاب العقل لفقدان الحبيب (لسان العرب، مادة وله) ، وفي الاصطلاح الصوفي: (الوله): إفراط الوجد (التعريفات ، ص ٢٧٦).

(٢) (رَوْح)بَرْد نسيم الريح ، أو نسيم الريح (لسان العرب، مادة روح).

(٣) - (حَانُ)يريد حانة أو حانوت وهو دكان البيع، و(صهبا) أراد صهباء ، والصهباء الخمر، سميت بذلك للونها الذي يخالط بياضه حُمْرة (لسان العرب ، مادة صهب).

- (طفح) طَفَح الإناء والنهر : امتلأ وارتفع حتى يفيض (لسان العرب، مادة طفح).

(٤) - (السُّكْر) في الاصطلاح الصوفي : " غيبة بوارد قويّ " (التعريفات ، ص ٢٧٥) ، وقد سبق تعريف المصطلحين (الغيبة) و(الوارد).

وَفِيْهَـــا مِـــنْ تَجَـــلِّي سَـــنَا المَحْبُـــوْبِ فَـــتْحُ (١)
سُـــيُوْفُ الحُـــبِّ تُفْنِـــي بِهَـــا قَتْـــلٌ وَجَـــرْحُ
فَـــإِنْ لَمْ تَـــرْضَ فَاصْـــبِرْ فَـــإِنَّ الصَّـــبْرَ مَـــدْحُ
وَإِنْ تَعْجَـــبْ فَجَـــرِّبْ وَذُقْ فَالوَجْـــدُ بُـــرْحُ (٢)
فَيَـــا رَبِي أَذِقْنِـــي شَـــمُوْلاً فِيْهَـــا سُـــنْحُ (٣)

---

(١)- الذي يظهر أن (فتح) مبتدأ مؤخر ، وخبره متعلق الجار والمجرور (فيها) ، والجار والمجرور (من تجلّي) متعلق بنعت للمبتدأ، و(من) أفادت التعليل ؛ أي أن في رياض الشوق فَتْحٌ من تجلّي سنا المحبوب.

- (تَجَلِّي) التجلِّي في الاصطلاح الصوفي : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (التعريفات ، ص ٢٧٧).

(٢)- (ذُقْ)(الذَّوْق) في الاصطلاح الصوفي: أوّل مبادئ التجليات الإلهية (التعريفات ، ص ٢٧٥)، وهو أيضا :نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرّقون به بين الحق والباطل من غير أنّ ينقلوا ذلك كتاب أو غيره (التعريفات ، ص ١١٩).

- (بُرْح) البَرْح : العجيب أو العظيم ، أو بمعنى الظهور والانكشاف (لسان العرب، مادة برح).

(٣)- (شَمُوْلاً) خمرا. (لسان العرب ، مادة شمل).

- (سُنْح) السُنْح : اليمن والبركة (لسان العرب ، مادة سنح).

أَدِرْ كَـــــأْسِي دِهَاقـــــاً لَعَـــلِّي لَسْـــتُ أَصْـــحُو (١)
وَلا أَصْـــــبِرْ لِحَـــــالٍ لِدَلْـــهِ السُّـــكْرِ يَمْحُـــو (٢)
وَلا أَرْنُـــــو بِطَـــــرْفِي لِمَـــا لا فِيْـــهِ نُجْـــحُ
وَلا أَنـــــزُو بِعَطْفِـــــي لِقَـــوْمٍ فِيْـــهِ طُلْـــحُ (٣)
فَنَـــائِي فِيْـــهِ وَجْـــداً بَقَـــاءٌ فِيْـــهِ رِبْـــحُ
وَذُلِي فِيْـــهِ عِـــزٌّ كَلَـــيْلِي فِيْـــهِ صُـــبْحُ
وَكَشْـــفُ الســـرِّ أَمْـــرٌ يَضِـــيْقُ بِـــذَاكَ شَرْحُ (٤)
فَأَنْـــتَ الـــرَّبُّ حَسْـــبِي فَحُبِّـــي فِيْـــكَ أَنْحُـــو (٥)

---

(١) (دهاقا) مملوءة (لسان العرب، مادة دهق).

(٢) (دَلْه) الدَّلْه والدَّلَه: ذهاب الفؤاد من هَمٍّ أو نحوه، كما يدله عقل الإنسان من عشق أوغيره (لسان العرب، مادة دله).

(٣) - (أنزو) نزا به قلبه: طمح (لسان العرب، مادة نزو). - (عِطْفِي) بكسر العين: عِطْف كل شيء جانبه، أو تكون (عَطْفِي) بفتح العين: الميلان والانحناء (لسان العرب، مادة عطف). - (طُلْح) الطالح: الفاسد (لسان العرب، مادة طلح).

(٤) (السِّر) في الاصطلاح الصوفي: يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة ما تقع به الإشارة (التعريفات، ص ٢٧٦).

(٥) (أنحو) أقصد (لسان العرب، مادة نحو).

القصيدة الرابعة (من مجزوء البحر الكامل) :

ولذكر الله أكبر، وبعد فهذه منظومة من الدرر، وبديعة في عِلْم سِرِّ القدر، فليفقه حقائقها من لَهُ بصر، فيها نور الحق زهر، وبرهان الصدق قد بهر، ويمّ العرفان قد زخر، والحمد لله على الإلهام، لهذا البديع من النظام، ربّ يسّر يا كريم :

يَا نَاظِرِي سِرِّ القَدَرْ ... فِي كُلِّ شَيءٍ مُعْتَبَرْ

سِرٌّ بِهِ قَدْ نَارَتِ ... الأَلْبَابُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرْ

لَمَحَتْ حَقَائِقَهُ البَصَا ... ئِرُ حِينَمَا كَلَّ البَصَرْ

فَأَدِلَّةُ الفُرْقَانِ قَدْ ... نَادَى بِهَا آيُ السُّوَرْ

وَأَدِلَّةُ الإِسْنَادِ يَنْ ... شُرُ لَفَّهَا بَسْطُ الأَثَرْ

وَأَدِلَّةُ البُرْهَانِ نَارَ ... مَنَارَهَا ضَوْءٌ زَهَرْ

فَجَلَتْ غِشَاوَةَ مُدْلَهِمْ ... غَطَّى جَهَالَةَ مَا اسْتَتَرْ

وَتَكَشَّفَتْ سُتُرُ الخَفِيَّ ... اتِ المُحَجَّبَةِ الغُرَرْ

وَتَمَوَّجَتْ مُتَلاطِمَا ... تُ بُحُورِ سِرٍّ قَدْ زَخَرْ

فَجَرَتْ بِهَا فُلْكُ النَّجَاةِ ... بِمَنْ عَلَيهَا قَدْ عَبَرْ

فَانْظُرْ عَجَائِبَ خَلْقِنَا ... مَنْ غَيْرِ شَيْءٍ مُبْتَكَرْ

وَالخُلْفَ فِي نُطْقٍ وَفِي ... لَوْنٍ وَتَشْكِيلِ الصُّوَرْ

وَالمُدْرِكَاتِ الشَّمَّ أَوْ ... سَمْعاً وَلَمْساً وَالبَصَرْ

وَالـــــذَّوْقَ كُـــــلٌّ قَـــــادَهُ بِالسِّـــــحْرِ يَـــــا عَقْـــــلٌ قُهِـــــرْ
وَالأَصْـــــــلُ فِي ذَا نُطْفَـــــــةٌ مَقْذُوفَـــــــةٌ فِيْ مُسْـــــــتَقَرّ
ثُـــــمَّ اسْـــــتَحَالَتْ عَلَقَـــــةً فَمُضْـــــغَةً تُنْهِـــــي الصُّـــــوَرْ (١)
قَـــــدْ صَـــــارَ مِـــــنْ تَشْـــــكِيْلِهَا هَيْكَـــــلَ أُنْثَـــــى أَوْ ذَكَـــــرْ
ثُـــــمَّ إِذَا الـــــرُّوْحُ انْتَشَـــــتْ صَـــــارَ جَنِيْنـــــاً مُضْـــــطَمِرْ (٢)
فَـــــافْتَرَّ مِـــــنْ أَكْمَامِـــــهِ افْـــــ ـــــتِرَارَ أَكْـــــمَامِ الشَّـــــجَرْ (٣)

---

(١) (تُنْهِي) تَبْلُغ ، من أنهى الشيءَ إذا أبلغه (لسان العرب ، مادة نهى).

(٢) - (انتشت) الأصل في الانتشاء : أوّل السُّكْر ومقدماته ، والنِّشْوة : الخبر أول ما يرد(لسان العرب ،مادة نشا)، والنِّشْوة : الارتياح للأمر والنشاط له (المعجم الوسيط، مادة نشى)؛ وعلى هذا فالمعنى السياقي للكلمة في البيت : أول ما تَدِبُّ الروح في الجسم وتنشط .

- (مضطمر) يقال : لؤلؤ مضطمر أي منضَّم (لسان العرب، مادة ضمر).

(٣) (افترّ): افترّ الإنسان ضحك ضحكا حسنا، وافترّ البرق تلألأ ، واستعاروا ذلك للزمن فقالوا : إنّ الصَّرْفَة ناب الدهر الذي يفترّ عنه ؛ وذلك أن الصَّرْفَة إذا طلعت خرج الزهر واعتمّ النّبت (لسان العرب، مادة فرر).

فَانْهَـــلَّ طِفْـــلاً مُسْتَهِـــــ ـــــلاً مُسْـــتَوٍ خَلْقـــاً بَشَـــرْ (١)
صِرْنَـــا وَكَـــمْ مِـــنْ بَـــاهِرِ الأَلْبَـــابِ فِينَـــا ذِيْ عِـــبَرْ
مِنْهَـــا بَـــدِيْعُ طَبَـــائِعٍ فِيْهَـــا التَّخَـــالُفُ قَـــدْ بَهَـــرْ
وَلَنَـــا مَسَـــاعٍ حَصـــرُهَا لَيْسَـــتْ بِعَـــدٍّ تُقْـــتَصَرْ
وَلَنَـــا العُقُـــوْلُ اسْتَحْسَـــنَتْ وَاسْـــتَقْبَحَتْ خَـــيْراً وَشَرّ
فَلَهَـــا البَوَاعِـــثُ أَزْعَجَـــتْ وَجَـــرَى المُقَـــدَّرُ وَاسْـــتَمَرْ (٢)
فَتَخَرَّبَـــتْ هِمَـــمُ النُّفُـــو سِ بِـــمَا القَضَـــا فِيْـــهِ اسْـــتَقَرّ
إِنْ قُلْـــتَ: مِـــنْ أَيْـــنَ البَـــوَا عِـــثُ؟ قُلْـــتُ: مِـــنْ سِرِّ القَـــدَرْ
أَوَ مَـــا تَـــرَى العَـــاصِيْ يَحُـــو مُ إِلَى المَهَالِـــكِ وَالضَـــرَرْ
مُسْتَحْسِـــنَاً لِلْقُـــبْحِ لا عَقْـــلٌ يُفِيْـــدُ وَلا بَصَـــرْ

---

(١) - (انهلّ): كلّ شيء انصبّ فقد انهلّ (لسان العرب، مادة هلل)، والمعنى السياقي لـ(انهلّ) هنا: النزول.

- (مستهلا)استهلّ الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة (لسان العرب، مادة هلل).

(٢) (البواعث) جمع باعث، وبعثه على الشيء: حمله على فعله (لسان العرب، مادة بعث)، والمعنى السياقي للكلمة هو الدوافع والأسباب، كقول ابن دريد:

وقد أزعجت نفسي بواعث من أسى فأجشمت نفسي ردع تلك البواعث

وَتَـــــرَى المُطِيْـــــعَ لِرَبّـــــهِ فِـــيمَا نَهَـــى أَوْ مَـــا أَمَـــرْ
مُسْتَحْسِـــــناً حُسْـــــناً وَعَـــــنْ كُـــلِّ القَبَـــائِحِ فَـــازْدَجَرْ
دَعْ أَنْ تَقُـــلْ كَتَـــبَ الـــذُّنُو بَ لِكَـــيْ أُعَـــذَّبَ فِي سَـــقَرْ(١)
لَمْ يَسْـــــأَلِ اللهَ بَـــــلِ المَسْـــئُوْلُ عَبْـــدٌ مُحْتَقَـــرْ
إِيّـــاكَ تَسْـــأَلُ : لِمْ فَعَلْـــ ـــتَ لِمَا تَشَاءُ مِنَ الضَّـرَرْ (٢)
أَوْ أَنْ تَقُـــوْهَ : (لِمْ خَلَقْـــ ـــتَ) مِنَ القَبَائِحِ فِي الصُّوَرْ (٣)
كَـــالقِرْدِ وَالخِنْزِيْـــرِ أَوْ مُسْـــتَهْجَنٍ مِـــنْ ذِيْ مُضَـــرّ (٤)

---

(١) (أن تقل) جُزِمَ الفعل المضارع للضرورة الشعرية ، ويرى بعض الكوفيين وأبو عبيدة أنّ (أنْ) جازمة ، وهي لغة بعض بني صباح من ضبّة ، ولغة بني حنيفة (مغني اللبيب ، ج٢، ص ٣٠) و(جواهر الأدب ، مادة أنْ المخففة).

(٢) (لِمْ) أصلها (لِمَ) بكسر اللام وفتح الميم ، وسكّنت الميم هنا للضرورة الشعرية .

(٣) - (لِمْ) في الأصل (لما) ، ولعله سهو من النساخ (انظر الهامش السابق).

- (خلقتَ)في الأصل (نشأتَ) ، والصواب معنىً (خلقتَ).

(٤) - في الأصل زيادة كلمة (بل) بعد كلمة الخنزير ، ولعلها سهو من النسّاخ ، ولا معنى لها هنا، فضلا عمّا تسببه من اختلال في الوزن فحذفتها.

- (مُضِرّ) اسم فاعل من (أضرّ) ، ولعله أراد المصدر (مَضَرَّة) ، فأبدل بالمصدر اسم الفاعل .

صَـــنَعَ الإلَـــهُ جَمِيْعَـــهُ جَـــدٌّ بِـــهِ الأَشْـــيَاءُ قَـــرّ (١)
قَبُحَـــتْ مَقَالَـــةُ مُلْحِـــدٍ : " اللهُ خَـــلَّاقَ القَـــذَرْ "(٢)
وَالكُفْـــرُ حَـــقٌّ بقائـــل : " رَبِيْ لِفِعْـــلِي قَـــدْ جَـــبَرْ " (٣)
لَـــوْ صَـــحَّ ذَا بَطَلَـــتْ تَكَـــا لِيْـــفُ الإلَـــهِ بِـــمَا أَمَـــرْ
وَبِـــمَا نَهَـــى وَالإِكْتِسَـــا بُ وَرُسْـــلُ رَبِّي لِلْبَـــشَرْ
فَلْيُلْـــغَ جَهْـــلُ الصَّـــانِعِ الأَشْـــيَا وَلا حَمْـــدٌ يَقِـــرّ

---

(١) (جَدّ) الجَدّ من معانيه : الحظ والرزق (لسان العرب ، مادة جدد)، ولعل المعنى أن الله قد خلق الجميع ما هو قبيح في صورته وغير ذلك ، فكلٌّ كان له حظّه وقِسْمته من الخِلْقَة التي استقرّ عليها كما شاء الله.

(٢) سألت سماحة شيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة – حفظه الله– عن معنى كلمة (مُلْحِد) في هذا البيت فأفادني بأن (الإلحاد) قد يرد بمعنى الظلم، كقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾. وفي معنى هذا البيت يقول العلامة ابن النضر –رحمه الله – في رائيته في (خلق الأفعال والرد على القدرية) : (الدعائم ، ص ٢٨)

قـــال: فـــالله تعـــالى جـــدُّه كـــوّن الميتـــةَ خلقـــا والقَـــذَرْ
وجميـــعَ القـــبح واللهُ الـــذي خَلَـــقَ الخلـــقَ بـــإكمال الصـــورْ
قلـــتُ: فـــالقردُ قبـــيحٌ لونُـــه وكذا الكلبُ ذو اللون الـــوَضِرْ
وهمـــا لله خلـــقٌ لم نقـــلْ: إنّ خلْـــقَ اللهِ في الكلـــب قَـــذِرْ

(٣) " حَقَّ بِقَائِل " يقال : هو حقيق به ومحقوق به أي خليق له (لسان العرب ، مادة حقق).

وَالـــذَّمُّ قِيْـــلَ كَـــذَا الثَّـــوَا ... بُ وَعَكْسُـــــهُ ذَاكَ انْهَـــــدَرْ

فَـــصْـــل

أَفْعَالُنَـــا كَسْـــبٌ لَنَـــا ... لَكِـــنْ لَهَـــا رَبِّي فَطَـــرْ

إِنْ قَـــالَ: لا، قُلْنَـــا: فَمَـــنْ ... خَـــلّاقُ أَفْعَـــالِ البَـــشَرْ؟

إِنْ قَـــالَ: لَـــوْ يَخْلُـــقُ لِـــلأَ ... فْعَـــالِ جَـــازَى لِلْقَـــدَرْ

قُلْنَـــا: عَـــلَى المَقْـــدُوْرِ يَجْـــ ... ـــــزِي تَائِبـــاً أَوْ مَـــنْ أَصَرّ

إِنْ قَـــالَ: مَـــا البُرْهَـــانُ فِي ... خَلْـــقِ الأَفَاعِيْـــلِ انْحَـــصَرْ؟

قُلْنَـــــا: أَشَيْءٌ فِعْلُنَـــــا ... أَمْ لا؟، أَجِـــلْ فِيْـــهِ النَّظَـــرْ

إِنْ قَـــالَ: شَيْءٌ، قُلْـــتُ: هَـــلْ ... شَيْءٌ بِـــلا خَلْـــقٍ ظَهَـــرْ؟!

أَوْ قَـــالَ: لا، قُلْنَـــا: فَـــمَا ... لا شَيْءَ هَـــلْ فِي المُلْـــكِ قَـــرّ (١)

أَوْ قَـــالَ: " إِنَّ الكُفْـــرَ لَمْ ... يَخْلُقْـــهُ رَبِّي " قَـــدْ كَفَـــرْ

قَـــدْ دَلَّ فَحْـــوَى قَوْلِـــهِ ... لِلـــهِ شِـــرْكٌ فِـــي القَـــدَرْ

يُعْـــصَى بِـــإِكْرَاهٍ وَذَو ... العِصْـــيَانِ أَقْـــوَى مِـــنْ قَـــدَرْ (٢)

---

(١) أي فالذي صفته لا شيء(أي المعدوم) لا يقِرُّ (أي لا يثبت وجوده) في الملكوت .

(٢) توضيح لدلالة فحوى قوله الواردة في البيت السابق.

أَوْ قَـــالَ : لَـــو شَـــا الكُفْـــرَ شَـــاءَ (لِفِعْلِـــهِ) وَبِـــهِ أَمَـــرْ (٢)

قُلْنَـــا لَـــهُ : قَـــدْ شَـــاءَهُ لَكِـــنْ لَنَـــا عَنْـــهُ زَجَـــرْ

إِنْ شَـــاءَهُ مُسْـــتَقْبِحاً ظَـــاهِرَهُ أَوْ مَـــا اسْـــتَتَرْ (٢)

أَنْ لَـــو خَلَقْنَـــا فِعْلَنَـــا لَمْ نَحْتَقِـــرْ بِـــالخَيرِ شَرّ (٣)

أَفَلَـــمْ يَلِـــجْ مَهْـــوَى الشَّـــقَا مِنَّـــا فَرِيْـــقٌ فِي سَـــقَرْ (٤)

أَوْ قَـــالَ : لَـــيْسَ يُرِيْـــدُ غَـــيْرَ الخَـــيْرِ مِـــنْ فِعْـــلِ البَـــشَرْ

وَالشَّـــرُ لَـــيْسَ يُرِيْـــدُهُ بَـــلْ ذَاكَ مِـــنْهُمْ قَـــدْ صَـــدَرْ

قُلْنَـــا : إِنِ المَـــوْلَى أَرَادَ ولَمْ يَكُـــنْ مَـــا قَـــدْ قَـــدَرْ

وَالعَبْـــدُ شَـــاءَ خِلافَـــهُ وَلِفِعْلِـــهِ أَمْضَـــى فَقَـــرّ

---

(١) - (شا) في الأصل (شاء) وقد خففتها بحذف الهمزة مراعاة لوزن البيت ، وهذا شائع في شعر الشيخ.

- (لفعله) في الأصل (لفعل) ، وما أثبته يستقيم مع البيت وزنا ومعنى.

(٢) (إِنْ) يظهر أنها (إِنْ) المخففة من الثقيلة عند من لم يشترط أن يليها فعل ناسخ وأجاز القياس على شواهدها كالأخفش (مغني اللبيب، ج١ ، ص٢٤) .

(٣) - الشطر الثاني جواب (لو) الواردة في الشطر الأول.

(٤) (يلج) يدخل (لسان العرب ، مادة ولج).

(فَلِـــذَاكَ يَغْلِـــبُ)رَبَّـــهُ هَـــذَا لِمَـــنْ إِحْـــدى الكُـــبَرْ (١)
مَـــا لَمْ يُـــرِدْ تَكْوِيْنَـــهُ هَـــلْ كَوْنُـــهُ (يَلْقَـــى)ظَهَـــرْ (٢)
مَـــنْ قَـــدْ أَطَـــاعَ بِمَنِّـــهِ فَـــإِلى (الفَـــرَادِيْسِ عَـــبَرْ) (٣)
وَلَـــهُ المَشِـــيْئَةُ فِي القَضَـــا وَلَنَـــا اسْـــتِطَاعَةُ مَـــا أَمَـــرْ
وَلَنَـــا اخْتِيَـــارٌ وَالنُّفُـــوْسُ تَقُوْدُنَـــا نَحْـــوَ الخَطَـــرْ
وَالعَقْـــلُ يَـــأْنَفُ غَـــيْرَ مَـــا يُعْتَـــدُّ مِـــنْ حَســـرِ الخُـــدُرْ
نُصِـــبَتْ مَعَـــالِمُ لِلسُّـــلُوْكِ لِـــنَهْجِ سُـــبْلٍ بِـــالخِيَرْ

---

(١) - " فلذاك يغلب ربّه " في الأصل وردت (فلذا فيغلب ربّه)ولعله سهو من النسّاخ .
- من قوله : " قلنا إن المولى أراد " إلى قوله : " هذا لمن إحدى الكبر " أي إنْ أراد المولى – جل وعلا – الخير دون الشر من فِعْل البشر ، لكن العبد فَعَل خِلاف ما أراده المولى – جلّ وعلا – فإن ذلك يستلزم غلبة العبد إرادة ربّه ، وهذا أمر باطل وهو من إحدى الكبر ، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

(٢) " هل كونه يَلْقَى ظَهَر" الخط غير واضح في الأصل ، وكأن الاستفهام في السياق يفيد الإنكار ، أي إن الأمر الذي لا يريد اللهُ كينونتَه هل يَلقى هذا الأمرُ ظهيرا ومعينا ليكون ؟، و (ظَهَرْ)لغة تضبط بسكون الهاء بمعنى العَوْن (انظر أساس البلاغة ، مادة ظهر) وقد حركت الهاء هنا مراعاة للوزن.

(٣) الشطر الثاني بياض في الأصل فأتممته بما يتلاءم مع السياق.

وَتَـــوَعَّرَتْ تِلْـــكَ المَنَـــاهِجُ بِـــــالقَوَاطِعِ إِنْ تَمُـــــرّ
مَـــنْ لَمْ تَقُـــدْهُ أَزِمَّـــةُ التَّوْفِيْـــقِ (مِـــنْ) ذِيْ مُقْتَهِـــرْ (١)
وَتَنَاهَبَتْـــهُ يَـــدُ السَّـــوَائِقِ كَالهَشِـــيْمِ المُحْتَظِـــرْ (٢)
أَلْقَتْـــهُ فِي قَعْـــرٍ سَـــحِيْقِ لا نَجَـــــاةَ وَلا وَزَرْ (٣)
خَـــسِرَ الحُظُـــوْظَ وَنَفْسَـــهُ وَبَكَـــتْ لَـــهُ عَـــيْنُ العِـــبَرْ

---

(١) الشطر الثاني ورد في الأصل هكذا " التوفيق أو ذي مقتهر "و لعل الأنسب أن يقال : "من ذي مقتهر" بمعنى: من ذي اقتهار ، إذ لا معنى لـ (أو) في سياق البيت. كأن جواب الشرط بعد البيتين التاليين في قوله: (خسر الحظوظ ونفسه).

(٢) - (تناهبته) النهب : الغنيمة والسلب والغارة ، ويقال : " تناهبت الإبل الأرض : أخذت بقوائمها منها أخذا كثيرا " (لسان العرب ، مادة نهب).

- (السوائق) في الأصل السوايق ، وهي جمع ساقة و" ساقة مفردها سائق " (لسان العرب ، مادة سوق).

- (كالهشيم المحتظر) من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ (القمر/ ٣١) ، و(الهشيم) : ما يبس من الورق وتكسَّر وتحطَّم ، و(المحتظر) في الأصل (المحتضر) فصوّبتها ، وهو: من يعمل الحظار أو الحظيرة للإبل أو النخل أو نحو ذلك (انظر لسان العرب ، مادة حظر) ، وفي التفسير: هشيم المحتظر: الحطب اليابس المتفتت. (تيسير التفسير، جـ١٢، ص ٥٩٨).

(٣) (وزر) الوزر: الملجأ (انظر لسان العرب، مادة وزر).

حَلَّـــتْ عَلَيْـــهِ مَصَـــائِبٌ لا تُسْـــتَقَالُ مَـــدَى الـــدُّهُرْ
فَلَـــهُ المِهَـــادُ لِحِينِـــهِ نَـــارٌ تَـــأَجَّجُ تَسْـــتَعِرْ (١)
وَمُكَبْكَـــبٌ فِي حَـــاجِمٍ كَالقَـــصْرِ تَرْمِـــي بِالشَّـــرَرْ (٢)
وَمَـــنِ السَّـــعَادَةُ وَاجَهَتْـــهُ بِنَصـــرِهَا وَجَـــدَ الظَّفَـــرْ
فَنَجَـــا وَفَـــازَ بِرَحْمَـــةٍ مَـــا شَـــابَهَا شَـــوْكُ الكَـــدَرْ
وَعَـــلَى (السَّـــنَاءِ)مَعَـــارِجٌ فِيـــهِ النَّعِـــيْمُ قَـــدِ اسْـــتَقَرّ (٣)
فـــي دَارِ قُـــدْسٍ دَامَ فِي أُنْـــسٍ بَرِيَّـــاتُ الحَـــوَرْ (٤)

---

(١) (المهاد) : الفراش (انظر لسان العرب ، مادة مهد)، يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ .

(٢)- (مكبكب) كبكبه : قَلَبَهُ وصَرَعَهُ (انظر لسان العرب ، مادة كبب)، من قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾(الشعراء/ ٩٤).

- (حاجم) يريد بها نار جهنم - والعياذ بالله - وقد سمّاها حاجما؛ لأنها مكان مانع من قولهم: " حجمته عن حاجته إذا منعته عنها " (انظر لسان العرب ، مادة حجم).

- الشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ (المرسلات/ ٣٢).

(٣) ما بين القوسين بياض في الأصل فأتممته بما يتلاءم مع السياق.

(٤) - (بريات) خالصات (انظر : لسان العرب ، مادة برأ).

- (الحَوَر) شدة سواد المقلة، في شدة بياضها، في شدة بياض الجسد (لسان العرب، مادة حور).

إِنْ قُلْـــــتَ مِمَّـــــا ذَا وَذَاكَ ... حَـــارَ فِكْـــرِي وَالنَّظَـــرْ

قُلْـــتُ الجَمِيْـــعُ عَبِيْـــدُهُ ... وَلَـــهُ المُقَـــدَّرُ وَالقَـــدَرْ

وَلَـــهُ يُقَـــدِّرُ مَـــا يَشَـــاءُ ... كَـــمَا يَشَـــا خَـــيْراً وَشَرّ

وَلَـــهُ المَمَالِـــكُ وَالعَبِيْـــدُ ... وَهَـــلْ لَـــهُ فِـــيْهِمْ ظَـهَـــرْ؟!(١)

وَلَـــهُ المَشِـــيْئَةُ لَـــوْ يَشَـــاءُ ... حَمَـــى الجَمِيْـــعَ عَـــنِ الخَطَـــرْ (٢)

لَكِـــنْ سَـــوَابِقُ حُكْمِـــهِ ... قَبْـــلَ المُـــؤَثِّرِ وَالأَثَـــرْ

مَـــا لَمْ يُـــرِدْهُ فَـــلا يَكُـــوْنُ ... وَمَـــا يُرِيْـــدُ لَـــهُ انْهَـــصَرْ (٣)

عَلِـــمَ المَصِـــيْرَ وَمَـــا يَصِـــيْرُ ... وَوَارِدٌ أَوْ مَـــا صَـــدَرْ

---

(١) (ظَـهَـرْ)لغة تضبط بسكون الهاء بمعنى العَوْن (انظر أساس البلاغة ، مادة ظهر) وقد حركت الهاء هنا مراعاة للوزن، وبعيد أن يكون المراد (ظُهُر)جمعا لظهير وهو المعين، بالإشارة إلى قوله تعالى:﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ (سبأ/ ٢٢)؛ ذلك لأن (فعيل) لا يجمع على فُعُل إن كان صفة، وإنما يُجمع على فُعَلاء أو فِعال (انظر: المقتضب، ج٢، ص٢١٠- المقاصد الشافية، ج٧ ، ص ٦٧ - أوضح المسالك ، ج٤، ص ٢٨٤و٢٨٨- لسان العرب و تهذيب اللغة، مادة ظهر).

(٢) (عَنِ الخَطَرْ) هكذا في الأصل، ولعله أراد (عَنْ) المرادفة لـ(مِنْ) (انظر مغني اللبيب، وجواهر الأدب، مادة عن).

(٣) (انْهَصَرْ) مطاوع (هصر) الذي من معانيه : أمال الشيء وجذبه (لسان العرب ، مادة هصر) والمعنى السياقي : انقاد وأذعن وخضع.

مَـــوْلايَ هَـــبْ لِيْ رَحْمَـــةً ... رَحْمَـــةَ عَبْـــدٍ قَـــدْ أَقَـــرّ

وَبِمُلْكِـــكَ الأَشْـــيَا وَلَـــوْ ... قَـــدْ قَـــلَّ عَـــنْ مِثْقَـــالِ ذَرّ

حَمْـــدِيْ إِلَيْـــكَ كَحَمْـــدِ مَـــنْ ... بُـــوِّءَ (نُعْمَـــى) فَشَـــكَرْ (١)

أَو (مَـــن بُـــلِي فِي حَالِـــهِ) ... أَوْ فِي الـــذِّمَامِ وَقَـــدْ صَـــبَرْ (٢)

خُـــذْهَا كَشَـــمْسٍ أَشْرَقَـــتْ ... تَهْـــدِي الهُـــدَى فِـــيمَا شَـــجَرْ

أَوْ أَنهَـــا حَـــوْرَاءُ تَـــرْ ... فُـــلُ بِـــالخَبِيْرِ مِـــنَ الخَـــبَرْ (٣)

وَبِغَنْجِهَـــا تَاهَـــتْ دَلا ... لاً زَانَهَـــا نُـــوْرٌ زَهَـــرْ (٤)

وَلِشَـــأْنِهَا نُظِمَـــتْ جَـــوَا ... هِـــرُ مَـــا الجَـــوَاهِرُ وَالـــدُّرَرْ (٥)

---

(١) (نُعْمَى) في الأصل كتبت بألف ممدودة أو أنه أراد (نَعْمَاء) فحذف الهمزة مراعاة للوزن.

(٢)- ما بين القوسين بياض في الأصل فأتممته بما يتلاءم مع السياق.

- (الذِّمام) من معانيه : الحقّ والعهد (لسان العرب ، مادة ذمم).

(٣) (تَرْفُلُ) : تجر ذيلها إذا مشت وتميس في ذلك (لسان العرب ، مادة رفل).

(٤) (بغنجها) الغنج : الشّكْل ، وامرأة غنجة : حسنة الدلّ (الدّلال) (لسان العرب ، مادة غنج).

(٥) (ما الجواهر والدرر؟) استفهام لإرادة التفخيم والتعظيم.

أَهْـــدِي الصَّـــــلاةَ لِشَـــــافِعِي وَالآلِ وَالصَّـــــحْبِ الغُـــــرَرْ
وَكَـــذَا (الصَّـــــلاةُ)لِجَمْعِهِـــمْ وَلِمَـــنْ (يُآمِـــنُ) بِالقَـــدَرْ (١)

تمت هنا وهي مائة بيت والحمد لله على التمام ، نظمها الثقة الورع الفقيه العارف وحيد عصره ، وفريد دهره الأخ راشد بن سيف اللمكي والحمد لله رب العالمين.

---

(١)- ما بين القوسين في الشطر الأول بياض في الأصل فأتممته بما يتلاءم مع السياق ، و(لجمعهم) : من معانيه الجماعة أي جماعة الآل والصحب .
- ما بين القوسين في الشطر الثاني كتبت في الأصل (يوامن) .

القصيدة الخامسة (من البحر الطويل) :

ومما قالَهُ نظما نَعْتُهُ لمقام كُتُبِهِ، وخزانة أسفاره الذي شيَّده بأعلى منزله من محلة قَصْرَى(١) من بلدة الرُّسْتَاق الحميد من عُمَان المحروسة ، وذكره تشويقا إليه وتأريخا لبنائه، أعاد اللهُ رسومه، وأحيا أركانه بالعلم والطاعة، وجعلنا من خدّامها في الحياة الأولى، فقال رحمه الله :

عَلا شَرَفاً هَذَا المَقَامُ وَذَكَّرَا ... مَقَاماً بِبُطْنَانِ الفَرَادِيْسِ قُرِّرَا (٢)

لَهُ مَنْظَرٌ يَزْهُوْ حَكَى رَوْضَ بَيْدَخٍ ... كَأَنَّ مِنَ النُّوْرِ المُضِيْءِ تَعَمَّرَا (٣)

---

(١) (قَصْرَى) محلّة تقع في الشمال الشرقي من قلعة الرستاق ، مقابل سوق الرستاق القديم شرقا، ومعروفة على مرّ التاريخ بأنها موطن العلماء وأهل الفضل، فقد نشأ فيها الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وهي مسكن العلامة خميس بن سعيد الشقصي . (للتوسّع انظر: الرستاق عبر التاريخ ، ص ٨٦).

(٢)- (ببطنان) جمع (بَطْن) و " بطنان الفراديس" أي وسطها (انظر لسان العرب ، مادة بطن).

- (الفراديس) جمع فردوس وهو البستان الواسع الحسن (أساس البلاغة ، مادة فرد).

- (قرّرا) : ثُبِّت (لسان العرب ، مادة قرر).

(٣) (بَيْدَخٍ) : اسم امرأة .. و (البُدَخَاء) العِظَام الشئون (انظر : لسان العرب – مادة "بدخ")،و(بيدخ) اسم نهر في الجنة، وله أسماء أخرى مثل البَيْدج و البَيْدح والسّدخ، ورد ذكره في حديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده رقم (١١٩٧٧)، وأخرجه أيضا في رواية أخرى برقم (١٣٢٨٦)، ولعل هذا المعنى هو المراد.

وَبَهْجَتُــهُ تُحْيِــي القُلُــوْبَ كَــأَنَّمَا ... يُعَلِّلُهَــا سَــاقٍ رَحِيْقــاً وَكَــوْثَرا (١)

يَفُوْحُ شَـذَىً إِنْ هَـبَّ سَـاحَتَهُ الصَّـبَا ... كَـأَنَّ بِنَـاهُ شِـيْبَ مِسْـكاً وَعَنْـبَرَا (٢)

عَلَيْــهِ رُسُــوْمٌ نُمِّقَــتْ بِقِبَابِــهِ ... كَمِعْصَمِ غِيْدٍ بِاليَوَاقِيْتِ سُوِّرَا (٣)

رُسُــوْمٌ كَمَسْــمُوْطِ الــلآلِيْ تَنَظَّمَــتْ ... فَرُصِّــعَ بِالعِقْيَــانِ سَــطْراً مُــدَوَّرَا(٤)

لَهَــا رَوْنَــقٌ قَــدْ زَانَهَــا مَنْطِــقُ الهُــدَى ... كَــمَا زَانَ نُطْقــاً بِــالمَوَاعِظِ قُــرِّرَا

مَصَــابِيْحُهُ مِثْــلَ الكَوَاكِــبِ نُظِّمَــتْ ... تَلامَــعُ مَــا المَنْظُــوْمُ دُرّاً وَجَــوْهَرَا

---

(١) (يُعَلِّلُهَا) علّل فلانا بطعام وغيره : لهّاه وشغله به (انظر لسان العرب ، مادة علل).

(٢)- (بُنَاهُ) البنى (بكسر الباء وضمها) مقصورا : البناء (لسان العرب ، مادة بني).

- (شِيْبَ) خُلِط (لسان العرب ، مادة شوب).

(٣) (غيد) جمع غيداء ، وهي المرأة المتثنية من اللين (لسان العرب ، مادة غيد).

(٤) (العقيان) عقيان : فِعْلان أو فِعْيال وهو الذهب الخالص (لسان العرب ، مادة عقي-عقن).

فَحَيِّـــي بِتَسْـــلِيْمٍ وَأَلْـــثِمْ لِرُكْنِـــهِ كَلَـــثْمِ مُحِـــبٍّ مِـــنْ حَبِيْـــبٍ تَعَطَّـــرَا
وَخُـــرَّ عَـــلَى الأَذْقَـــانِ فِيْـــهِ مُسَـــبِّحاً بِحَمْدِ الَّذِيْ أَوْلاكَ (نُعْمَى) وَكَبِّرَا(١)
أَدِمْنِـــيْ عَـــلَى التَّقْـــوَى إِلَهِـــيْ مُؤَزِّخـــاً مَقَامِيْ عَلَى الفِعْلِ الجَمِيْلِ تَصَـوَّرَا(٢)

---

(١)- (نُعْمَى) في الأصل كتبت بألف ممدودة أو أنه أراد (نَعْمَاء) فحذف الهمزة مراعاة للوزن.

- (كبّرا) بكسر الباء المشددة من التكبير ، وهو قول : (الله أكبر)، أو بفتحها بمعنى جعلك كبيرا.

(٢)يوافق بحساب الجمل عام ١٣٣٠هـ تقريبا.

القصيدة السادسة (من البحر الطويل) :

قصيدة في عتاب فلج "المَحْيُوْل" (١)

أَيَا فَلَجَ الـمَحْيُوْلِ ضَيَّقْتَ لِي صَدْرِيْ ... وَكُـلُّ وِصَـالٍ صِرْتَ تَجْزِيْـهِ بِـالهَجْرِ

وَمَـرَّتْ بِـكَ الأَيـامُ مَـا فِيْـكَ مُـرْبِحٌ ... يُرَجَّـى وَلا نُجْـحٌ عَـلَى عَـادَةِ النَّهْـرِ

إِذَا آنَ وَقْـتٌ مِـنْ ثِـمَارٍ تَلَوَّنَـتْ ... خَسَائِرَ يُمْسِيْ كَفُّنَا مِنْـكَ ذَا صِـفْرِ (٢)

إِذَا مَـا شِـتَاءٌ آنَ هَبَّـتْ زَعَـازِعُ ... الرِّيـاحِ كَـمَا هَبَّـتْ لِعَـادٍ أُوْلِي الكُفْـرِ

عَلَيْهَـا غَـمَامٌ يَحْـبِسُ الجَـوَّ ظُلْمَـةً ... فَـمَا مَلْجَـأٌ إِلا هَشِـيْمٌ مِـنَ السِّـدْرِ

وَإِنْ آنَ حَـرٌّ بَاشَرَتْنَـا سَـمُوْمُهُ ... كَـأَنَّ بِهَـا النِّـيْرَانَ شَـبَّتْ مِـنَ الجَمْـرِ

ثِـمَارُكَ مِنْـهُ فُلْفُـلٌ كَـادَ أَكْلُـهُ ... يُقَطِّعُ لِلأَمْعَـاءِ كـالأَلَمِ الصَّـدرِي (٣)

---

(١) (المحيول) : اسم لبستان واقع على الضفة الشمالية من وادي الفرعي، مقابل بلدة الجزيرة حاليا بولاية الرستاق، و يُسمى به أماكن عدة بالسلطنة كما في منطقة الظاهرة مثلا.

(٢) (كفّنا) : الأصل في (الكفّ) التأنيث وقد وردت في البيت مذكّرة في خبر يمسي (ذا) للضرورة .

(٣) (فُلْفُلٌ)" بضم الفاءين من الأبزار ، قالوا : ولايجوز فيه الكسر " (المصباح المنير، مادة فلفل).

وَبَصْـلٌ إِذَا اسْتَنْشَـقْتَهُ أَوْ أَكَلْتَـهُ يُوَلِّـدُ (زَخْمـاً) زَادَ عَـنْ زَخْمَـةِ الصَّـبْرِ (١)

وَفُجْلٌ يُفَشِّي العَيْنَ وَالأَنفَ بِالجُشَا وَمَغْصـاً وَقُوْلِنْجـاً وَدَاءً مِـنَ الحَـضْرِ (٢)

فَـمَا الثُّـوْمُ إِلا مُكْـرِبٌ وَمُصَـدِّعٌ عَلَى الرَّأْسِ مَا يُبْرِيْهِ شَيْءٌ سِوَى الصَّبْرِ (٣)

---

(١)- (زخما) زَخِمَ زَخَما ، وفيه زخَمَة : الرائحة الكريهة (لسان العرب ، مادة زخم).

- (الصَّبْرِ) : عصارة شجر مرّ ، واحدته (صَبِرة) ، والجمع صُبُور ، ولا يسكّن إلا في ضرورة الشعر (لسان العرب ، مادة صبر).

(٢) - (يُفَشِّي) : يوسّع وينشر (لسان العرب ، مادة).

- (قُوْلِنْجاً) : القُولِنج : أعجمية ، وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللام ، ويفتح القاف ويضمّ ، مرض مشهور معويّ مؤلم جدا، يعسر فيه خروج الثّفل والريح (تاج العروس من جواهر القاموس، مادة قلج)وفي المصباح المنير : القولَنج : بفتح اللام وجع في المعي المسمّى (قولن) بضم اللام وهو شدة المَغَص (المصباح المنير ، مادة " قولنج ") .

(٣) (يُبْرِيْهِ) يريد (يُبرؤه) ، أو أنّها (يَبْرِيْه) من براه بَرْيا بمعنى يُضْعِفُه ؛ وذلك كقولهم : براه السفر بمعنى هزّله (لسان العرب ، مادة بري).

وَإِنْ جِلْتَ فِي سَاحَاتِهِ مُتَفَرِّجاً ... فَحَافِظْ عَلَى الأَقْدَامِ مِنْ شَوْكَةِ السَّمْرِ (١)

فَمَا فِيهِ إِلا مَسْجِدٌ قُرْبَ نَهْرِه ... تَقَرُّ بِهِ عَيْنِيْ وَيَشْرَحُ لِي صَدْرِيْ

يُوَاصِلُنِيْ فِيْهِ أَخُوْ العِلْمِ وَالحِجَا ... وَأَرْبَحُ شَيْءٍ لِي مُوَاصَلَةُ الحَبْرِ (٢)

فَهَذَا وَصَلَّى اللهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... عَلَى المُجْتَبَى وَالصَّحْبِ ذِيْ النَّهْي وَالأَمْرِ

---

(١)(السَّمْرِ)تضبط لغة بضم الميم لكنها سكنت في هذا البيت مراعاة للوزن.

(٢) (الحِجَا): العقل والفطنة (لسان العرب ، مادة حجا).

القصيدة السابعة (من البحر الطويل) :

قصيدة في مدح فلج " المَحْيُوْل "

أَيَا فَلَجَ الـمَعْمُوْرِ هُنِّيْتَ بِالبِشْرِ ... وَوُقِّيْتَ مِنْ جَدْبٍ وَحُصِّنْتَ مِنْ ضُرِّ (١)

وَجُنِّبْتَ مِنْ عَيْبٍ وَسُلِّمْتَ مِنْ أَذَى ... وَبُوْرِكْتَ عُمْرِيْ مَا بَقِيْتَ مَدَى الدَّهْرِ

وَبُرِّئْتَ مِنْ شَرٍّ وَحُيِّيْتَ بِالحَيَا ... لِتَحْيَا وَنُوْرُ الزَّهْرِ كَالأَنْجُمِ الزُّهْرِ

وَأَحْرَزْتَ مَنْعاً مِنْ رَزَايَا مُلِمَّةٍ ... وَسُلِّمْتَ مِنْ كَيْدِ البَلايَا وَمِنْ شَرِّ

وَعُطِّرْتَ مِنْ نَشْرِ الرَّيَاحِيْنِ عَرْفِهِ ... يَفُوْحُ شَذَىً مَا المِسْكُ مَا طَيِّبُ النَّشْرِ (٢)

وَرَيْحَانُهُ إِنْ بِالنَّسِيْمِ تَمَايَسَتْ ... تَخَايَلُهَا كَالمَوْجِ فِي زَاخِرِ البَحْرِ (٣)

وَقَدْ أَيْنَعَتْ أَثْمَارُهُ بِتَلَوُّنٍ ... فَذَا أَحْمَرٌ قَانٍ وَذَا بَاسِمُ الزَّهْرِ

فَتِيْنٌ وَكَرْمٌ يَانِعٌ وَسَفَرْجَلٌ ... وَطَلْحٌ وَزَيْتُوْنٌ وَنَبْقٌ مِنَ السِّدْرِ (٤)

---

(١) (المَعْمُوْر) : لعله أراد (المحيول)، أو قصد وَصْف (المحيول) بالمعمور لأنه أصبح معمورا بالخصب.

(٢) - (عَرْفِهِ) : العَرْف : الرائحة الطيبة (لسان العرب ، مادة عرف).

- (مَا المِسْكُ مَا طَيِّبُ النَّشْرِ) استفهام لإرادة التفخيم والتعظيم.

(٣) (تَمَايَسَتْ) ماست تميس ميسا إذا تبخترت في مشيتها وتثنّت (لسان العرب ، مادة ميس).

(٤) (زَيْتُوْنٌ) يريد به فاكهة الجوّافة المعروفة ، وقد جرى العُرْف في بلدنا على تسمية هذه الفاكهة بالزيتون.

وَإِنْ هَبَّتِ النَّسْمَا يَفُوْحُ بَنَفْسَجٌ ... وَوَرْدٌ وَآسٌ وَالرَّيَاحِيْنُ ذُوْ الزَّهْرِ (١)

وَأَسْوَدُ غِرْبِيْبٌ بِأَحْدَاقِ زَهْرِهِ ... كَأَحْدَاقِ حُوْرٍ قَدْ تَجَلَّتْ مِنَ الخِدْرِ (٢)

فَذَا يُنْعِشُ الأَرْوَاحَ مِنْ طِيْبِ نَشْرِهِ ... وَذَا يَبْعَثُ الأَفْرَاحَ إِنْ فَاحَ بِالعِطْرِ (٣)

وَذَا سِرُّهُ يَجْلُوْ القُلُوْبَ مِنَ الصَّدَا ... وَذَا أَكْلُهُ يَشْفِيْ السَّقِيْمَ مَدَى العُمْرِ

وَإِنْ صَدَحَتْ أَطْيَارُهُ بِتَأَوُّبٍ ... مَزَامِيْرُ دَاوُدٍ عَلَى حَضْرَةِ الذِّكْرِ (٤)

تُجَاوِبُهَا الشُّمُّ الرَّوَاسِيْ تَأَوُّباً ... وَحُسْنُ الفَلا كَالنَّائِحَاتِ عَلَى الوَكْرِ

يَصُبُّ عَلَى الحِيْطَانِ مَاءٌ بِكَثْرَةٍ ... نَمِيْرٌ وَعَذْبٌ قَدْ حَكَى مَاءَ كَوْثَرِ (٥)

يُشَرِّفُهُ بَيْتُ الإِلَهِ وَصَرْحُهُ ... المُمَرَّدُ وَالحِيْطَانُ رُصِّعْنَ بِالتِّبْرِ

---

(١) (بَنَفْسَجٌ) نبات زهري من جنس (فيولا) من الفصيلة البنفسجية يزرع للزينة ولزهوره، عَطِر الرائحة (المعجم الوسيط ، مادة بنفسج)، وهو أيضا موجود في عُمان (انظر: الأزهار البرية لعمان الشمالية، ص١٥).

(٢) (غِرْبِيْبٌ) : شديد السواد (لسان العرب ، مادة).

(٣) (الصَّدا) أصله الصَّدأ ، وهو كدرة تعلو وجه الشيء ، والصَّدأ من الحديد وسخه (لسان العرب ، مادة صدأ).

(٤) (تَأَوُّبٍ) تسبيح (لسان العرب ، مادة أوب)، وهذا البيت والذي يليه يشيران إلى قوله تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ (سبأ/ ١٠).

(٥) (نَمِيْرٌ) النمير من الماء : العذب الهنيء المسمن الناجع (العين ، ماة نمر).

مَلائِكَـةُ الـرَّحْمَنِ حَفَّـتْ بِمَـنْ بِـهِ فَيَعْمَـدُ لِلْمَـوْلَى وَيَتْلُـوْ مِـنَ الـذِّكْرِ
وَقَدْ زَادَ بَيْتُ اللـــــهِ تَشْرِيْفَهُ عَلَى الجَلالَـةِ تَشْـرِيْفاً بِـهِ لِعُـلا القَـدْرِ
بِـهِ مَجْمَـعٌ مِـنْ كُـلِّ حَـبْرٍ وَعَابِـدٍ تَعَاطَوا كُؤُوْسَ الحُبِّ كَالعَسَلِ الخَمْرِ
لَهُمْ هَيْنَمَاتُ الذِّكْرِ فِي الخَوْفِ وَالرَّجَا ونَوْحُ الثَّكَالَى وَالدُّمُوْعُ دَماً تَجْرِي (١)
فَمِـنْهُمْ عَـلَى شَرْعٍ يُهَـذِّبُ أَنْفُسـاً وَمِـنْهُمْ عَـلَى نَحْـوٍ وَفِيْ عَيْشِـهِ السُكْرِ
وَمِـنْهُمْ عَـلَى التَّجْوِيْـدِ قَـامَ وَمِـنْهُمُ اسْتَقَامَ عَـلَى التَّوْحِيْـدِ مُسْـتَغْرِقَ الفِكْـرِ

---

(١) (هَيْنَمَاتُ) جمع هينمة، وهي الكلام الخفي وقيل الصوت الخفي (لسان العرب، مادة هنم).

القصيدة الثامنة (من البحر الطويل) :

دعاء الشيخ راشد بن سيف اللمكي

إِلَهِـيْ إِلَيـكَ الحَمْـدُ وَالشُّـكْرُ وَالثَّنَـا ... قَـدِيْرٌ وَعَـلامٌ بَصِـيْرٌ وَسَـامِعُ

إِلَهِـيْ وَسِـعْتَ الكَـوْنَ عِلْـماً وَرَحْمَـةً ... تُسَـبِّحُكَ الأَكْـوَانُ فَالكُـلُّ خَاضِـعُ

إِلَهِـيْ مُعِـزٌّ مَـنْ تَشَـا وَمُـذِلُّ مَـنْ ... تَشَـاءُ وَمُعْـطٍ مَـنْ تَشَـاءُ وَمَـانِعُ

إِلَهِـيْ عُبَيْـدٌ قَـامَ يَـدْعُوْكَ ضَـارِعاً ... أَسِـيْرَ ذُنُـوْبٍ مِـنْ عِقَابِـكَ جَـازِعُ

إِلَهِيْ وَأَدْعُـوْ بِاسْـمِكَ الأَعْظَـمِ الـذِيْ ... لأَسْـمَائِكَ الحُسْـنَى مُحِـيْطٌ وَجَـامِعُ

إِلَهِـيْ تَقَبَّـلْ تَـوْبَتِيْ وَامْـحُ حَـوْبَتِيْ ... فَـإِنِّيْ مُنِيْـبٌ تَائِـبٌ لَـكَ رَاجِـعُ

إِلَهِـيْ أَقِلْنِـيْ عَثْـرَتِيْ وَاعْـفُ زَلَّتِـيْ ... وَيَسِّرْ لِعُسْرِيْ إِنَّ فَضْـلَكَ وَاسِـعُ

إِلَهِيْ أَجِرْنِيْ مِنْ عَـذَابِكَ وَاجْعَـلِ الرَّ ... سُـوْلَ شَـفِيْعِيْ إِذْ بِإِذْنِـكَ شَـافِعُ

إِلَهِـيْ وَأَحْيِنِـيْ مُعَافـاً مُكَرَّمـاً ... رَفِيْعـاً عَـنِ الأَعْـدَا فَعِـزُّكُ رَافِـعُ

إِلَهِـيَ وَابْسُـطْ لِيْ نَـوَالاً وَأَوْلِنِـيْ ... مَوَاهِـبَ أَلْطَـافٍ فَجُـوْدُكُ هَـامِعُ (١)

---

(١) (هَامِعُ) هَمَع الدمعُ والماءُ: سال ، وسحاب هَمِعٌ : ماطر (لسان العرب ، مادة همع).

إِلَهِـيْ وَأَغْنِنِـيْ بِوَاسِـعِ رِزْقِـكَ الْـ ـــــجَلالِ بِـلا سَـعْيٍ فَسَـعْيِيَ ضَـائِعُ
إِلَهِيْ وَعَلِّمْنِيْ الشَّرِيْعَةَ وَاهْدِنِي الْـ ـــــحَقِيْقَةَ إِنِّيْ فِيْ رَضَـائِكَ طَـامِعُ
إِلَهِـيْ وَأَلْهِمْنِـيْ عُلُوْمـاً خَفِيَّـةً بِـأَنْوَارِ سِرِّ اسْـمٍ بِـهِ النُّـوْرُ سَـاطِعُ
إِلَهِيَ وَانْهَجْ بِيْ السَّبِيْلَ لِسَائِرِ الْـ ـــــعُلُوْمِ فَفِيْهَـا لِلْقُلُـوْبِ مَنَـافِعُ
إِلَهِيْ وَأَشْهِدْنِيْ مِنَ الكَوْنِ بَاهِرَ الْـ ـــــعَجَائِبِ إِشْهَادَ الفَنَا فَهْوَ قَـاطِعُ (١)
إِلَهِـيَ وَاجْـذِبْنِيْ لِوَصْـلِكَ وَافْـنِ لِيْ قَبِـيْحَ صَـفَاتِيْ إِنَّهَـا لِيْ خَـدَائِعُ
إِلَهِـيْ وَصَـلِّ لِلرَّسُـوْلِ وَآلِـهِ وَكُـلِّ الـذِيْ مَـنْ هُـو لِلْحَـقِّ تَـابِعُ

---

(١) هذا البيت ورد في الأصل مكرّرا.

القصيدة التاسعة (من البحر المتقارب) :

وعنه في "نعوت الأخلاق المُرْضية"

لَـكَ الفَـوْزُ لَكِـنْ بِخُلْـقٍ كَمُـلْ ... تَقَلَّـدَ عِقْـداً بِحُسْـنِ العَمَـلْ

تَغَشَّـى بِسِـتْرِ الحَيَـا لابِسـاً ... شِـعَارَ الصَّـلاحِ بِـتَرْكِ الزَّلَـلْ

صَـدُوْقَ اللِّسَـانِ قَلِيْـلَ الكَـلامِ ... قَلِيْـلَ الفُضُـوْلِ بِقُـبْحِ الهَـزَلْ

وَصُـوْلاً وَقُـوْراً رَفِـيْضَ الأَذَى ... شَـكُوْراً صَـبُوْراً إِذَا الخَطْـبُ جَـلّ

وَبَـرّاً رَفِيْقـاً عَفِيْفـاً شَـفِيْقاً ... حَلِـيْماً رَضِـيّاً بِـمَا قَـدْ نَـزَلْ

هَشُوْشـاً بَشُوْشـاً نَزِيْهـاً عَـنِ ... النَّمِيْمَـةِ أَوْ غِيْبَـةٍ تُبْتَـذَلْ (١)

جَنِيْبـاً لِحِقْـدٍ وَسَـبٍّ وَلَعْـنٍ ... وَبُخْـلٍ وَمِـنْ حَسَـدٍ أَوْ عَجَـلْ

تُحِـبُّ وَتُـبْغِضُ فِي اللهِ حَقّـاً ... وَتَـرْضَى وَتَغْضَـبُ لا فِي مَهَـلْ

وَأَدْنَـاهُ قِيْـلَ احْـتِمَالُ الأَذَى ... وَتَـرْكُ مُكَافَـاةِ مَـنْ فِيْـكَ زَلّ

وَشُـغْلُكَ بِـالنَّفْسِ عَـنْ عَيْـبِ مَـنْ ... سِـوَاكَ وَهَـذَا بِـهِ قَـدْ كَمُـلْ

وَعُنْـوَانُ سِرِّ التُّقَـى رَفْـضُ مَـا ... بِـدُنْيَاكَ زُهْـداً بِقَـصْرِ الأَمَـلْ

---

(١) (هَشُوْشاً) رجل هشّ وهشيش : بشٌّ مهتر (خفيف) مسرور (لسان العرب ، مادة هشش).

القصيدة العاشرة (من البحر الرجز) :

وقال – رحمه اللهُ – منظومة أسردها بسلك النظام؛ تنبيها لمن استبدل عن اليقظة بالمنام، واستغرق وقته فيه بالليالي والأيام؛ مستلذا بما يطوف عليه به من خيال وأحلام، وقد نبهنا على منافعه ومضاره على أقسام، وذكرنا ما يستحب فيه من اليقظة للأنام؛ للتجرد والتشمير للعمل، قبل فلول شمس الأجل ، والحمد لله على نعمة الإسلام:

قُلْتُ وَقَوْلِيْ قَدْ عَرَى مِنَ الزَّلَلْ وَعِلَلِ المَيْنِ وَهَذيَانِ الهَزلْ (١)

مَنْ أَلِفَ النَّوْمَ تَرَدَّى بِالكَسَلْ فَكَمْ بِهِ مُسْتَبْسِلٌ مَنْ قَدْ بَسَلْ (٢)

وَيُوْرِثُ البَّخْرَ وَأَدْوَاءَ السَّبَلْ مُخَدِّرُ الأَعْضَا كَتَخْدِيْرِ الشَّلَلْ (٣)

---

(١) (المين) الكذب (لسان العرب ، مادة مان).

(٢)- (مستبسل) من يوطن نفسه على الموت والضرب، أو بمعنى (استقتل) وهو من يطرح نفسه في الحرب يريد أن يَقتِل أو يُقتَل لا محالة (لسان العرب ، مادة بسل).

- (بسل) يعني الشدة والشجاعة (لسان العرب ، مادة بسل).

(٣)- (البخر) : الرائحة المتغيرة في الفم ، أو هي كل رائحة سطعت من نتن أو غيره (لسان العرب ، مادة بخر).

- (السَّبَل) : داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر (لسان العرب ، مادة سبل).

وَقَاطِعُ التَّجْرِيْدِ عَنْ جِدِّ العَمَلْ ... مُفَوِّتٌ آمَالَ كِلِّ ذِيْ (مَلَلْ) (١)

وَهُوَ أَخُوْ المَوْتِ وَمِضْمَارُ العِلَلْ ... وَعُمُرُ النَّائِمِ يَمْضِيْ فِي عَجَلْ

فَكَمْ فَتَىً ذِمْراً بِأَسْرِهِ انْخَذَلْ ... وَبَدَّلَ الأَمْنَ عَلَيْهِ بِالوَجَلْ (٢)

لَوْ كَانَ كَالبَدْرِ بِهِ النُّوْرُ كَمُلْ ... إِنْ أَدْمَنَ النَّوْمَ كَأَنَّهُ أَفَلْ

يَغْشَى ضِيَا الوَجْهِ ضَلالاً كَالطِّفْلْ ... لَوْ كَانَ بِالنَّوْمِ مَعَاشٌ ذُوْ نَهَلْ (٣)

أَوْضَحَهُ الوَحْيُ بِمَا مِنْهُ نَزَلْ ... عَلَى نَبِيِّنَا مِنَ اللهِ الأَجَلّ(٤)

فَلَيْسَ فِيْهِ مِنْ صَلاحٍ يُحْتَمَلْ ... إِلا لِعَامِلٍ تَغَشَّاهُ المَلَلْ

---

(١) (ملل) هكذا وردت في الأصل، ولعله سهو من النساخ ؛ فالأنسق أن تكون (أمل).

(٢) (ذمر) : شجاع (لسان العرب ، مادة ذمر).

(٣) (الطِّفْل) : الليل (لسان العرب ، مادة طفل).

(٤) (أوضحه الوحي ...) جواب (لو) الشرطية الواردة في البيت السابق.

وَحُكَمَا الطِّبِ مَقَالُهُمْ شَمِلْ ... مَا مِنْهُ مَحْمُوْدٌ وَمَا مِنْهُ الثَّمَلْ (١)

مَنْ نَامَ سَاعَةَ المَقِيْلِ يَجْتَذِلْ ... بِالصَّيْفِ تَخْصِيْصاً بِهِ لِمَنْ عَقَلْ (٢)

وَسِتُّ سَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ اتَّصَلْ ... إِلَى ثَمَانٍ لا يَزِدْ مَنِ امْتَثَلْ

وَبِالغَدَاةِ يُطْبِقُ السُّقْمُ وَهَلْ ... مِنْ صِحَّةٍ إِلا بِهَا الرِّزْقُ انْبَتَلْ

وَبِالرَّوَاحِ دَا الجُنُوْنِ وَالخَبَلْ ... أَوْ نَامَ مَا بَيْنَ العِشَائَيْنِ غَفَلْ (٣)

---

(١) (الثَّمَل) : المقام والخَفْض (الدّعة في العيش)، ومن معانيه : الملجأ والغيث (لسان العرب، مادة ثمل)، ويُحتمل في (ما) أن تكون نافية أو موصولة ، وعلى الأول فالنوم لا يُحمد فيه شيء ولا يُلْجأ إليه ، وهذا المعنى تأكيد لما ذُكِر في البيت السابق (فَلَيْسَ فِيْهِ مِنْ صَلاحٍ يُحْتَمَلْ)، والذي حَمَل الشاعر على هذا النفي شدة إنكاره على من أَلِف النوم كما يتضح في الأبيات السابقة، وعلى الثاني - وهو الأقرب - فالمعنى أن حكماء الطب قد فصّلوا قولهم في النوم بنوعيه : ما كان منه قليل (وهو المحمود) الذي سيرد ذكره في الأبيات التالية ، وما كان منه كثير مذموم صادر عن دَعَة وهو (الثَّمَل) وقد سبق الحديث عنه فيما مضى من أبيات.

(٢) (يجتذل) : يبتهج (لسان العرب ، مادة جذل).

(٣)- (دا) يريد (داء) فحذف الهمزة لمراعاة الوزن.

- (الخَبَل) : الجنون أو شبهه (لسان العرب ، مادة خبل).

فصل

أَمْ حَسِبَ المَرْءُ بِتَرْكِهِ هُمِلْ ... سِيَّانَ فِي دُنْيَاهُ جَارَ أَوْ عَدَلْ

فَإِنَّمَا وَرَاءَهُ أَمْرٌ جَلَلْ ... أَثْقَلُ مِنْ حِمْلِ السَّمَاءِ وَالقُلَلْ (١)

يَنْهَدُّ مِنْ أَهْوَالِهِ أَرْسَى جَبَلْ ... وَيَصْعَقُ الأَلْبَابَ بِانْقِضَا الأَجَلْ

إِلا عَلَى عَبْدٍ عَنِ الدُّنْيَا اعْتَزَلْ ... وَقَيَّدَ النَّفْسَ بِتَقْصِيرِ الأَمَلْ

وَذَابَ مِنْ خَوْفِ الإِلَهِ وَازْدَمَلْ ... وَاحْتَالَ فِي نَجَاتِهِ كُلَّ الحِيَلْ (٢)

فَهَذِهِ الدُّنْيَا تَقَضِّيهَا دُوَلْ ... وَالنَّاسُ أَطْوَارٌ فَمَنْ كَانَ ابْتَهَلْ

مُرَاقِباً فِي اللهِ مَا دَقَّ وَجَلَّ ... أَسَاغَ كَأْسَ الحُبِّ صِرْفاً بِالعَلَلْ (٣)

---

(١) (القُلل) : جمع قُلَّة وهي أعلى الجبل (لسان العرب ، مادة قلل)، وهنا يريد الجبل عموما وهو من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) (ازدمل) : احتمل الشيء كلّه مرّة واحدة (لسان العرب ، مادة زمل).

(٣) (العَلَل) الشُّرب تباعا (لسان العرب ، مادة علل).

قَـــدْ ضَرَبَ اللهُ لِنُـــوْرِهِ المَثَـــلْ فَهُـــوَ الهُـــدَى مِصْـــبَاحُهُ إِنِ اشْـــتَعَلْ
يُـــوْقِظُ وَسْـــنَانَ القُلُـــوْبِ بِالعَمَـــلْ وَيُخْـــرِجُ الـــدَّاءَ الـــدَّفِيْنَ وَالـــدَّغَلْ (١)
فَجَـــرِّدِ العَـــزْمَ وَدَعْ عَنْـــكَ الفَشَـــلْ مُشَـــمِّراً كَالقِـــدْحِ غَـــيْرَ ذِيْ مَيَـــلْ (٢)
وَصَـــايِرِ الـــدَّهْرَ وَحَـــاذِرِ الزَّلَـــلْ وَاعْتَـــدَّ لِلـــزَّادِ بِأَيَّـــامِ المَهَـــلْ (٣)
وَالزَمْ أَدَا المَفْـرُوْضِ مِـنْ غَـيْرِ خَلَـلْ فَالـــدِّيْنُ لا يُقْبَـــلُ إِلا إِنْ كَمُـــلْ

---

(١) (الدَّغَل) : الفساد، الحقد المكتتم (لسان العرب ، مادة دغل).

(٢) - (القِدْح) السهم قبل أن يُنَصَّل ويُراش أو هو العود إذا بلغ فشُذِّب عنه الغُصْن وقُطِع على مقدار النّبل الذي يراد من الطول والقصر (لسان العرب ، مادة قدح).

- (مَيَل) بفتح الياء : العدول خِلْقَة ، أما بسكونها فهو العدول حادثا(لسان العرب، مادة ميل)، والمعنى الأول هو المراد؛ فهو يحثّ المرء على أن يكون مستقيما بخلقته وطبيعته كالسهم لا اعوجاج فيه، وفي ذلك يقول العلامة ابن النضر - رحمه الله - في لاميته واصفا المعرض عن الدنيا إلى الآخرة :

لم يلتفت منها إلى تمولِ ولا إلى حفظ ولا تمهلِ
إلا إلى دار وشيك أرحلِ مشمر كالقدح غير أميلِ

("مخطوط" : كتاب الشيخ أحمد بن النضر الدعائم واللامية المنسوبة إليه، ص١٧٦)

(٣) (اعتدّ) : اعتدّ الشيء : أحضره (لسان العرب ، مادة عدد).

القصيدة الحادية عشرة (من البحر الرمل) :

وله هذه المنظومة الغرامية * في ذكر الكأس من شمول العرفان المبلغ لمنزل الرضوان، قال :

أَنَدِيْمَ الحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَسْلُو ... زَفَرَاتٌ وَجْدُهُ بِالرُّوْحِ تَغْلُو (١)

أَيُّهَا التَّائِقُ فِي كَأْسِ الهَوَى ... فَانْتَهِلْهُ فَبِهَذَا اللَّيْلِ يَحْلُو

وَبِهِ الأَجْسَامُ صَارَتْ لِلْفَنَا ... قَدْ بَرَاهَا مِنْهُ إِنْهَالٌ وَعَلُّ

وَبِهِ الرُّوْحُ عَلَتْ فِي مَعْرَجٍ ... وَانْتَهَتْ فِي حَضْرَةٍ يُحْظِيْهَا وَصْلُ

وَبِهِ نَارُ الغَرَامِ أُجِّجَتْ ... فِي الحَشَا مَا الحُبُّ إِنْ جَرَّبتَ سَهْلُ

لَوْ تَكُنْ نَارُ العَذَابِ لَحَبَتَ ... وَالهَوَى نَارٌ بِهِ مَا عَنْهُ تَخْلُو

لَوْ تَرَى التَّعْذِيْبَ فِيْهِ قُلْتَ : آهِ ... وَاحَبِيْبِيْ فِي الهَوَى أَرْدَاهُ قَتْلُ

مُهْجَتِيْ ذُوْبِيْ عَلَيْهِ أَسَفاً ... وَاعْذُلِيْهِ عَلَّهُ يُجْدِيْهِ عَذْلُ

---

* أكثر المصطلحات الصوفية التي سترد في هذه القصيدة السلوكية قد سبق توضيحها في هامش القصيدة السلوكية السابقة التي مطلعها " أَسِيْرُ الحُبِّ يَنْحُوْ ".

(١) (تَغْلُو) غلا الشَّيءُ : زاد وارتفع وجاوز الحدّ، مأخوذ من: غلا السعر (لسان العرب ، مادة غلو).

أَيْـــمُ وَاللهِ وَلَـــوْ صَـــارَ رَثَـــىً ... مَـا لَـهُ عَـنْ قَتْلِـهِ فِي ذَاكَ سُـبْلُ (١)

مَـــنْ يَلُمْـــهُ فَلْيَـــذُقْ فِي نَهْلِـــهِ ... أَوْ يَـــذَرْهُ فَلِـــذَاكَ النَّهْـــلِ أَهْـــلُ

فَـــدِمَا العُشَّـــاقِ فِي شَرْعِ الهَـــوَى ... كُلُّهَـا فِي حُكْمِهِـمْ هَـدْرٌ وَطَـلُّ (٢)

بِنَهَـــارِ صَـــوْمِهِمْ حَـــلَّ لَهُـــمْ ... شُرْبُهُـمْ فِي وَطَـنٍ وَالحُكْـمُ عَـدْلُ (٣)

وَلَهُـــمْ فِي عَرَفَـــاتِ حَجِّهِـــمْ ... مُلْتَقَـى أَحْبَـابِهِمْ وَالـذَّبْحُ حِـلُّ (٤)

---

(١) (رَثىً) من رَثِيَ رَثْيا ورَثًى : أصابته الرَّثية (بسكون الثاء وكسرها)، وهي الضَّعْف والفتور(لسان العرب، مادة رثا).

(٢) (طَلّ) طَلَّ دم القتيل : هدر وبطل ، ولم يَثأر به ، ولم تؤخذ ديتهُ (لسان العرب ، مادة طلل).

(٣) (شُرْبُهُمْ) : (الشُّرْب) في الاصطلاح الصوفي : أوسط التجليات التي غايتها في كل مقام (التعريفات،ص ٢٧٥)

(٤) (حَجِّهِم) :(الحَجّ) في الاصطلاح الصوفي : " المقصود من الحج ليس رؤية البيت ، وإنما كشف المشاهدة " و" المشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء ، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شكّ " (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة حجّ - ومادة مشاهدة).

وَبِهَـــا حَلَّـــتْ صَـــلاةٌ قَطْعُهَـــا مِـنْ حَبِيْـبٍ مَـا بِـهِ يَسْـلَمُ عَقْـلُ(١)

إِنَّـــمَا يَعْـــذُبُ تَعْـــذِيْبِيْ بِـــمَا دُوْنَ نَارِ الهَجْرِ لَوْ بِالوَصْـلِ مَطْـلُ(٢)

عَـــذِّبُوا رُوْحِـــيْ تَـــرَوْنِيْ جَلِـــداً كَيْفَ لا وَالحُـبُّ بِالتَّعْـذِيْبِ يَبْلُـو(٣)

لَـوْ تَـرَى مِـنْ صَـعَقَاتٍ زَلْزَلَـتْ لِعُقُـوْلٍ قُلْـتَ فَالعُشَّـاقُ جُهَّـلُ(٤)

---

(١) (صَلاةٌ): (الصَّلاة) في الاصطلاح الصوفي :" التجريد من العلائق ، والتفريد بالحقائق، العلائق ما سوى الله ،والحقائق ما لله ومن الله " كما أن هذا المصطلح يرد لمعنيين آخرين : " أحدهما : تَلَهِّي النفس بالنظر والاستماع فيه. والآخر : يسكن فيه الجوارح وينقطع فيه اللهو ، ويمكن فيه الفهم ..." (موسوعةمصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة صلاة).

(٢) (مَطْلُ)مَطَلَ فلانا حقَّه وبحقِّه:أجّل موعد الوفاء به مرة بعد الأخرى(لسان العرب،مادة مطل).

(٣) (يَبْلُو) لعل السياق يلائمه أن يكون الفعل مبنيا للمجهول فيقال : (يُبْلَى) أي يُخْتبر صدق الحب بالتعذيب، لكن مراعاة لحرف الرّوي بني الفعل للمعلوم.

(٤)- (صَعَقَات) : (الصَّعْق) في الاصطلاح الصوفي : " الفناء عند التجلي " (التعريفات ، ص٢٨٠. و موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة صعق)، وتوضيحا لهذا التعريف فـ(الفناء) في الاصطلاح الصوفي هو : " رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك " (التعريفات ، ص ٢٧٤) أما (التجلي) فهو : " ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب " (التعريفات ، ص ٢٧٧).

- (جُهَّلُ) على وزن (فُعَّلٌ) إمّا لأنها صيغة مبالغة غير قياسية مثل (غُفَّلٌ) ، وإمّا لأنها صفة مشبّهة من (فَعِل) مثل (حُرّ) من (حَرِر).

وَبِجَمْعٍ مِنْ أُولِيْ الجَمْعِ بِهِ مَجْمَعٌ فِيْهِ لآيِ العِشْقِ يَتْلُوْ
إِنْ تَلَقَّى فَهْمَهَا العُشَّاقُ إِيْهِ كُلُّهُمْ مِنْ نَشْوَةِ المَفْهُوْمِ ثُمْلُ(١)
وَلَهُمْ مَشْعَرٌ فِيْهِ أُشْعِرَتْ (حُرُمَاتٌ) فِعْلُهَا فِي الشَّرْعِ حِلُّ(٢)
حَكَمُوا فِيْهَا حُدُوْداً عَفْوُهَا حَرَّمُوْهُ مَذْهَباً لَوْ فِيْهِ فَضْلُ(٣)

---

(١) (إِنْ تَلَقَّى فَهْمَهَا العُشَّاقُ إِيْه) : (إِيْه) اسم فعل أمر بمعنى "زدني من الحديث"، وجواب الشرط (إِنْ تَلَقَّى) محذوف تقديره (قالوا إِيْه)، وقد يتبادر إلى الذهن أن (إِيْه) في الأصل (آية) وأنها جاءت تمييزا للضمير في (فهمها) من قبيل الإضمار على نيّة التفسير ، لكن السياق لا يقتضي ذلك ، والأنسب ما ذكرته أولا ، والضمير في (فهمها) عائد إلى (آي العشق) في البيت السابق.

(٢)- (أُشْعِرَتْ) أَشْعِرَ الأمرَ : أذاعه (لسان العرب ، مادة شعر).

- (حُرُمَاتٌ) بالراء المهملة ، وفي الأصل(حُزُمَاتٌ) بالزاي المعجمة، ولعله سهو من النسّاخ

(٣)- (حُدُوْدا): (الحَدّ) في الاصطلاح الصوفي :" الفصل بينك وبينه " (التعريفات ، ص ٢٨٣ وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة حَدّ).

- (عَفْوُهَا) : (العَفْو) في الاصطلاح الصوفي :" أن يستحق حقّا فيسقطه ، ويبري عنه من قصاص أو غرامة " (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة عَفْو).

وَمُنَـــاهُمْ مُنْيَـــةُ البَسْـــطِ بِهَـــا لَكِنِ القَبْضُ انْفِصَـالٌ وَهْـوَ وَصْـلُ(١)
لَـوَ عَـلَى البَسْـطِ انْبِسَـاطٌ بَـلْ بِـهِ فِتْنَـــةٌ عَنْهَـــا أَلِيْـــفُ الوَجْـــدِ يَخْلُـــو
بَـلْ عَـلَى القَـبْضِ انْـدِكَاكُ دَوْرِهِـمْ بِنُفُـــوْسٍ قَادَهَـــا لِلْوَجْـــدِ ذُلُّ

---

(١)- (البَسْطِ) في الاصطلاح الصوفي : " القبض والبسط : حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء ، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن ، والفرق بينهما أن الخوف والرجاء متعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب ، والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي " (التعريفات ، ص ١٨٦)، وفي موضع آخر:" من يسع الأشياء ولا يسعه شيء، وقيل هو الرجاء ، وقيل : هو وارد بتوجيه إشارة إلى رحمة أو أنس " (التعريفات ، ص٢٧٤).

- (القَبْض) في الاصطلاح الصوفي (عُدْ إلى تعريف المصطلح السابق البسط) وفي موضع آخر:" حال الخوف في الوقت، وقيل : وارد يرد على القلب بتوجيه إشارة إلى عتاب وتأديب ، وقيل : أخذ وارد الوقت " (التعريفات، ص٢٧٤)، " وقال الجنيد - رحمه الله- في معنى القبض والبسط : يعني الخوف والرجاء ، فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية " (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة بسط - ومادة قبض).

- (انْفِصَال) : (الفَصْل) في الاصطلاح الصوفي :" قوّة ما ترجوه من محبوبك " (التعريفات، ص ٢٧٦).

- (وَصْل) : (الوَصْل) في الاصطلاح الصوفي :" إدراك الغائب " (التعريفات، ص ٢٧٩).

القصيدة الثانية عشرة (من البحر الطويل) :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا (ما قاله)(١) شيخنا العلامة قدوة أهل عمان راشد بن سيف بن سعيد اللمكي الرستاقي غفر الله ذنوبه في الثمان المسائل التي سألها شقيقٌ تلميذَه حاتمَ الأصم (٢) قد (تعلمها منه) (٣) في حال ما مضى لهما من الصحبة في مدة ثلاث وثلاثين سنة، وجدها نثرا فأسردها نظما، متضمنا لمعناها وبعض لفظها، فقال رحمه الله تعالى :

---

(١) في الأصل (بما قال به).

(٢) - (شقيق) هو شقيق بن إبراهيم، أبو علي الأزدي البلخي الزاهد، أحد شيوخ التصوّف، صاحب إبراهيم بن أدهم، له كلام في التوكل معروف، وروى عنه حاتم الأصم وغيره، وهو من أشهر مشايخ خراسان في التوكل، توفي سنة ١٩٤ هـ. (انظر: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٥)

- و(حاتم) هو حاتم بن عنوان الأصمّ الزاهد من أهل بلخ، له كلام عجيب في الزهد والوعظ والحكم، وكان يقال له لقمان هذه الأمة، وكان قد صحب شقيقا البلخي وتأدب بآدابه، توفي سنة ٢٣٧ هـ. (انظر: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٦)

(٣) في الأصل (تعلمه منها).

مقدّمة

أَلا بِيَـدِ التَّوْفِيْـقِ نَيْـلُ الفَضَـائِلِ ... كَمَا رَتَّبَ الأَعْمَالَ حَسْبَ القَوَابِلِ(١)

وَكَـمْ مُـبْرِمٍ أَمْـراً يُؤَمِّـلُ وَصْـلَهُ ... وَمَـا لَمْ يَكُـنْ حَـظٌّ فَلَـيْسَ بِوَاصِـلِ

وَمَـا عَمَـلٌ يَزْكُـوْ وَمَـا ثَـمَّ مُرْشِـدٌ ... وَهَـلْ ذُوْ رَشَـادٍ كَـالثَّمَانِ المَسَـائِلِ

أَجَـابَ شَـقِيْقاً حَـاتِمٌ مُنْبِئـاً بِهَـا ... وَمَـا ظَنُّـهُ إِلا بِهَـا غَـيْرَ جَاهِـلِ

المسألة الأولى قال :

فَقَـالَ نَظَـرْتُ الخَلْـقَ كُـلاً حَبِيْبُـهُ ... مُحِـبٌّ لَـهُ، مَـا المَـوْتُ لَـيْسَ بِنَـازِلِ

وَإِنِّي اتَّخَـذْتُ الصَّـالِحَاتِ أَحِبَّتِـيْ ... لِتَبْقَـى دَوَامـاً وَهـيَ خَـيْرُ الوَسَـائِلِ

المسألة الثانية

وَقَالَ نَظَرْتُ القَوْلَ مَنْ يَتْرُكُ الهَـوَى ... لَـهُ جَنَّـةُ المَـأْوَى وَأَسْـمَى المَعَاقِـلِ

فَجَاهَدْتُ نَفْسِيْ عَنْ هَوَاهَا لِفَوْزِهَـا ... بِتَخْلِيْـدِ تَنْعِـيْمٍ لَهَـا غَـيْرِ حَائِـلِ

---

(١) - (القوابل) : الأوائل، يقال : "أخذت الأمر بقوابله أي بأوائله" (لسان العرب، مادة قبل)

المسألة الثالثة

وَقَالَ نَظَرْتُ الخَلْقَ مَنْ كَانَ مَالِكاً ... لِشَيءٍ لَهُ قَدْرٌ رَفِيْعُ المَنَازِلِ

(فَضَنَّ)(١) بِهِ وَاللهُ أَنبَأَ كُلَّمَا ... مَعَ اللهِ بَاقٍ لَيْسَ يَوْماً بِزَائِلِ

فَوَجَّهْتُ مَا عِنْدِيْ إِلَيْهِ بِبَذْلِهِ ... لِيَبْقَى عَلَى التَّأْبِيدِ مِنْ كُلِّ حَاصِلِ

(المسألة) الرابعة

وَأَكْرَمُ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمُ كَذَا ... اتَّقَيْتُ لِكَيْ أَبْقَى كَرِيْمَ الشَّمَائِلِ

المسألة الخامسة

وَقَالَ نَظَرْتُ الخَلْقَ ذَا طَاعِنٌ لِذَا ... وَذَا حَاسِدٌ مِنْ أَصْلِهِ فِي الأَرَاذِلِ

بِـ "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ" صَارَ تَرْكِيَ التـ ... ـحَاسُدَ وَالعُدْوَانَ عَنْ كُلِّ فَاضِلِ

---

(١) في الأصل (فظن) والصواب بالضاد بمعنى بخل به.

المسألة السادسة

وَقَالَ نَظَرْتُ الخَلْقَ يَبْغُوْنَ بَيْنَهُمْ ... عَلَى البَعْضِ حَتَّى يَنْتَهِيْ بِالتَّقَاتُلِ
رَجَعْتُ لِقَوْلِ اللهِ أَنْ نَتَّخِذْ لَنَا ... شَيَاطِيْنَنَا أَعْدَا بِغَيْرِ تَغَافُلِ
فَعَادَيْتُهُمْ تَرْكاً لِعُدْوَانِ كُلِّ مَنْ ... سِوَاهُمْ وَهَذَا الفَضْلُ مِنْ حُكْمِ عَادِلِ

المسألة السابعة، فقال :

وَقَالَ نَظَرْتُ الخَلْقَ كُلاً بِمَطْلَبٍ ... يُذِلُّ لَهُ نَفْساً بِثُقْلِ الشَّوَاغِلِ
وُثُوْباً إِلَى الأَطْمَاعِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا ... وَلا يَتَوَقَّى عَنْهُ سُوْءَ المَدَاخِلِ (١)
عَلِمْتُ بِقَوْلِ اللهِ رَزَّاقِ كُلِّ مَنْ ... يَدِبُّ وَلَيْسَ اللهُ عَنِّيْ بِغَافِلِ

---

(١) الضمير في (عنه) عائد على (مطلب) في البيت السابق.

المسألة الثامنة، فقال

وَقَالَ نَظَرْتُ الخَلْقَ كُلاً تَوَكَّلُوا عَلَى حِرَفٍ شَتَّى جَرَتْ بِالتَّعَامُلِ
فَأَوْكَلْتُ أَمْرِيْ لِلإِلَهِ عَلَى الرِّضَى بِحُكْمِ القَضَا تَمَّتْ ثَمَانُ المَسَائِلِ

الخاتمة

فَمِنْ نُوْرِهَا شَمْسُ الهِدَايَةِ أَشْرَقَتْ وَمِنْ مُزْنِهَا وَدْقُ الحَيَا المُتَهَاطِلِ
كَأَنَّ عُلُوْمَ الوَحْيِ تَنْشُرُ طَيَّهَا بِمَا ضَمَّنَتْهُ مِنْ عُلُوْمِ الأَوَائِلِ
وَحَمْدِيْ لِرَبِّيْ وَالصَّلاةُ لِشَارِعِ الـ ـهِدَايَةِ مَعْ آلٍ وَأَهْلِ الفَضَائِلِ

تمت بحمد الله وعونه، وكان تمامها يوم ١٥ رجب سنة ١٣٣٥هـ على يدي العبد الحقير حماد بن خلفان بن حماد الشرياني بيده، في وقت محاصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي بلد الرستاق.

القصيدة الثالثة عشرة (من البحر الطويل) :

وله أيضا هذه المقطوعة الشعرية :

فَمَنْ يَوْمَهُ أَمْضَى وَلَمْ يَكُ قَدْ قَضَى ... حُقُوْقاً وَلا أَدَّى فُرُوْضاً بِهَا الْتَزَمْ

وَلا قَامَ فِي تَحْصِيْلِ حَمْدٍ مُؤَسِّساً ... لِخَيْرٍ وَلا مَجْدٍ أَثِيْلٍ بِهِ اغْتَنَمْ (١)

وَلا لِاقْتِبَاسِ العِلْمِ قَدْ عَقَّ يَوْمَهُ ... وَمَهْمَا خَلا عَنْهَا فَلِلنَّفْسِ قَدْ ظَلَمْ (٢)

---

(١) (أثِيل) : أصيل (لسان العرب ، مادة أثل).

(٢) (قد عقّ يومه) جواب الشرط الوارد في البيت الأول.

القصيدة الرابعة عشرة (من البحر الرجز) :

وعنه "نظما لبعض الحكم عن السلف الصالح أسردها في سلك عقود نظامه "

وَرَجُـــلٌ قَـــالَ لِـــبَعْضِ الحُكَـــمَا ... عِظْنِـــي فَقَـــالَ إِنْ غَضِـــبْتَ تَنْـــدَمَا

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ مَهْـــمَا إِنْ تَكُـــنْ ... هَـــوَاكَ قَـــدْ خَالَفْتَـــهُ فَتَسْـــلَمَا

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ فَاعْمَـــلْ صَـــالِحاً ... لِلـــنَّفْسِ قَبْـــلَ أَنْ تَصِـــيْرَ هَرِمَـــا(١)

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ فَاعْمَـــلْ بِالَّـــذِيْ ... فَقِهْـــتَ مِـــنْ رُشْـــدِكَ مِمَّـــا تَعْلَـــمَا

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ زِنْ نُطْقَـــكَ مَـــا ... تَقُوْلُـــهُ مِـــنْ قَبْـــلَ أَنْ تَكَلَّـــمَا

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ قَـــدِّمْ عَمَـــلاً ... زَاداً بَلاغـــاً قَبْـــلَ أَنْ تُقَـــدَّمَا (٢)

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ فَـــاحْفَظْ صِـــحَّةً ... لِلْجِسْـــمِ قَبْـــلَ أَنْ تَصِـــيْرَ مُسْـــقَمَا

فَقَـــالَ زِدْنِيْ قَـــالَ فَـــاخْرِجْ مَـــا انْطَـــوَى ... بِالْقَلْـــبِ مِـــنْ حُبِّـــكَ هَـــذَا الـــدِّرْهَمَا

رَصَّـــعْتُ ذَا الـــدُّرَّ عُقُـــوْداً نُوْرُهَـــا ... يَكْشِـــفُ جَهْلَـــكَ البَهِـــيْمَ المُظْلِـــمَا

خُـــذْهَا دَلِـــيْلاً لِلْهُـــدَى وَهَـــلْ تَـــرَى ... عِقْـــدَ لآلٍ كَاشِـــفاً دَاءَ العَمَـــى؟!

مَـــا إِنْ بِعِقْـــدٍ مِـــنْ لآلٍ رَوْنَـــقٌ ... وَعِقْـــدُ ذَا الـــدُّرِّ كَبَـــدْرٍ فِي سَـــمَا (٣)

---

(١) هكذا وجدت الشطر الثاني في الأصل، وذكر لي الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي أنه يروى " تنج به واسلك طريقا أقوما".

(٢) (بلاغا) : ما يُتوصّل به إلى الشيء المطلوب (لسان العرب ، مادة بلغ).

(٣) (مَا إِنْ) (ما) نافية ، و(إِنْ) زائدة.

القصيدة الخامسة عشرة (من البحر الطويل) :

منظومة السلك المنظوم فيما اقتضاه المقدر المعلوم من القضاء المحتوم

صَمَدتُ لِذِي (النُّعْمَى) لِيَكْشِفَ مَا بِيَهْ ... وَيَسْلِبَ عَنِّيْ هَوْلَ مَا قَدْ رَزَانِيَهْ (١)

رَمَتْنِيْ صُرُوْفُ الدَّهْرِ مِنْهَا بِأَسْهُمٍ ... فَلَمْ يَكُ عَنْهَا لِيْ مِنَ اللهِ وَاقِيَهْ

وَلَوْ أَنَّ مَا بِيْ حَلَّ بِالشُّمِ بُسَّتِ انْـ ... ـدِكَاكاً وَلا تَبْقَى عَلَى الأَرْضِ بَاقِيَهْ (٢)

كَذَا لَوْ غَشَا أَرْجَا السَّمَاءِ تَشَقَّقَتْ ... وَمَارَتْ فَمَا تُلْفَى إِذاً غَيْرَ وَاهِيَهْ (٣)

وَبِالأَرْضِ لَوْ مَا بِيْ مِنَ الخَطْبِ زُلْزِلَتْ ... وَمَادَتْ كَيَوْمِ الصَّعْقِ تُصْبِحُ خَاوِيَهْ (٤)

فَقَدْ عَصَفَتْ رِيْحُ الخُطُوْبِ وَهَدَّمَتْ ... قَوَاعِدَ أَرْكَانٍ مِنَ الدِّيْنِ رَاسِيَهْ

بِفَقْدِ مَصَابِيْحِ الهُدَى اعْلَنْكَسَ الدُّجَى ... وَأَمْوَاجُ تَيَّارِ الرَّدَى مُتَوَالِيَهْ (٥)

فَمَهْمَا بُحُوْرُ العِلْمِ غَاضَتْ فَهَلْ تَرَى ... جَوَاهِرَ مِنْهَا إِنْ تَكُنْ غَيْرَ طَامِيَهْ (٦)

---

(١) (النُّعْمَى) في الأصل كتبت بألف ممدودة أو أنه أراد (نَعْمَاء) فحذف الهمزة مراعاة للوزن.

(٢) (بُسَّتِ) : فُتّتت فصارت أرضا (لسان العرب ، مادة بسس).

(٣) (مَارَتْ) : مار : تحرك أو اضطر ، أو جعل يجيء ويذهب (لسان العرب ، مادة مار).

(٤) (مَادَتْ) : ماد : اهتز (لسان العرب ، مادة مأد).

(٥) (اعْلَنْكَسَ) : اشتدّ سواده (لسان العرب ، مادة علكس).

(٦) - (غَاضَتْ) : نضبت أي ذهبت في الأرض (لسان العرب ، مادة غيض).

- (طَامِيَهْ) : طَمَا الشيءُ : ارتفع وطال وعلا (لسان العرب، مادة طمو) والمعنى السياقي الظهور والبروز.

وَلَمَّا سَمَاءُ المَجْدِ بِالخَطْبِ فَرَّجَتْ ... فَهَلْ لِلْهُدَى شَمْسٌ بِهِ ثَمَّ جَارِيَةْ

وَمَا شَجَرَةُ الإِيْمَانِ إِلا كَأَنَّهَا ... هَشِيْمٌ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الجَدْبِ بَالِيَةْ

وَمَا شِرْعَةُ الإِسْلامِ إِلا كَأَنَّهَا ... هَيَاكِلُ أَجْسَامٍ مِنَ الرُّوْحِ خَالِيَةْ

وَمَا شِيَمُ الأَحْرَارِ إِلا كَمُزْنَةٍ ... عَلَى الجَوِّ هَبَّتْهَا عَوَاصِفُ عَاتِيَةْ (١)

وَمَا لِحَمِيَّاتِ الرِّجَالِ مَوَاسِماً ... وَمَا رَوْضُهَا إِلا بَلاقِعُ هَاوِيَةْ (٢)

إِذَا سِيْمَ خَسْفاً مَنْصِبُ العَدْلِ هَلْ تَرَى ... مَعَالِمَ مِنْهَاجِ الرَّشَادِ عَلانِيَةْ؟(٣)

أَبَاحُوْا الدِّمَا بَغْياً وَظَلَّتْ كَأَنَّهَا ... دِمَا نُسُكٍ فِي دِيْنِهِمْ مُتَسَاوِيَةْ

كَذَا انْتَهَبُوْا الأَمْوَالَ ظُلْماً كَأَنَّهَا ... مَغَانِمُ عَدُّوْهَا مِنَ الفَيْءِ صَافِيَةْ

وَإِنَّ مَوَاثِيْقَ العُهُوْدِ كَأَنَّهَا ... أَسَاسُ بِنَا لَكِنْ يُهَدِّمُ عَالِيَةْ

وَقَدْ حَادَدُوْا شَرْعَ الهُدَى فَكَأَنَّهُمْ ... مَعَاشِرُ مِنْ أَهْلِ اليَمَامَةِ صَابِيَةْ

فَمَا غَادِرٌ إِلا بِهِ الدَّهْرُ غَادِرٌ ... لِتَجْرِيْدِ سَيْفِ البَغْيِ يَصْرَعُ بَاغِيَةْ

---

(١) (مُزْنَة) : سحابة (لسان العرب ، مادة مزن).

(٢)- (حَمِيَّاتِ) جمع حَمِيَّة : وهي الأَنَفَة (لسان العرب ، مادة حما)، و(مَا) الأولى أفادت الاستفهام الإنكاري.

- (بَلاقِع) جمع بلقع وبلقعة ، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها (لسان العرب ، مادة بلقع).

(٣) (سِيْمَ خَسْفاً) : أُهين وأُلِي الذلّ والهوان (لسان العرب ، مادة سيم - خسف).

وَمَـا غَـارِسٌ مُـرًّا يُرَجِّـي اجْتِنَـاءَهُ ... سِوَى غَرْسُهُ - لَوْ مُدَّ دَهْراً- أَمَانِيَـهْ (١)

يَـرَى خَـابِطُ العَشْـوَا عَوَاقِـبَ أَمْـرِهِ ... أَيَـادِيْ سَـبَا لَـوْ لَمْ يُعَاجَـلْ بِقَاضِـيَهْ (٢)

أَرَى النَّاسَ فِي دَهْرِيْ يُسِيْغُوْنَ مَـنْهَلاً ... أُجَاجاً كَمَاءِ اليَمِّ لا يَـرْوِي صَـادِيَهْ (٣)

أُصِـيْبُوْا وَلَمَّـا يَشْـعُرُوْا بِمُصَـابِهِمْ ... كَأَعْمَـهَ لا يَـدْرِيْ المَتَـالِفَ مَاهِيَـهْ (٤)

مَـنِ اغْـتَرَّ بِاسْـتِدْرَاجِهِ ظَـلَّ عَيْشُـهُ ... كَأَكْمَهَ لَمْ يُبْصِـرْ مِـنَ الـوِرْدِ صَـافِيَهْ (٥)

وَمَنْ يَأْمَـلِ الـدُّنْيَا مَقَـرّاً كَمَـنْ رَجَـا ... عَـلَى المَـوْجِ يَبْنِـيْ مِـنَ مَصَـانِعَ سَـامِيَهْ

فَمَـنْ سُرَّ يَوْمـاً سَـاءَهُ الـدَّهْرُ بُرْهَـةً ... فَكَيْـفَ وَمَـا تِلْـكَ المَسَـرَّاتُ وَافِيَـهْ؟

---

(١) التركيب يقتضي أن ترد (أَنْ) المصدرية بعد (سوى).

(٢) - (خَابِطُ العَشْوَا) من قولهم : (خَبْطُ عَشْوَاء) وأصله الناقة التي في بصرها ضَعْفٌ ، فتخبط إذا مشت لا تتوقّى شيئا ، فاستُعِير في الرجل إذا ركب ما ركب بجهالة (لسان العرب، مادة خبط) .

- (أَيَادِيْ سَبَا) كناية عن التفرّق في كلّ وجه.

(٣)- (مَنْهَلا أُجَاجاً) : موردا مالحا (لسان العرب ، مادة نهل - أجج).

- (صَادِيَهْ) : الصادي : العطشان بشدة (لسان العرب ، مادة صدي).

(٤) (أَعْمَهَ) متحيّر متردّد (لسان العرب ، مادة عمه).

(٥) (أَكْمَه) في معناه خلاف دقيق ، والمعنى الذي يقتضيه السياق : هو الذي تلده أمّه أعمى (لسان العرب ، مادة كمه).

وَمَنْ كَانَ مَأْسُوْرَ الهَوَى مَا لِغَيِّهِ ... انْتِهَاءٌ وَلَوْ أُرْدَيْ بِتَسْلِيْطِ دَاهِيَةْ

يَشُقُّ العَصَى لا يَنْثَنِيْ عَنْ هَوَائِهِ ... كَنَشْوَانِ صَهْبَا مَا بِهِ النَّفْسُ صَاحِيَةْ (١)

وَقَدْ أَوْضَحَ الإِسْنَادُ أَنَّ أَدِلَّةَ اقْـ ... ـتِرَابِ انْقِضَا الدُّنْيَا المَنَاكِرُ فَاشِيَةْ (٢)

وَمَا العِلْمُ إِلا فِي الصَّغَارِ وَذُو الوَلا ... عَلَى المُلْكِ أَشْرَارٌ عَلَى الغَيِّ جَاثِيَةْ

وَقَالَ سَيَأْتِيْ مَنْ عَلَى الدِّيْنِ قَابِضٌ ... كَقَابِضِ جَمْرِ النَّارِ فِي كُلِّ نَاحِيَةْ

يَوَدُّ أَخُو المَقْبُوْرِ لَوْ كَانَ مُلْحَداً ... مَكَانَ أَخِيْهِ مِنْ شَدَائِدَ آتِيَةْ (٣)

وَقَالَ ابْتِدَاءُ الدِّيْنِ فِي غُرْبَةٍ وَقَدْ ... يَعُوْدُ غَرِيْباً مِثْلَ مَا كَانَ ثَانِيَةْ

وَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ غُنَيْمَةٌ ... تَفِرُّ بِأَعْلَى الشُّمِّ بِالدِّيْنِ نَاجِيَةْ (٤)

---

(١)- (هَوائِه) يريد : هواه

- (صَهْبَا) أصلها : (صهباء) وهي الخمر ، وسميت بذلك للونها ، الصُّهْبَة هي الشُّقْرة (لسان العرب ، مادة صهب).

(٢) (المَنَاكِرُ فَاشِيَة) جملة اسمية وقعت خبرا لـ (أنّ).

(٣) (مُلْحَداً) من لحدت الميّت وألحدته فهو مُلْحَد.

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه الإمام الربيع (وغيره) في مسنده عن أبي عبيدة عن جابربن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شَعَفَ الجبال ، ومواضع المطر ، يفرّ بدينه من الفتنة) قال الربيع : شعف الجبال : رؤوسها(الجامع الصحيح ، رقم (٧٦)، ص ٤٩)

زَمَانٌ بِهِ فَاضَ اللِّئَامُ وَغَاصَتِ الـ ... ـكِرَامُ بِبَطْنِ الأَرْضِ بِالمَوْتِ فَانِيَةْ

فَيَرْفَعُ جِبْرِيْلُ الأَمَانَةَ وَالحَيَا ... تَطِيْرُ بِهِ العَنْقَاءُ مِنْ كُلِّ غَانِيَةْ (١)

ولَمْ يَبْقَ فِي ذِيْ الفَقْرِ صَبْرٌ وَلا سَخَا ... بِمَالٍ يُرَى مِنْ ذِيْ الغِنَى وَالرَّفَاهِيَةْ

وَلا بِوُلاةِ الأَمْرِ عَدْلٌ وَلا مِنَ الـ ... ـرِّجَالِ حَمِيَّاتُ حِمَى الدِّيْنِ حَامِيَةْ

وَلا وَرَعٌ مِنْ أَهْلِ عِلْمٍ وَلا اهْتِدَا ... بِأَنْوَارِ قُرْآنٍ لِمَنْ كَانَ تَالِيَهْ

وَلا بَرَكَاتُ الأَرْضِ فِي كُلِّ مَا بِهَا ... وَلا مُؤْمِنٌ فِيْهَا يُوَحِّدُ هَادِيَهْ

عَلَى إِثْرِ ذَا يُقْضَى بِإِيْقَاعِ نَفْخَةٍ ... تُرَى الأَرْضُ مَا فِيْهَا بِهَا مُتَلاشِيَةْ

فَهَذَا زَمَانٌ كَمْ بِهِ مِنْ أَدِلَّةٍ ... بِبُرْهَانِ مَا الإِسْنَادُ عَنْهَا هَدَانِيَهْ

---

(١) (العَنْقَاء) اسم طائر مجهول، ويضرب به المثل في الهلاك، فيقال: طارت به العنقاء (جمهرة الأمثال، ج٢، ص ١٦).

فَسُحِّيْ عَلَيْنَا هَاتِنَ المُزْنِ رَحْمَةً ... بِسَائِحِهَا يَنْزَاحُ بَارِجُ غَاشِيَةْ (١)

إِلَهِي اهْدِنَا نَهْجَ الرَّشَادِ بِعِصْمَةٍ ... تَقِينَا غَوَاشِي البَغْيِ مِنْ كُلِّ طَاغِيَةْ

لَكَ الحَمْدُ رَبِّيْ وَالصَّلاةُ لِمَنْ بِهِ ... عَلَتْ رُتَبُ الإِسْلامِ وَاعْطِفْ سَلامِيَهْ

كَذَا آلُهُ الأَطْهَارُ مَعْ صَحْبِهِ وَمَنْ ... عَلَى هَدْيِهِمْ أَسْبِلْ عَلَيْهِمْ صَلاتِيَهْ

---

(١) -(سُحِّيْ) : سَحَّ : سال من فوق واشتدّ انصبابه (لسان العرب ، مادة سحح).

- (هَاتِن) هَتَنَت السَّمَاء : صَبَّت ، وقيل : هو من المطر فوق الهطل (الهطل: تتابع المطر وسيلانه) (لسان العرب ، مادة هتن).

- (سَائِحِهَا) السّائح : الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض (لسان العرب ، مادة ساح).

- (بَارِج) كل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ ؛ وإنّما قيل للبروج : بُرُوج لظهورها وبيانها واتّساعها (لسان العرب ، مادة برج).

ثانيا : المنظومة الفقهية :

جواب نظمي عن سؤال وارد من زهران بن زاهر بن سعيد*

السؤال :

أَرُوْمُ جَوَاباً مِنْ فَتَىً صَارِمِ الحَدِّ ... يَجُذُّ رِقَابَ الجَهْلِ مِنْ طَالِبِ الرُّشْدِ

فَمَنْ قَدْ نَهَى زَوْجاً لَهُ عَنْ بَذَاذَةٍ ... وَقُبْحِ فِعَالٍ أَوْ مَقَالٍ لَهُ يُبْدِيْ (١)

ولَمْ تَنْتَهِ بِالهَدِّ هَلْ جَازَ ضَرْبُهَا ... بِجَلْدٍ وَجِيْعٍ كَانَ يُحْصَرُ بِالعَدِّ (٢)

أَيَلْزَمُهُ يَا سَيِّدِيْ بَعْدَ نَهْيِهِ ... ضَمَانٌ إِذَا لَمْ يَنْتَهِ مَائِسُ القَدِّ؟(٣)

وَمَا قِيْلَ سُلْطَانٌ عَلَيْهَا فَهَلْ تَرَى ... يَكُوْنُ لَهُ مَا لِلإِمَامِ مِنَ الحَدِّ؟

أَفِدْنِيْ بِمَا (قَدْ) قِيْلَ فِيْهِ وَمَا تَرَى ... عَسَى المَلِكُ العَلامُ يَهْدِيْكَ لِلرُّشْدِ (٤)

---

* لعله زهران بن زاهر بن سعيدالهنائي ناظم للشعر، عاش في القرن ١٤ هـ، تتلمذ على يد الشيخ ماجد بن خميس العبري، وله أسئلة نظمية. (معجم شعراء الإباضية، ص ١١٧)

(١) (بَذَاذَةٍ) بَذِذْتَ تَبَذُّ بَذاذاً وبُذُوْذَةً : رثّت هيئتُك وساءت حالتُك (لسان العرب ، مادة بذذ).

(٢) - (الهَدّ) : الصوت الغليظ (لسان العرب ، مادة هدد).

- (وَجِيْع) أي مُوجِع ، كأليم مُؤلِم (لسان العرب ، مادة وجع).

(٣)- (مَائِسُ القَدِّ) مائس : متبختر ومختال ، والقدّ : قامة الجسم ، والتركيب الإضافي كناية عن موصوف هو المرأة (لسان العرب ، مادة ماس وقدد).

(٤) ما بين القوسين إضافة ليستقيم الوزن.

الجواب :

أَصِخْ لِجَوَابِيْ فَهْوَ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِّ ... وَتِرْيَاقُهُ أَحْلَى لِذَا الجَهْلِ وَالجَهْدِ (١)

كَكَأْسٍ لَهُ طَفْحٌ فَعُلَّ مَسَاغُهُ ... فَنَشْوَتُهُ صَحْوٌ يُرَقِّيْ ذُرَى المَجْدِ(٢)

لَهُ لَمَعَانٌ مَا سَنَا الشَّمْسِ إِذْ بِهِ ... تَجَلَّتْ بَرَاهِيْنُ الحَقَائِقِ لِلرُّشْدِ(٣)

فَقَدْ نُصَّ فَالتَّزْوِيْجُ نَوْعُ تَمَلُّكٍ ... وَلِلزَّوْجِ فِي ذَاكَ احْتِسَابٌ عَلَى الجَهْدِ

وَقَدْ شَبَّهُوْهُ بِالرَّئِيْسِ لِقَوْمِهِ ... وَلَيْسَ لَهُ مِثْلُ الإِمَامِ مِنَ الحَدِّ

يُطَالَبُ بِالإِنْصَافِ شَرْعاً لِمَا ادَّعَى ... عَلَيْهَا إِذَا مَا أَنْكَرَتْهُ عَلَى الجَحْدِ

---

(١) - (الشَّهْدّ) بفتح الشين وضمّها : العسل ما دام لم يُعصَر من شمعه ، واحدته شَهْدَة وشُهْدَة ، ويُكَسَّر على (الشِّهَادة) (لسان العرب ، مادة شهد).

- (تِرْيَاقُه) التِرياق بكسر التاء (تِفْعال أو فِعْيال) فارسي معرّب ، هو دواء السموم ، وما يُستعمل لدفع السّم من الأدوية والمعاجين ، والعرب تسمّي الخمر تِرْياقا وتِرْياقة ؛ لأنها تذهب بالسّم (لسان العرب ، مادة ترق - مادة ريق).

(٢) - (طَفْح) طَفَح الإناء والنهر : امتلأ وارتفع حتى يفيض (لسان العرب ، مادة طفح).

- (عَلّ) أو عَلَل : الشرب بعد الشرب (لسان العرب، مادة علل).

(٣) (مَا سَنَا الشَّمْسِ)لعلها (مِنْ سَنَا الشَّمْسِ) ، أو لإرادة التفخيم والتعجب من بريق لمعان الكأس إذا ما قُورِن بسناء الشمس .

وَقَدْ نُصَّ بِالتَّنْزِيلِ بِالعَدْلِ إِذْ لَهَا ... مِنَ الحَقِّ مِثْلَ الحَقِّ مِنْهَا عَلَى الضِّدِّ (١)

فَلَسْتُ أَرَى فِي الضَّرْبِ لِلزَّوْجِ مَهْيَعاً ... لِزَوْجَتِهِ إِذْ يَكْتَفِي عَنْهُ بِالهَدِّ (٢)

فَمَهْمَا انْتَهَتْ طَابَتْ وَإِنْ قَدْ أَبَتْ فَمَا ... أُحِبُّ لَهُ إِلا التَّغَاضِيْ عَنِ الشَّدِّ

وَإِنْ ضَاقَ ذَرْعاً قِيْلَ بَالحَبْسِ مَنْعُهَا ... بِمَنْزِلِهِ صَوْناً وَيُظْهِرُ لِلْحِقْدِ

وَمَنْ كَانَ تُجْدِيهِ النَّصَائِحُ شَتْمُهُ ... مُخِلٌّ لِتَأْلِيفِ البُعُوْلَةِ لِلْوُدِّ

وَلَيْسَ لَهُ تَكْلِيفُهَا؛ غَيْرُ وَاجِبٍ ... عَلَيْهَا لَهُ شَرْعاً بِشَائِبَةِ الكَدِّ

وَقَدْ نُصَّ ضَرْبٌ بِالكِتَابِ مُخَصَّصٌ ... إِذَا (نَشَزَتْ) عَنْهُ وَحَامَتْ عَلَى بُعْدِ(٣)

وَذَلِكَ بَعْدَ الهَجْرِ مِنْهُ بِمَضْجَعٍ ... لِتَنْقَادَ طَوْعاً لِلتَّلامُسِ فِي وَجْدِ (٤)

وَقَدْ شَاعَ خُلْفٌ قِيْلَ غَيْرُ مُبَرِّحٍ ... وَقِيْلَ بِلا أَثَرٍ يَصِيْرُ عَلَى الجِلْدِ

وَبَعْضٌ هُنَا قَدْ فَسَّرَ الضَّرْبَ كَوْنَهُ ... بِإِغْلاظِ قَوْلٍ مُسْتَفَادٍ لَدَى الرَّدِّ

وَجُوِّزَ تَأْدِيباً وَحُدَّ انْتِهَاؤُهُ ... ثَلاثاً إِلَى خَمْسٍ وَعَشْرٍ مِنَ العَدِّ

فَمَهْمَا تَعَدَّى فَوْقَ مَا حُدَّ ضَامِنٌ ... مَعَ الإِثْمِ هَلْ يُعْفَى المُجَاوِزُ لِلْحَدِّ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة/ ٢٢٨).

(٢) - (مَهْيَعا) هاع الشيءُ يَهِيْعُ هِياعا: اتّسَعَ وانْتَشَر (لسان العرب، مادة هيع).

- (الهَدّ): الصوت الغليظ (لسان العرب، مادة هدد).

(٣) (نَشَزَتْ) وردت في الأصل بالراء المهملة، ولعله سهو من النساخ.

(٤) (وَجْد): حُبّ (القاموس المحيط، مادة حبب).

فَتِلْكُمْ عَوَانٍ بَيْنَ أَيْدِيْ رِجَالِهَا ... أَسِيْرَةُ مُلْكٍ ضَارَعَتْ مِلْكَةَ العَبْدِ (١)

أَلا فَاتَّقُوْا شَأْنَ الضَّعِيْفَيْنِ إِنَّكُمْ ... تَمَلَّكْتُمُوْهُمْ بِالأَمَانَةِ وَالجِدِّ

فَإِنْ شِئْتَ إِمْسَاكاً عَلَى حُسْنِ عِشْرَةٍ ... وَإِلا فَتَسْرِيْحٌ جَمِيْلٌ مَعَ الصَّدِّ

فَدُوْنَكَ تَرْصِيْعُ الجَوَاهِرِ نُظِّمَتْ ... بِسِلْكٍ فَمَا عِقْدٌ بِوَرْدِيَّةِ الخَدِّ

جَوَاهِرُ يَجْلُوْ ظُلْمَةَ الجَهْلِ نُوْرُهَا ... وَذَلِكَ عِقْدٌ مَا لَهَا مِنْ سَنَىً يَهْدِيْ

وَأَحْمَدُ رَبِّيْ حَمْدَ عَبْدٍ قَدِ اهْتَدَى ... لأَهْدَى سَبِيْلٍ فَازَ بِالرُّشْدِ وَالسَّعْدِ

وَإِنَّ صَلاتِيْ مَعْ سَلامِيْ لِشَافِعِيْ ... وَمَنْ بِمَقَامِ الحَقِّ أَثْبَتُ مِنْ طَوْدِ (٢)

---

(١) (عَوَانٍ) عَنَا الرّجلُ يَعْنُو عُنُوًّا وعَنَاءإذا ذَلَّ لك واسْتَأْسَر ، وفي الحديث : " اتقوا الله في النساء فإنّهنّ عندكم عوان" أي أسرى أو كالأسرى ، واحدة العواني عانية ، وهي كالأسيرة (لسان العرب ، مادة عنا)؛ إشارة إلى الحديث النبوي الشريف : " اتقوا الله في الضعيفين " يعني المرأة والمملوك (لسان العرب، مادة ضعف).

(٢) (طود): الجبل العظيم (لسان العرب ، مادة طود).

المصادر

أولا: المخطوطات:

- ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بخط الشيخ سيف بن سالم بن سيف اللمكي، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٠هـ. (مخطوط بيد الباحث نسخة منه).
- جواهر الآثار، الشيخ جمعة بن علي الصائغي، الجزء الأول من القطعة الثانية عشرة، دار المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، رقم التصنيف (٢٧٩).
- شعر الشيخ راشد بن سيف اللمكي، مكتبة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بيد أقارب الشيخ بولاية الرستاق، سلطنة عمان.
- قصيدة سر القدر، مكتبة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بيد أقارب الشيخ بولاية الرستاق، سلطنة عمان.
- كتاب الشيخ أحمد بن النضر الدعائم واللامية المنسوبة إليه، مكتبة المرحوم عبدالله بن زهران بن زاهر الرمحي، ولاية الرستاق، سلطنة عمان.
- مجموع أدعية ومواعظ وخطب للشيخ راشد بن سيف اللمكي، مكتبة الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، ولاية العوابي، سلطنة عمان.

- مجموع مسائل فقهية أجاب عنها الشيخ راشد بن سيف اللمكي، الناسخ: علي بن خميس بن راشد العبري، مكتبة الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، ولاية العوابي، سلطنة عمان.
- مسالك المناسك، الشيخ راشد بن سيف اللمكي، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب، رقم التصنيف ٦٠٩.
- مقاليد التصريف، الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، دار المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، رقم التصنيف ٢٣٨٥.
- مكنون الخزائن وعيون المعادن، الشيخ موسى بن عيسى البشري، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب، رقم التصنيف ٥٣٦.

ثانيا: المطبوعات:

- إحياء علوم الدين، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد وهبي سليمان وأسامة عمورة)، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الأزهار البرية لعمان الشمالية، جيمس منذ فيل، شركة جون بارثولميو المحدودة بالتعاون مع مستشار الحكومة لحفظ البيئة التابع لوزارة شؤون الديوان في سلطنة عمان، بريطانيا، ١٩٧٨.

- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار بيروت، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (تحقيق : جماعة من العلماء)، الكويت.
- تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين، الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري.(كتاب مرقون بالطابعة)
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، العلامة عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عمان.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني،(تحقيق محمد عبدالحكيم القاضي) ، دارالكتاب المصري،القاهرة،١٤١١هـ- ١٩٩١م . (ملحق بآخره : اصطلاحات الشيخ محيي الدين العربي).
- تيسير التفسير للقرآن الكريم، قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري، السيب.
- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، (ضبطه وخرج أحاديثه: محمد إدريس - راجعه وقدّم له: عاشور بن يوسف)، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- جمهرة الأمثال،أبو هلال العسكري، (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش)، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الجُنّة في وصف الجَنّة، العلامة محمد بن يوسف أطفيش، ط٣، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٩م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، علاء الدين بن علي الإربلي ، (ضبطه : إميل بديع يعقوب) ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- الدعائم، العلامة أبو بكر أحمد بن النضر، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، (تحقيق ومراجعة : سعد كريم الفقي)، ط٢، دار اليقين، القاهرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ديوان الإمام نور الدين السالمي (تحقيق ودراسة : عيسى بن محمد السليماني)، العلامة عبدالله بن حميد السالمي، دار كنوز المعرفة العلمية، عَمّان ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، (جمع وتحقيق : عادل بن راشد بن علي المطاعني)، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

- الرستاق عبر التاريخ، المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الرستاق على صفحات التاريخ، الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، مطابع النهضة ، مسقط، ٢٠٠٧م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبدالنور المالقي ، (تحقيق: أحمد محمد الخراط)، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، (د.ت) .
- شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين الإستراباذي ، (ضبطه: إميل بديع يعقوب) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- شرح المعلقات العشر، ياسين الأيوبي وصلاح الدين الهواري، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية، علي عبدالخالق علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- شقائق النعمان في أسماء شعراءعمان، الأديب محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، ط٣، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٩م.
- قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان، القاضي السيد حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي، مسقط، ١٤١٣ - ١٩٩٣م.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- كرسي أصول الدين في الولاية للمؤمنين المتقين والبراءة من الكافرين والمنافقين والحجة على الملحدين الضالين ، الشيخ العلامة سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي، (دراسة وتحقيق : خليفة بن سعيد بن ناصر البوسعيدي)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب - مسقط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي ،(تحقيق : علي دحروج) ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ١٩٦٩م.
- الكليات ، أبو البقاء الكفوي، (تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري)، ط٢، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ط ٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م
- المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- معجم شعراء الإباضية (قسم المشرق)، فهد بن علي بن هاشل السعدي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق)، فهد بن علي بن هاشل السعدي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، أنقرة، ١٩٨٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، (تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد) ، دار إحياء التراث العربي.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون)، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، (تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة) ، عالم الكتب .
- موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون، لبنان، ١٩٩١م.
- نهضة الأعيان بحرية عمان، محمد ابن الإمام نور الدين السالمي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف اللمكي

د/وليد خالص

قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس

تنويه :

لأهمية هذه الدراسة وارتباطها بشعر الشيخ راشد بن سيف اللمكي فقد ارتأت اللجنة الثقافية بنادي الرستاق الرياضي الثقافي إلحاقها بالديوان، وقد شارك الدكتور وليد خالص بهذه الدراسة في الندوة العلمية عن (الشيخ راشد بن سيف اللمكي وآثاره) المنعقدة يوم الأربعاء ٢١ محرم ١٤٢٦هـ الموافق ٢ مارس ٢٠٠٥م على مسرح نادي الرستاق الرياضي الثقافي برعاية سعادة الشيخ أحمد بن سعود السيابي الأمين العام لمكتب الإفتاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي المرة الأولى تقريبا التي أقترب فيها من (نصوص) شاعر وأنا أجهل أشياء كثيرة عنه ، فأنا لا أعرف سنة مولده ، ولا أدري إن كان حيّا أم توفيّ ، ولا أعرف شيئا عن نشأته ، ودراسته ونوعية الثقافة التي تلقاها ، والمؤثرات العامة التي أثرت في شخصيته ، ومن بعدُ في شعره ، كما غاب عني أيضا العصر الذي عاش فيه ، وأثره في هذا العصر ، والأثر الذي أحدثه ذلك العصر فيه، وأمور أخرى كثيرة ، وحين أقول إنني أجهل ذلك كله فإنما أعني بالجهل هنا غياب (الوثيقة) سواء أكانت مدونة أم مسموعة ، إذ لم أتسلم سوى مجموعة من النصوص كتب قبل نصها الأول : (قصائد الشيخ راشد) ، وفي أثنا فحصي

النصوص عثرت على الاسم بالكامل وهو (الشيخ راشد بن سيف اللمكي) ، ولاشيء سوى هذا مع شذرات تشير إلى (الرستاق) ، وبعض أسماء المواضع التي يستقر فيها . هذا كل شي ، فما العمل ؟ هل أبدأ بالسؤال والتنقيب كما كنت أفعل سابقا ؟ بمعنى أن أبحث عن تفاصيل حياته ، ونشأته ، ودراسته ، وما تركه من آثار علمية ، بالإضافة إلى مكانته العلمية والأدبية هكذا أفعل حين أتصدى للكتابة عن شاعر أو اتجاه ، أو نقطة ما ، وهذا هو شأن المنهج العلمي الذي استقرت عليه الجامعات ، وصار تقليديا بمعنى احتوائه على قواعد وأسس لا يُركن إلا إليها ، ومن الضروري أن يفيء إليها الدارس ، أيُّ دارس وهو يريد لبحثه المتانة ، والجودة ، والوصول إلى نتائج محكمة .

وحاولت أن أجرب طريقة أخرى ملخصها المواجهة ، نعم المواجهة العزلاء من أي شيء مع النص ، فَلأواجِهْ النصَّ وحده وأنا مزوّد بأدوات ليس من بينها ما اصطلح عليه بـ(ما حول النص) من حياة ، وعصر ، ومؤثرات ، وهي تجربة جديدة ، ولكنها مثيرة ، فيها من الكشف والدهشة الشيء الكثير ، وفيها أيضا من قدرة النص وثرائه – كما سنرى – القدر الكبير أيضاً .

وأودّ قبل الدخول إلى فضاءات النصوص أن أقرر جملة من الحقائق ، وأولها أنني مددت الطرف قليلاً وأنا منشغل بالقراءة والكتابة ، أقول مددت الطرف قليلاً إلى كتاب الشيخ الفقيه محمد بن راشد الخصيبي تغمده الله برحمته

(شقائق النعمان على سموط الجمان) فوجدته يفرد نصف صفحة من جزئه الثالث لشاعرنا ، ويقدم من المعلومات ما لا ينفع كثيراً في درس الشعر، فهو يحدد سنة الولادة مثلاً وهي ١٢٦٢ للهجرة ، وسنة الوفاة وهي ١٣٣٣ للهجرة مع تفاصيل قليلة جداً ، غير أني وجدته يسارع فيثبت نصوصاً شعرية كثيرة ، أقول هل كان الشيخ الخصيبي – رحمه الله– منشغلاً مثلي بالنص ، أما ما عداه فزيادات يحسن السكوت عليها كما يقول النحاة ؟ هل كان الشيخ الخصيبي يؤثر أن يتحدث صاحب النص عن نفسه بنصوصه ، فهي الحكم وهي الفيصل في الأمر كله؟ ومرة ثالثة يبدو الشيخ الخصيبي عجلاً بعيداً عن الرَّيث ، يريد أن يفرغ للنص ويدع ما سواه ، فقه الترجمة المثبتة يشير إلى هذا وأمثاله ، وإلا فما معنى أن تأخذ التفاصيل نصف صفحة ، وتحتل النصوص إحدى عشرة صفحة؟ أليس من معاني هذا ما سقناه سابقاً وتؤكده هنا مرة أخرى؟

وثاني الحقائق يتمثل في أنني حين أواجه تلك (النصوص) لن أتفاعل معها وفق الانطباع وحده ، أي المنهج الانطباعي أو التأثري ، وإن كنت مؤمناً أنّ هذا المنهج في صورته الحق ماتزال له من الفاعلية على اكتشاف جوانب مخبوءة في النصوص تعجز المناهج الأخرى عن الوصول إليها ، أقول لن أدع تلك الانطباعية تكون هي الصوت الوحيد في قراءة النصوص بل ستكون معها أصوات أخر أو إن شئت أدوات أخرى مستقاة من المناهج التي ظهرت بعد

التأثرية ، وأفادت من التقدم العلمي والفكري الذي ساد العالم ، وأثبتت هي الأخرى قدرتها على السباحة في فضاء النصوص ، والغوص إلى الأعماق ، والعودة بجواهر نفسية ولآلئ ثمينة .

وثالث هذه الحقائق تتجلى في أن النصوص التي قمت بدراستها ينفصل فيها الواحد عن الآخر بشكل ملحوظ من حيث التاريخ والتراكم أو كذلك من جهة انطوائها تحت (ديوان) أو (مجموع شعري) واحد بحيث تشير إلى توجّه الشاعر ونَفَسه الشعري من جهة ، وتبين تطوره الروحي والفكري من جهة أخرى ، بَيْد أن هذا لم يَحُلْ دون التقاط ذلك الخيط الرفيع الذي يسري بخفاء بين النصوص ، ونعني به السمات الأسلوبية والفكرية التي ندَّت في النصوص هنا وهناك وهي تشير إلى روح واحدة ، واستقرار واحد ، ورؤية واحدة تنتظم النصوص جميعها .

ولعلَّ الحديث عمّا يسمى بتداخل النصوص لمعرفة السياق الذي تنتمي إليه قصائد الشيخ اللمكي يكون مدخلاً صالحا للدخول إلى عالمها على اعتبار أن النص " ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحّدة ، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ، ونظامه اللغوي مع قواعد ومعجمه جميعها تسحب إليها كَمّاً من الآثار والمقتطفات من التاريخ " (الخطيئة والتفكير ، د.عبد الله الغذامي، ص١٥) ، ولهذا فنحن بشيء من الفحص نتمكن من التقاط أمشاج من الثقافة الدينية

والشعرية واللسانية تطل برأسها أو تنساب بخفاء في ثنايا النصوص ، يضاف إليها اغترافه من بحر الشعر الديني الواسع سواء أكان عربيا عاما ، أم سلوكيا عمانيا خاصا .

وأول ما نقف عنده هو القرآن الكريم ، ولم يكن الشيخ نسيج وحده في هذا ، فطالما نظر الأدباء إلى أسلوب القرآن المعجز ، وحاولوا الاقتراب منه ، والاقتباس من أنواره ، وهم يعدّون ذلك فضيلة لا تعدلها فضيلة ، ولأمر قريب من هذا أفردوا الاتكاء على القرآن الكريم بمصطلح خاص هو (الاقتباس) كأنه مقصور على القرآن، ومن اعتمد على من سبقه غير القرآن فله مصطلحات أخرى أما القرآن فله (الاقتباس) وحده ، ونرى الشيخ يقول :

ومكبكب في حاجم كالقصر ترمي بالشرر

وهو يفيد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ (سورة المرسلات، الآية ٣٢) ، وهو من الاقتباس المباشر، ويقول في مواضع أخرى :

وخير تجارات الرجال غنيمة تفر بأعلى الشم بالدين ناجيهْ

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الصف ، الآيتان ١٠ و١١)

ولم يكن للشيخ أن يغفل الحديث الشريف وهو زاده الديني الثاني بعد القرآن فراح ينهل منه ما شاء له النهل، ويوشّي به شعره ، من ذلك قوله :

ألا فـاتقوا شـأن الضـعيفين إنكـم تملكتمـــوهم بالأمانـــة والجـــدِ

ولعله ينظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم"، ويقول أيضا :

وقـال ابتـداء الـدين في غربـة وقـد يعـود غريبـا مثـل مـا كـان ثانيـه

فهو يقتبس من حديثه صلى الله عليه وسلم : " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء".

ونغادر هذين الموضعين إلى ثالث لا تخطئه العين وهو الشعر، ونقف عند زهير بن أبي سلمى وهو يقرع أسماعنا بهذه الـ(مَنْ) الشرطية التي راحت تتكرر في قصيدته الشهيرة ، ونراها ماثلة هنا في منظومة (الحكم النورانية) على هيئة متكررة أيضاً يقول :

ومن يخل عن ذكـر لمـولاه قـد خـلا من الرشد كالمخذول عن فعل واجبِ

ومـن لم يكـن في دهـره عالمـاً بـه سـقته يـد الأيـام مـرّ المشـاربِ

ومن حط حكم الوقت فالمقت حظه وتعطيله الأوقات كـبرى المصـائبِ

ولم يقتصر التداخل مع قصيدة زهير على الشـرط وحده بل تعدى إلى المعاني الحكمية التي نثرها زهير في قصيدته، وأفاد فيها الشيخ فائدة كبيرة فهي تتوافق مع مزاجه وميله الديني والأخلاقي ، ونرى المتنبي وابن الوردي ماثلين هما الآخران في ذاكرة الشيخ ، فقصيدة ابن الوردي المعروفة التي مطلعها :

دع ذكـــر الغـــواني والغـــزل وقـل الفَضْـل وجانـب مَـنْ هَـزَلْ
واتـــرك الخمـــرة لا تحفـــل بهـــا كيـف يسـعى بجنـون مَـنْ عَقَـلْ

نراها في مبناها ومعناها عند الشيخ اللمكي حين يقول :

قلـت وقـولي قـد عـرى مـن الزلـل وعلـلِ المَـيْن وهـذيان الهـزلْ
مـن ألـف النـوم تـردّى بالكسـل فكـم بـه مستبسـل مَـنْ قـد بَسَـلْ
فجـرّد العـزم ودع عنـك الفشـل مشـمراً كالقـدْح غـير ذي مَيَـلْ
والزم أدا المفـروض مـن غـير خلـل فالـدين لا يُقبـل إلا إن كمـلْ

وتستمر القصيدة على هذا المنوال من إسداء النصائح وتقديم المشورة .

وانسجاماً مع مقولة المواجهة مع النص تلك التي أشرنا إليها فيما سبق فقد تمكن الباحث من استخلاص ثلاث سمات أسلوبية رآها منتشرة في النصوص المدروسة ، وهي تشير إلى نهج معين ارتضاه الشاعر لشعره ، وهي تومئ بعد هذا إلى الاطمئنان بأن هذا الشعر الذي نقرؤه هو لشاعر واحد يلح في مواضع مختلفة من الشعر على ذلك السمات وهو ينطوي تحت ما يسمى بـــ(النقد الداخلي) ، ونحن نشتغل في ظل هذا المنهج بحسبان عدم توفر ديوان كامل للشاعر منشور

نشرة نقدية محققة ، وهذه السمات هي قصر الممدود ، والاعتراض ، والخاتمة التقليدية .

ولاتخلو قصيدة واحدة بل أبيات قليلة من هذه السمات فهي تلفت النظر حقا ، فنسمع :

ومَنْ رفض الحزم المنيع يُلَم ولو تناشبه أمر القضاء بالمخالبِ

ويقول :

ومن كان ذا بخل حريصا بماله رُمي بالقِلى من أقربا وأجانبِ

ويقول :

من الله أرجو دَفْع ما بي من الكرب من الابتلا بالناس في الزمن الصعبِ

ويقول :

وفيها حانُ صبها به الكاسات طَفْح

ويقول :

والزم أدا المفروض من غير خلل فالدين لا يُقبل إلا إن كمل

هذا عن قصر الممدود ، أما الاعتراض فكقوله :

تعلّقت بالحبل الذي كلّ مَنْ به تعلّق ينجو- صاح- من أعظم الخطبِ

وقولة :

أيـا فلـج المعمـور هُنّيـت بالـبشر ووقّيت من جدبٍ وحُصّنت من ضُرّ

وجنبت من عيب وسلمت من أذى وبوركت- عمري- ما بقيت على الدهرِ

أما الخاتمة التقليدية فهي تنتظم الجمهرة الغالبة من القصائد ، وهي عادة ما تتألف من حمد الله والصلاة والتسليم على رسوله الكريم وآله وأصحابه من ذلك قوله في نهاية القصيدة الأولى :

وحمـدي لـربي والصـلاة لشـافعي كـذا آلـه مـع صـحبه والأطايـبِ

وقوله في خاتمة القصيدة الثانية :

وصل - إلهي - ما جرى فلك السما على مَنْ به الإرشاد والآل والصحب

وقولة في خاتمة القصيدة الرابعة :

أهـــدي الصـــلاة لشـــافعي والآل والصـــحب الغُـــرْ

ومعلوم أن هذه السمات التي سقناها سابقا لا ينفرد الشيخ اللمكي وحده بها بل نراها عند غيره من الشعراء فقصر الممدود مثلاً من الضرورات الشعرية المعروفة ، أما الاعتراض ويسميه بعض النقاد الحشو فهو من أسرار الشعر : " لا يتيقظ له إلا من شف جوهره ، وتوقدت قريحته ، وغزرت مادته ، وكان طبّا بمجاري الكلام عارفا بأسرار الشعر متصرفاً في أفانينه " على حد قول الحاتمي في حيلة المحاضرة (١/ ١٩٠) ، ومما يرد في هذا الباب بيت المتنبي :

وتحتقـــر الـــدنيا احتقـــار مجـــرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

فهذا من (أحسن ما خوطب به في هذا الموضوع) (التبيان ، ٤/ ١٦٠) ، وكذلك الخاتمة التقليدية ، وما نريد الوصول إليه هو أن انتشارها بهذا الشكل اللافت ، واجتماعها في نصوص الشيخ اللمكي هو الذي حدا بنا إلى اعتبارها سمات أسلوبية جعلتنا نتلقطها في الشعر ، غير أنه من الضروري التنبيه هنا إلى أمر نراه هاماً ، وهو منضو تحت السمات الأسلوبية أيضا مفاده أن الشيخ اللمكي يتخلى تخليا واضحا عن الخاتمة التقليدية في تلك النصوص التي جعلها خالصة للسلوك إذ تنتهي تلك النصوص نهاية مختلفة ، وأكاد أقول مفتوحة ، فكأنه يشعر في تلك النصوص أنه لم يقل كل ما يريد قوله ، وظل النص منفتحا يحتمل المزيد والمزيد فهذا الطريق بحر لا قرار له ، لا تكفيه قصيدة ، أو يحويه ديوان ، فكيف بأبيات حتى وإن كثرت ، فهي عاجزة عن حصر تلك التجربة العميقة بين أضلاعها ، فليظل النص مفتوحا يتقبل المزيد ، فهذا النص أشبه بذلك السالك المسافر ، والمسافر يرى كل لحظة شيئاً جديداً ، ويفاجأ بما لم ينتظر أو يتوقع ، فكذلك النص هو الآخر ممسوس بتلك الدهشة اللانهائية ، فلا يمكن عند ذاك أن يحكمه ذلك القفل التقليدي وأنى له ذلك .

ولعل هذه السمة الأسلوبية تكون تكأة ندلف منها إلى السلوك عند الشيخ اللمكي ، وللسلوك في الشعر العماني خبر طويل ، وتاريخ معرق ، وجاء الشيخ

اللمكي ليشارك أضرابه من كبار الشعراء في الاغتراف من هذا المعين العذب ، وله فيه وقفات نلج من خلالها عوالم الشبلي ، ورابعة ، وابن الفارض ، ومعهم أولئك الراسخون في مضمار السلوك : ناصر بن أبي نبهان ، وسعيد بن خلفان الخليلي ، وأبي مسلم ، وقراءة شعر السلوك تحتاج إلى استعداد خاص ، وأدوات كثيرة أشرت إلى أطراف منها في محاضرة كنت قد ألقيتها في رحاب الجامعة قبل مدة ، وأعود لأقتطف منها شيئاً إذ نجد الإشكالية نفسها تواجهنا ونحن نقرأ شعر الشيخ اللمكي السلوكي ففيه تلك المناجيات الآلهية ، والمداومة على ذكر الله وتمجيده ، مع تعرض لنفحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوة إلى التخفف من هذه الدنيا الفانية وأعبائها الكثيرة، صاغ ذلك كله عبر لغة خاصة ، ومصطلح مستقر لا يمكن فهمه فهما حقا بغير (الحفر) في تلك اللغة ، ومحاولة كشف ما يغطيه ظاهرها من معان ودلالات ، ولن يتم ذلك إلا عبر تلك الأدوات الواجب توافرها بيد القارئ مثل القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفكر الإباضي، وعلم الكلام ، والتراث الشعري العربي وخصوصا الغزلي والخمري منه ، والتراث الصوفي المترامي الأطراف شعره ونثره فالفكر الإباضي على سبيل المثال يشكل ركيزة هامة ينطلق منها السلوكي في وصف تجربته العميقة الخاصة ، وهو يعتصم بذلك الفكر خشية الانزلاق نحو الشطح ، أو القول بوحدة الوجود ، أو شيء مما أخذ به بعض الصوفية أنفسهم مما يجعلهم قريبين من

إنكار الركن المتين الذي يقوم عليه الإسلام وهو التوحيد وفق نظرة شخصية يدعون إليها ، فكيف نفهم بيت الشيخ اللمكي الآتي بمعزل عن الفكر الإباضي حين يقول :

ومن جعل التقوى مهادًا نجا ولو أتى بمعاصٍ قبلها لم يعاقبِ

فهو يتحدث عما يعرف في علم الكلام بمرتكب الكبيرة هل يغفر له أم لا ، والكبيرة هي (كل ما عظم من المعصية ، فترتب على ارتكابها وعيد في القرآن أو السنة الصحيحة سواء شرع لها حد ... أم لم يشرع) (الحق الدامغ، ص ١٨٧) وفقه بيت الشيخ اللمكي يؤدي إلى أن مرتكبها ينجو من النار إذا تاب ورجع ونقرأ ما كتبه سماحة المفتي العام الشيخ أحمد بن حمد الخليلي فيقول : " والتحقيق أن العبرة بخواتم الأعمال ، فمن ختم له بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح كان سعيداً عند الله مهما عمل من قبل ، فإن التوبة تمحو الآثام وتطهّر صاحبها من الحوب ، ومن ختم له بالإصرار على الآثام لم تُجده أعماله السابقة شيئا لأنها محبطة بإصراره " (الحق الدامغ ، ص ٢١٢/ ٢١٣) ، فنرى الرأيين متشابهين لأنهما يمتحان من بئر واحدة ، وتأسيسا على هذا ينبغي توخي الدقة في التعامل مع هذا الشعر وأمثاله خوفا من ضياع المعنى المراد من جهة ، ووضع الأشياء في نصابها القويم من جهة أخرى .

والشيء نفسه يقال عن المصطلح السلوكي الذي رأيناه يشيع بكثرة في شعر الشيخ يرحمه الله ، فقد واجهتنا مصطلحات مثل الذوق ، والسكر، والكأس ، والصهباء، والحب ، والعشق ، والبسط ، والقبض ، والفناء وغيرها ، والشيخ - بلا ريب - ومعه السلوكيون يفيد من المصطلح الصوفي غير أنه ينبغي الوقوف عند قضيتين هامتين : أولاهما ضرورة التعويل على تأويل هذه المصطلحات من حيث عدم أخذ مدلولها على الظاهر فهذا يوقع في إشكالية كبيرة ، وقد نبه الصوفية والسلوكيون معا إلى هذا الأمر ، ونكتفي بما ورد على لسان السبكي الذي قرر بصراحة قائلاً : " الله الله في ألفاظ جرت عن بعض سادات القوم لم يعنوا بها ظواهرها وإنما عنوا بها أموراً صحيحة فلا ينبغي للشيخ ذكرها لمريد لايفهمها فإنه يضله " (معيد النعم ، ص ١٢٤) وتابعه الشيخ أبومسلم قائلا بأسلوبه المتميز : " فيا أيها الواقف عند مطويّ ظاهره المنشور لا تعجب مما تراه فتغلبك الوحشة والنفور ، ولا تنكر الحقائق إن كان فهمك غالبا عليه القصور ، ولأهل الذكر فاسأل إن خفي عليك أمر فهو في الكتم مشهور " (النفس الرحماني، ص ٢٩٥) وعلى هذا فمن الواجب النظر إلى ألفاظ مثل الحان، والخمرة ، والسكر، و الكأس على خلاف ما وردت عند شعراء الخمريات مثلاً فهم يريدون بها الحب الإلهي ، والانتشاء بذكر المولى سبحانه ، واتخاذ طريق العبادة مسلكا للوصول إلى النور المقصور ، والغناء في هذا المسلك بحيث يتخلى السالك عن رغباته الدنيوية ،

وينشغل انشغالاً تاماً بهذا الطريق الذي اختاره وارتضاه ولا يمكن إدراك تلك المرامي البعيدة بغير السياق الذي وردت فيه ، فقضية السياق هي مربط الفرس كما يقال ، فإذا استمعنا إلى قول الشيخ :

إذا ما الليل داج ... فما النشوان يصحو

يلذ الكأس فيه ... إذا ما امتد جنح

مديم النهل علا ... ببذل الروح سمح

فإن قراءتها هكذا وهي مبتورة عن سياقها الذي وردت فيه يوحي بمناخ خمري يذكرنا بالأخطل أو أبي الهندي ، أو أبي نواس ، ولكنها في الحقيقة حلقة ضمن سلسلة طويلة ينتقل السالك فيها ليترك مرحلة وينتقل إلى أخرى ، هذه المرحلة بالذات هي بداية الذروة من حيث انغمار السالك في شفافية وتخليه عن الكثافة والمادية التي كان قد مر بها في مرحلة سابقة ، وإذا استمعنا إليه مرة أخرى حين يقول :

من يلمه فليذق في نهله ... أو يذره فلذاك النهل أهل

فدما العشاق في شرع الهوى ... كلها في حكمهم هدر وطل

عذبوا روحي تروني جَلِداً ... كيف لا والحب بالتعذيب يبلو

فهنا حديث عن العشق ، والهوى ، وتعذيب الروح ، والصبر على مشقات الحب مما يكاد يدخلنا في أجواء الغزل العذري العفيف ، ولكن مفتاح فهم تلك الأبيات هو لفظة (فليذق) بالإضافة إلى السياق العام الذي جاءت فيه الأبيات ، وهو ما أشرنا إليه سابقا ، فالذوق " نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره "، ولذلك شاع بينهم القول : " من ذاق عرف " يريدون به أن من يجعل الذوق وسيلة المعرفة كان من العارفين ، يضاف إلى هذا إشارة الشيخ الصريحة إلى أن لذاك النهل أهلاً مختصين به ، ويرد في أدبيات الصوفية والسلوكية معاً اصطلاح أهل الذوق وهم " من تكون أحكام تجلياتهم نازلة من مقام أرواحهم وقلوبهم إلى مقام نفوسهم وقواهم كأنهم يجدون ذلك حساً ويدركونه ذوقاً ، ويلوح ذلك في وجوههم " (ينظر الموسوعة الصوفية ، د.عبد المنعم الحفني ، ص ٧٥٦/ ٧٥٧) ولم يكن هذا كله بغائب عن ذهن الشيخ وهو يوظف تلك المصطلحات في شعره ، ويعمق مجرى السلوك فيه ، وهذا يقودنا إلى القضية الثانية وهي المحاولة المخلصة التي يتبناها السلوكيون ومعهم الشيخ اللمكي لتطويع المصطلح الصوفي بحيث يتلاءم مع المناخ الفكري الجديد الذي وظف فيه ، ولهذا المناخ علاقة وثقى بالفكر الإباضي الذي يصدر عنه السلوكيون ، ولعلنا ألمحنا إلى شيء من ذلك فيما سبق فهم لذلك يوائمون بين فكرهم وبين هذا الوافد من بيئة فكرية ذات طبيعة خاصة

بالإضافة إلى ما داخل الفكر الصوفي من تيارات غير إسلامية أدت ببعض المتصوفة إلى القول بوحدة الوجود مثلاً أو الشطح البعيد ، أو التخفف من بعض القضايا الشرعية ، فهم يتجنبون ذلك كله ، وقد أشار الشيخ ناصر بن أبي نبهان رحمة الله إلى ذينك الآخرين صراحة في مقدمة شرحه لتائيتي ابن الفارض ، ويأتي الشيخ هنا ليؤكد هذا الأمر ويعمق الإشارة فيه ، ففي قصيدته التي مطلعها :

أسير الحب ينحو سبيلاً فيه رَوْح

تفصيل لحال ذلك السالك الذي يواجه المشقات في طريقه غير أنه مُصِرّ على قطع الشوط إلى نهايته وعند ذاك يصل إلى :

رياض الشوق فاحت عبيراً فيه رشح

وفيها الورق ناحت وبالهزجات صدح

مع وصف دقيق مفصل لتلك الرياض وما حوته من الرائحة الزكية ، والماء العذب والانتشاء الحقيقي ، ولكنة يأبى إلا أن يختمها بقوله :

فأنت الرب حسبي فحبي فيك أنحو

فالحق سبحانه وتعالى هو المقصد ، وطلب رضاه هو المطلوب ، فهناك اثنان : ذلك السالك الطالب وذلك المطلوب المعبود، وليس لهما لن يتّحدا ، ونرى هذا الالتزام بحدود الشرع في قصيدته التي مطلعها :

أنديم الحبّ يا مَنْ ليس يسلو زفرات وَجْده بالروح تغلو

ففيها أولا ذلك الاستبطان لحالة السالك وتجاذبه بين القبول والرفض، وبين القبول المنع ،وبين هذا وذاك أحوال ومقامات تصف العشق ، والوَلَه ،والترقّب مع تلك الدهشة المستمرة التي تلازم الروح واللغة معا، وتواجهنا مصطلحات الغرام ، والهوى ، والعشق ، والقبض ، والبسط وليس فيها ما يشي بأمر تنكره الشريعة ، فهي مشهد باطني لذلك السالك وما يعتصر في داخله من مشاعر ولكن الغاية معروفة هي الوصول إلى نور الأنوار ، والخشوع أمام عظمته وكبريائه ٠

إنّ ما نودّ الإلحاح عليه هنا يتمثّل في ضرورة قراءة شعر السلوك بعيون تختلف عن العيون التي تقرأ ما سواه من الشعر، وهذا ينبع من اختلاف طبيعته وقانونه عن ذلك الشعر، ولن يتحقق هذا على وجهه الأكمل إلا باستعداد خاص ، وأدوات متنوعة تتيح لتلك القراءة النفاذ إلى جوهره، والتعامل مع مصطلحه ، وفك المعقد من تراكيبه ، وبغير هذا لن يجد القارئ بين يديه سوى قشور الألفاظ، وهي مبذولة ميسّرة، وليس هذا من العلم والمنهج في شيء٠

تم بحمد الله

رقم الإيداع
٢٠١١/٢٧١